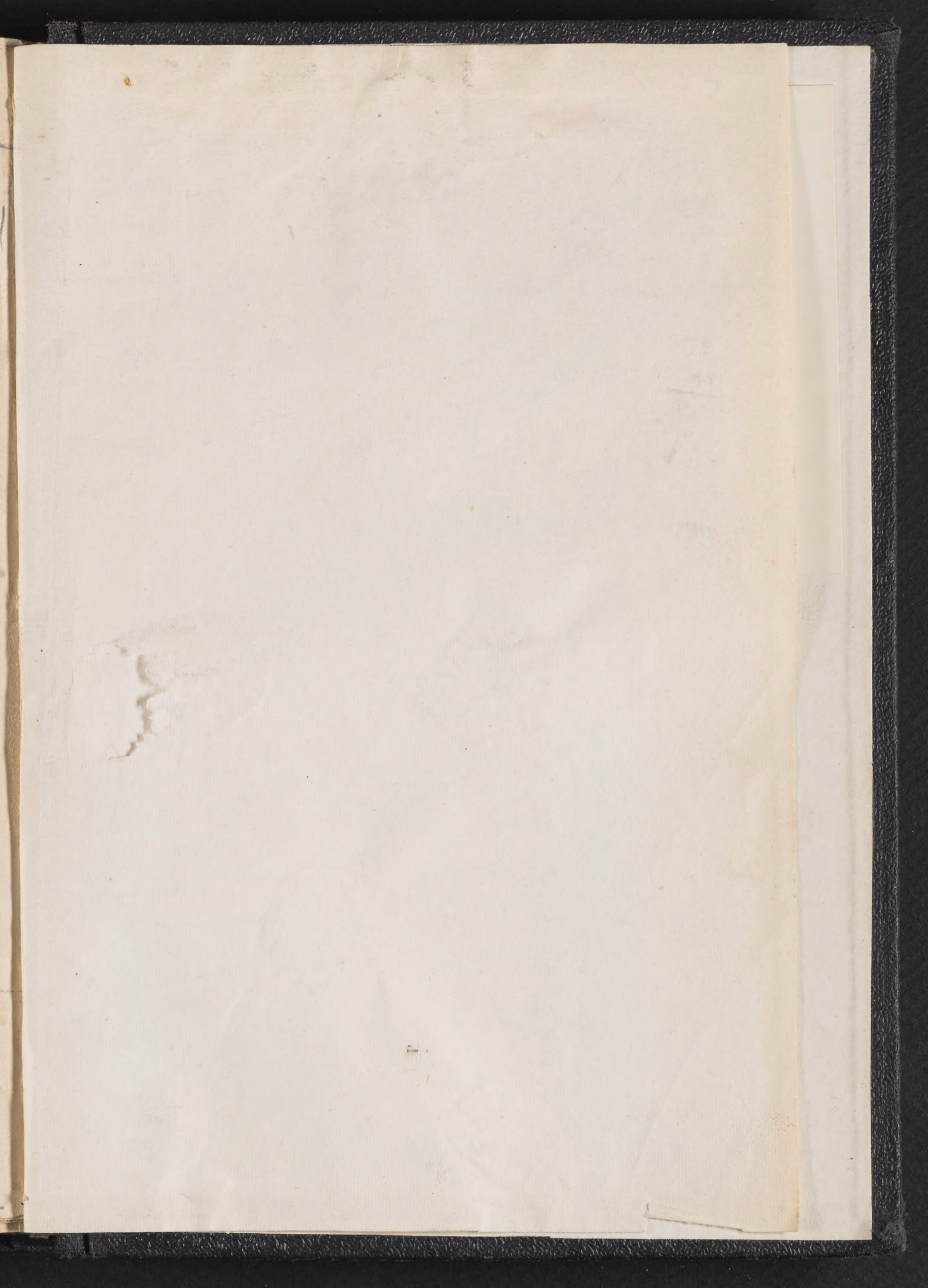



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO



صحف مختارة

من الشعر التمثيلي عند اليونان

ترجمة

طه حسين

استاذ بالجامعة المصرية

الطبعة الاولى

١٣٣٩ هـ — ١٩٢٠ م

يطلب من المكتبة التجارية باول شارع محمد على

لصاحبها مصطفى محمد

مطبعة الهلال باول شارع نوبار نمرة ٤

الى صاحب العظمة

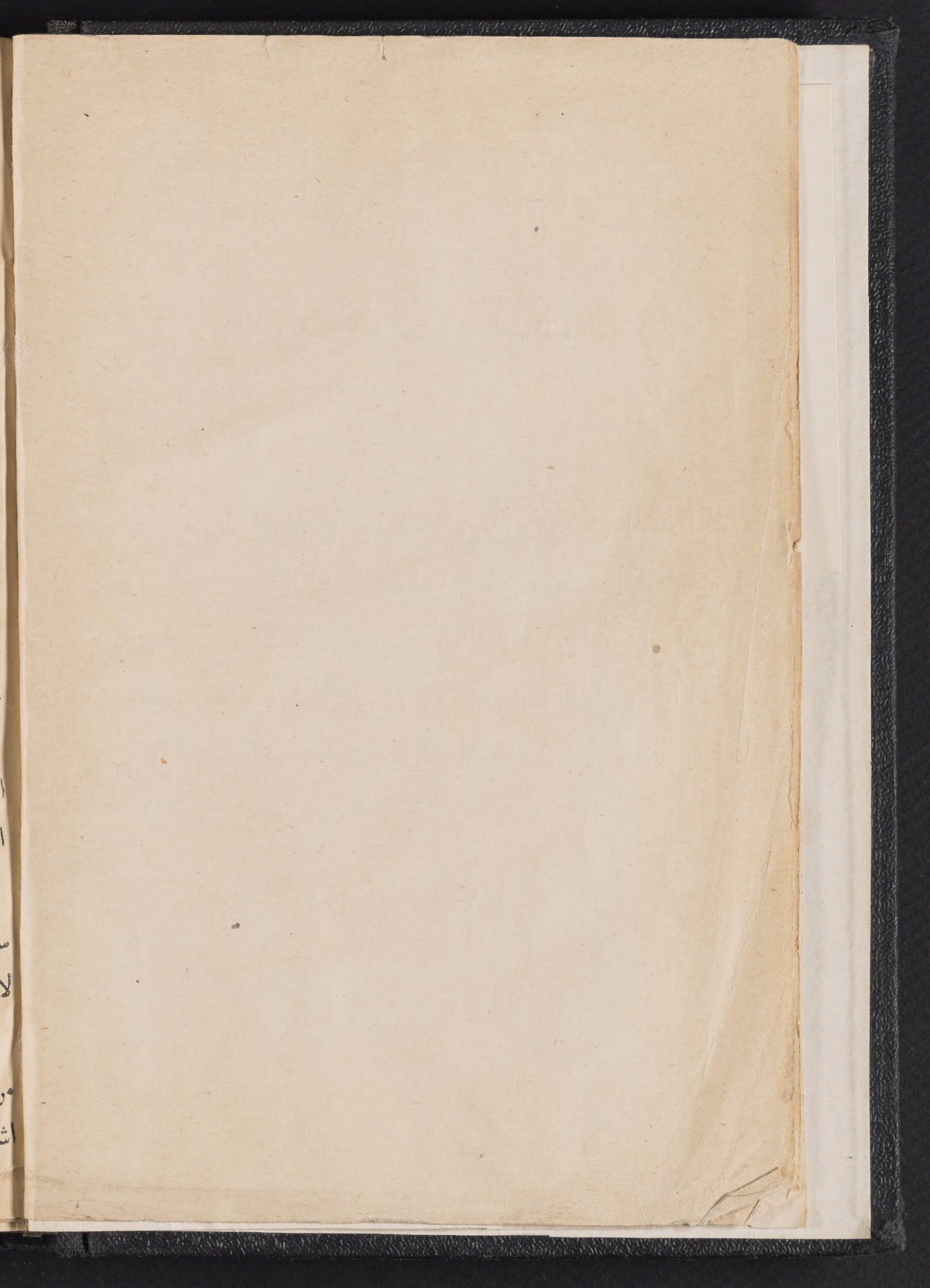
« فؤاد الاول » سلطان مصر

مولاي

يحفظ التاريخ ما لعظمتك من أثر محمود في إنشاء الجامعة وإحيائها ، وأحفظ أنا ما تفضلت به من عطف عليَّ وتشجيع لي على درس « الأدب القديم » وإذاعته . فمن الحق أن ارفع الى مقامك الجليل أول كتاب أنشره في « أدب اليونان » . وأنا سعيد كل السعادة ان ارتاحت اليه نفسك الكريمة ، وانتفع به أبناء هذا الوطن العزيز .

القاهرة في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠

ط حسين



مقدمة

— ١ —

لم أكد أبدأ في الجامعة المصرية درس التاريخ اليوناني في هذه السنة الدراسية ، حتى رضى قوم ، وسخط آخرون . وكان الذين رضوا اقل الناس عدداً ، والساخطون اكثرهم جمعاً ، واضخمهم جمهوراً .

قالوا : مالنا ولتاريخ اليونان ، ندرسه ونحفل به ؟ ! ننفق فيه ما نملك من وقت ، ونضيع فى سبيله ما عندنا من قوة وجهد . ونحن الى انفاق ذلك الوقت وهذه القوة والجهد فى درس تاريخ مصر خاصة والأمم الاسلامية عامة أشد ما نكون حاجة !

أليس كل الناس قد علم أن الأمة المصرية ، على ضخامة سلطانها السابق ، وتأثل مجدها القديم ، وعلى بعد صوتها فى الحضارة ، وجلال خطرها فى المدنية : تجهل نفسها ؟ ! وتجهلها جهلا يوشك أن يكون تاماً ؟

فهى لا تعلم من عصر الفراعنة الا طرفاً يسيراً ، وهى لا تلم من عصر اليونان والرومان في مصر بشيء ما ! فأما عصر الفتح الاسلامي فلا تعلم منه الا ما روى مؤرخو العرب . وهو الى التحقيق والتمحيص في حاجة شديدة !

قالوا : ولسنا نذكر شيئاً عن حضارة الفاطميين فى مصر ! ولا عن سلطان المماليك وبعد شأوهم فى انواع العلوم والفنون ! فان المصريين لا يعلمون من هذا كله الا مالا ينقع صدى ولا يشفى غليلا !

أو ليس من المعقول ان نعرف نفسنا قبل ان نعرف غيرنا ؟ ! أو ليس من الحق علينا — اذا فرغنا من درس تاريخ مصر — ان ندرس تاريخ أشد الأمم اليها قربا ، وادناها منها مكانا ؟ ! وهى الامم الاسلامية .

قالوا ذلك ، وقالوا اكثر منه . ولم يكتفوا باللوم والتشنيع ! بل أعرضوا عن الدرس ، وجعل كثير من الطلاب لا يحضرونه الا وفاء بما عليهم للجامعة من حق ، او رغبة فى تكريم الاستاذ الذى تفضلوا عليه بشيء من الحب له .

ولست أشك في أنهم لم يخطئوا مكان الصواب ، حين اعلنوا جهل مصر لنفسها ، وحاجتها الى درس تاريخها ، وميلها المعقول الى درس تاريخ غيرها من الامم الاسلامية. ولكن الخطأ كل الخطأ هواعتقادهم ان هذا مانع من درس تاريخ الامم الأخري ، اوأن يكلف استاذ بعينه ان يدرس كل هذا التاريخ .

أمامهم الجامعة المصرية ، وأمامهم وزارة المعارف يجب أن يطلبوا اليهما القيام بما هم في حاجة اليه . فقد بعد عهد التعليم في مصر وكان من الحق على الذين يدبرونه ويقومون عليه ان يسلكوا به سبيلا واضحة الاعلام ، تنتهي بالمتعلمين الى مايجب أن يعلموه من درس تاريخ امتهم كما ينبغي

وليس من العدل ان تقصر وزارة المعارف عن القيام بما عهد اليها ، وتضعف الجامعة عن الوفاء بما أنشئت من أجله ، فيقع اثم هذا كله على استاذ فرد ، قد عني بمادة معينة من مواد العلم ، اعجبته وراقته ، فتخصص فيها ، وأراد أن ينشر منها في قومه ماوفق الى نشره .

لست أزعم أن الجامعة ووزارة المعارف لو عنيتا بدرس تاريخ مصر لبلغتا به حد الكمال . ولكني أعتقد أن هذا التاريخ مجهول جهلا منكرا ، وأنه ما ينبغي لبلد كمصر ان يصل من جهل نفسه الى هذا الحد ، على كثرة ماينفق في تحصيل العلم من مال ، وما يبذل فيه من جهد ؛ وعلى جلال

مايسمو اليه من غاية ، وما يحرص عليه من أمل في الاستقلال .

ولو أن الذين يقومون على نشر العلم فى هذا البلد عرفوا كيف ينشرونه لما كنا من الضعف والتقصير ، ومن الجهل والغفلة ،بحيث لا نزال مضطرين — اذا اردنا ان ندرس تاريخ مصر — الى ان نبعث الوفود الى لندرا و باريس لدرس الآثار المصرية فى مدارسهما ومتاحفهما .

اليس في مصر من آثار المصريين القدماء ، ومن آثار العرب المسلمين ، بل ومن آثار اليونان والرومان في مصر ، ما يكفي لانشاء مدرسة خاصة تقصر همها على درس هذه الآثار ، وتخريج الاساتذة والاخصائيين الذين يعهد اليهم بالتعليم وحفظ الآثار وتنظيمها ؟ !

أو ليس من المخجل ان توفد اوروبا وفودها الى مصر لدرس الآثار ، حتى اذا عادت هذه الوفود جلست مجالس الاساتذة في المدارس الأوروبيه ، وجلس المصريون منهم مجالس الطلب والاستفادة ؟ !

مثل الذين انكروا علي انى لم اقم بدرس التاريخ المصرى ، مثل القائمين بأمر التعليم فى مصر يتركون ما يجب عليهم ان يعملوا ، و يعنون بما يستطيعون ان يهملوا . ثم ينفقون الاموال فى ارسال الطلاب ليحصلوا في اوروبا ماكان يمكنهم ان يحصلوه في مصر ، أو ينالهم الاحجام فلا ينفقون . وتبقي الامة جاهلة ، لا يستطيع اشدها ذكاء وانفذها بصيرة ان يتحدث الي اوروبي في تاريخها ! كل يسيء الفهم ، وكل يضع الشيء في غير موضعه ، وكل يلوم غير ملوم .

ولو أن هؤلاء المنكرين على انصفوا وتدبروا ، لاخذوا عنى راضين ، ما قدمت اليهم ، ولأنحوا بلومهم وتأنيبهم على الذين يستطيعون العمل ، فلا

يعملون . ويقدرون على الخير، ثم يقصرون عن طلبه ، او السعي اليه .

وبعد فما كان لأمة ان تعرض عن فن من فنون العلم لأنها لم تعلم غيره. اذاً لقضى عليها بالجهل الدائم والغفلة المتصلة.

فليس من الميسور ان تدرس فنون العلم كلها فى يوم واحد ، ولا بد من ان يبدأ بدرس بعضها، وان يتريث ببعضها الآخر.

فخليق بالناس ان يأخذوا ما قدم اليهم ويتعجلوا تحقيق ما أخر عنهم فان اعراضهم عن تحصيل ما يمكن تحصيله لا يعقبهم الا فوات نفع محقق من غير ان يجدى عليهم الفوز بما يأملون .

— ٢ —

يخيل الى أن عدم الوقوف على تاريخ اليونان وحده هو السبب الحقيقي فيما لقى الناس به هذا الدرس من فتور واعراض ، بل من تشنيع وانكار . فلن ينفرك من الشيء ويرغبك عنه اكثر من جهلك له .

ولو أن المصريين ألموا بتاريخ اليونان بعض الالمام ، لكلفوا بدرسه وتحصيله الكلف كله لأمرين :

الاول ان فهم التاريخ المصرى خاصة والتاريخ الاسلامي عامة ، موقوف على فهم التاريخ اليونانى. فما ينبغى لاحد أن ينسى ما كان للحضارة اليونانية من التأثير الظاهر في حضارة العالم كله ومنه البلاد الاسلامية . ولم يكن هذا التأثير مقصوراً على الحياة العقلية والادبية بل تناول الحياة السياسية .فان اليونان قد ملكوا الشرق اكثر من قرنين ، فوضعوا فيه نظما لم يكن له بها عهد ، وجاء الرومان فلم يمحوا هذه النظم ، بل شكلوها تشكيلا ما ، ثم جاء العرب فأخذوا ما وجدوا ، ولم يزيدوا على ان عربوه .

ومن الميسور على كل مؤرخ متقن لعمله اذا درس تاريخ الامم الاسلامية أن يتميز النظم القديمة وما بينها و بين النظم الاسلامية من صلة . واذا كان درس التاريخ في رأى المؤرخين المحدثين عملا تحليلياً قبل كل شيء ، أى أنه يلزم المؤرخ ان يرد كل شيء الي أصوله التي الفته وعملت فى تكوينه ، فلا شك فى أن مؤرخ الامم الاسلامية — ولا سيما مصر — يجب عليه أن يعرف تاريخ الامة اليونانية و يتقنه لكى يستطيع أن يميز ما كان لها من أثر في حياتها العقلية والاجتماعية والسياسية .

الثانى أن النهضة الحديثة فى أوروبا انما هي في معظم أمرها أثر من آثار اليونان . فاذا كانت مصر الناهضة تحاول (وهذا حق عليها) أن تتعرف اصول هذه النهضة وتتفهمها ، لتختار منها ما يوافق طبيعتها ويلائم مزاجها ، فليس لها الى ذلك من سبيل الا درس تاريخ اليونان والرومان . فانك لا تكاد تتناول بالبحث التاريخي أصلا من اصول النهضة الحديثة الاوروبية الا اضطررت ، الى أن ترجع به الى تاريخ هاتين الامتين .

لا أذكر العلم والفن ، فما أظن من الناس من ينكر أنهما يونانيان قبل كل شيء . وانما اذكر السياسة والحياة الاجتماعية . فما نشأت الآراء الديموقراطية ، بل والمذاهب الاشتراكية فى اوروبا الا حين انتشر هذا التاريخ القديم فيها ، وعرف الناس ديموقراطية اليونان وارستقراطيتهم ، وحركة العمال والزراع الرومانيين وما أدت اليه من شرع غريب .

أوليس أول داع الى الاشتراكية في أوروبا ابان الثورة الفرنسية قد كان يسمى نفسه باسم زعيم هذه الحركة فى روما « كيوس جراكوس » ؟ ! أوليس مصدر ما وقع فيه الثوار الفرنسيون من الخطأ ، في كثير من الاحيان ،

انما هو محاولتهم تحقيق النظم الديموقراطية ، التي ألفها اليونان والرومان من غير أن يفطنوا الى مابين فرنسا وروما واثينا من الفروق .

نريد أن ننهض نهضة سياسية ، نريد أن ننزل الديموقراطية في بلادنا منزلة حسنة ونحن نجهل الجهل كله اصول السياسة وقواعدها ، كما نجهل الجهل كله ضروب الديموقراطية ومذاهبها . فهل نستطيع أن نصل مع هـذا الى مانريد ؟

لا أدعو الى ان يدرس تاريخ اليونان والرومان فحسب ، وانما ادعو الى ان تدرس اقسام التاريخ كلها . والي ان ينال كل قسم منها حظاً موفوراً من العناية. فان حياة النوع الانساني فى جميع العصور والامكنة ، حياة واحدة موقوف بعضها على بعض ، ومن الخطأ الفاحش ان نهمل طرفا منها في حين نستطيع ان ندرسه ونعني به .

لم اقل الى الآن الا مايرغب في درس التاريخ اليوناني من الفائدة العملية وكنت أود لو استطعت ان استغنى عن هذا كله والا ارغب الناس في درس قسم من أقسام التاريخ الا بأنه قسم من اقسام العلم وان من الحق علينا ان ندرسه لانه علم ليس غير. فان الامم التى بلغت من الرقي مبلغاً معقولا تخصص من مالها ووقتها وقوتها مقداراً غير قليل ، تنفقه في درس العلم ونشره ، لاتبتغي من وراء ذلك فائدة عملية . تلك منزلة يسوؤني الاعتراف بانا لم نصل اليها بعد ، ويسرنى أن يكون وصولنا اليها غير بعيد .

— ٣ —

اذا كان الجهل وحده هو الذى ينفرنا من تاريخ اليونان و يرغبنا عنه ، فما أيسر الطب لهذا الداء والتماس الدواء لشفاء هذه العلة . فليس للجهل

دواء الا العلم . كما ان الجوع لايشفيه الا الأكل ، وكما ان الظمأ لا ينقعه الا الشرب .

ولأن تكون علتنا الجهل خير من ان تكون علتنا الغباء وعدم الاستعداد . لهذا أرى ان ليس للراغبين في نشر العلم الا ان يسعدوا ويستبشروا . فان الحاجة اليهم شديدة ، وعملهم أشد الاعمال نفعاً ، وأسرعها انتاجاً .

وقد بلوت ذلك فاحسنت بلاءه ، وجربته فحمدت تجربته . لقد كان الناس في أول عهدهم بدرس التاريخ اليوناني ساخطين منكرين ، يتثاقلون عن الدرس . فاذا خفوا اليه اغرقوا في النوم والاستاذ مغرق في كلامه . يشكون ما بينهم وبين هذه المادة من تنافر ، ويتمنون على الاستاذ لو بدلهم منها مادة أيسر عليهم ، واحب اليهم ، واخلب لنفوسهم .

ولقد اعلن بعضهم اكثر من مرة أن الدرس يسئمهم فيملأهم سأماً ، و يملهم فيقتلهم مللا . فما كنت أزيد على ان اشجعهم مرة ، وألومهم أخرى ، واعرض عنهم في كثير من الاحيان وما هى الا أن مضى على ذلك شهران أو ثلاثة ، حتى أخذت أرى فيهم من بدأ يأنس لهذا الدرس ويتحبب اليه . واخذت اكلف بعضهم المحاضرات واعداد الدروس في هذه المادة ، فيجيبون راضين ، غير كارهين ، ولا متمنعين . فاما من قرأ منهم لغة اوروبية ، فقد كان يجيب الى ذلك فرحا نشيطاً ، وقد كان يعمل فيحسن العمل احساناً اضافياً .

ولقد كنت اتخير لهم اصعب المسائل فلا يحجمون . ولقد كنت اتشدد عليهم في النقد فلا يزيدهم ذلك الا رغبة واقداماً ، فانا عنهم راض وفيهم آمل .

وأما الذين لم يحسنوا الا العربية فقد أقدم بعضهم مجازفاً ، ونكل

بعضهم معذورا ، فان اللغة العربيـة مع الاسف معدمة كل الاعدام في هذه المادة ، وليس يتاح لمن لم يعرف لغة أوروبية أن يشفى نفسه من تاريخ اليونان أو الرومان

هذا الجمهور الذي لم يعرف من اللغات الاوروبية ما يمكنه من ارضاء نفسه المتشوقة الى العلم ، العاجزة عن تحصيله ، هو احق الناس بالعناية . فلئن كان من النافع أن يدرس الناس اللغات الاجنبية فليس من الميسور أن يدرسوها جميعا ، وليس من حقنا أن نطالب الناس جميعا بذلك ، وما رأينا غيرنا قد أرادهم على ذلك فى بلد من البلاد . وانما يجب علينا نحن الذين قرأوا هذه اللغات،وألموا ببعض ما اشتملت عليه من علم أن نبيح لهم حماها. وأن نكون الواسطة بينهم و بين استثمار كنوزها . فان لم نفعل فقد أسأنا الى أمتنا ، والى أنفسنا (وحسبك من شر سماعه) .

— ٤ —

ألممت بعض الالمام بحياة اليونان والرومان وما بينهما و بين الشرق من صلة . وقضى على مكاني في الجامعـة أن افرغ لدرس هذا القسم من اقسام التاريخ،فأخذت في ذلك مستبشرا مبتهجا،ولـكني لم البث ان احسست فتور الناس ونفورهم ، ففترت او كدت . ثم بدا لى ، فرأيت ان امضى فيما أنا فيه،مقدما غير محجم ، وأن أصبر على هذا الفتور صبرا جميلا ، فكانت العاقبة كما قدمت محمودة وكان الاثر مرضيا

ثم رأيت ان الذين يختلفون الى الجامعة مهما كثروا نفر قليل لا يكفى ان يعلموا فتعلم الامة فخيل الى ان الكتابة والنشر اوفق لتقريب هذه المادة من الجمهور وتحبيبها الى نفسه . فعزمت أن أنشر من هذه المادة ما قلت

فى الجامعة وما لم أقل، وان اذيع كل ما من شأنه ان يعطى قراء اللغة العربية صورة واضحة بعض الوضوح ، حسنة بعض الحسن، من حياة الامة اليونانية .

أفعل ذلك لاني أراه واجبا علي للذين لم يمكنهم وقتهم من درس اللغات الاجنبية وواجبا على كذلك للغة العربية نفسها ، فان من الحق علينا ان نبذل ما نستطيع من قوة ، وننفق ما نملك من وقت ، لنغني هذه اللغة ونكثر متاعها مما امتلأت به لغات اوروبا . وليس يغفر لنا ان نعيش في هذا القرن مطالبين بكل ما تستمتع به الشعوب الاوروبية من استقلال سياسى وعلمى . ثم نبقى عيالا على الاوروبيين فى كل ما يغذو العقل والشعور من علم وفلسفة ، ومن ادب وفن جميل .

أليس من المخجل ان يجهل الجمهور الضخم من شبابنا ما اشتملت عليه آداب اليونان من نظم ونثر، ومن تاريخ وفلسفة ، مع ان فهم الآداب الحديثة التى أخذنا نميل اليها ، ونشغف بها غير ميسور اذا لم نلم بهذه الآداب الماما غير قليل ؟ ! وكيف نحاول ان نفهم « كرني » و«رسين» و« شكسبير » و« بيرن » و« جوت » وغيرهم من الشعراء والكتاب والفلاسفة اذا لم نفهم شعراء اليونان وكتابهم وفلاسفتهم ؟ !

اليس مما لابد منه ان نفهم ايفيجينيا (*Iphiguénéia*) لاوريبيديس (*Euripidès*) قبل أن نقرأ « ايفيجيني » لرسين ؟

اليس يجب علينا ان نتقن تاريخ اليونان والرومان ، وان نستظهر دياناتهم وأساطيرهم ، اذا اردنا ان نقرأ كتب المحدثين فلا نتعثر فى فهمها، ولا تقفنا

في كل سطر عقبة ، وفى كل كلمة معضلة ؟

أضف الى هـذا ان من حقنا الحرص على ان يحسن ظن الناس بنا ورأيهم فينا . ولعمرى ما كان من مصادر حسن الظن وصدق الرأى اذا تحدثنا الى الاوروبيين ان يشعروا بأن متاعنا من العلم قليل ، وحظنا من الادب نذر يسير ، لا نحسن الحديث الا اذا لم يخرج عن مصر وشؤونها . فاذا تجاوزنا هـذا الى ما كان ، أو ما هو كائن وراء البحر الابيض بهتنا واخذنا العي والقصور .

كل هذه اسباب ألزمتني ، (ولا اشك فى انها ستلزم غيرى من الراغبين في نشر العلم بين هذه الامة) أن احاول نشر تاريخ اليونان والرومان وآدابهم ، في جمهورنا الذي لا يريد الا ان يتعلم لو وجد المعلمين .

وقد رأيت ان ابدأ من ذلك بنشر ما هو أيسر على الناس فهما ، وألذ في النفوس موقعا ، من غير ان اطيل فأمل ، او أتعمق فأسئم

— ٥ —

بدأت بالاختيار من الشعر التمثيلي عند اليونان . فما ارى من فنون الادب فناً اسهل من التمثيل فهما ، وألين منه ملمساً والذ في النفوس موقعاً .

وقد اخذت نفسى ان اقدم بين يدى هـذه المختارات فصلا فى نشأة التمثيل وتاريخه عند اليونان . مقتصراً فى هـذا الجزء على التمثيل المحزن أو «التراجيديا» . فاذا فرغت من هذا الفصل، وصفت ما عرف التاريخ الادبى من حياة ايسكولوس (*Aïschulos* (*Eschyle*) أول الشعراء الممثلين النابهين ؛ ثم عرضت لما بقى لنا من قصصه التمثيلية ، فاخترت منها ما اعتقد

ان فى قراءته لذة وفائدة . معنيا بأن ألخص ما يسبقه وما يليه ، حتى اذا فرغ القاريء من قراءة ما أختار من قصة من القصص كان قد ألم بموضوعها وما اشتملت عليه من حادثة

فاذا انتهيت من ايسكولوس. ذكرت حياة سوفوكلس (*Sophoclès*) وصنعت بما بقى من آثاره مثل ما صنعت بآثار « ايسكولوس » ولكني اضطررت الى ان أجعل آخر هذا الجزء فى منتصف قصص « سوفوكلس » رغبة عن الاطالة المملة ورهبة من الانفاق الفادح

وانا أرجو ان يروق هذا السفر لقرائنا ، وأن يقع من نفوسهم موقعاً يشجعني على ان امضى فى نشر هذه الاجزاء ، حتى اذا فرغت من التراجيديا في الجزء الثانى عرضت للكوميديا فى جزء ثالث ووددت (وليت هذا الود يغني) ان تكون هذه الصحف المختارة مشوقة للناس الى ان يقرأوا ما بقى من تمثيل اليونان كاملا غير مبتور ، وان يدعوهم ذلك الى الرغبة فيما تركوا من شعر قصصى ، وما أعقبوا من شعر غنائي ، ثم من تاريخ وفلسفة ، الى غير ذلك من آثارهم العقلية والفنية

اذاً لحق لى ان اسعد وأغتبط ، وان اعتقد انى قد وفقت من خدمة اللغة العربية الى بعض ما كنت اريد .

طه حسين

القاهرة في ٦ مايو سنة ١٩٢٠

التمثيل اليونانى

مهده ـ نشأته وتاريخه

— ١ —

فى آخر أغريقيا الوسطي حيث تماسها أغريقيا الجنوبيـة يتقدم في فى البحر جزء ضيق صخرى ، هو الى الجدب والقحولة ، أقرب منـه الى الخصب والرخاء . يطيف به الماء من ثلاث جهاته ، وتكثر فيه التلال الجرد والوديان قد ملأتها صغار الحصى؛هذا الجزء هو اتيكا ـ لا يعرف التاريخ من أولية الحضارة في هـذا الاقليم شيئاً ذا خطر . وانما تروى الاساطير وتؤيدها المباحث العلمية عن اللغة والدين والناس ، انه كان مأوى لطوائف مختلفة الاجناس اليونانية وغير اليونانية،نزحت اليه من الشمال والجنوب والشرق، وسلكت اليه طريق البر والبحر .

فكلما أغار مغير علي قسم من أقسام البلاد اليونانية وفر أمامه أهل هذا القسم ، لجأت طائفة منـه قليلة او كثيرة الى هـذا الاقليم ، فأوت اليه ، وتحصنت فيه ، وعاشت به آمنة مطمئنة .

كذلك لجأ الي اتيكا عـدد ضخم من قبائل بيوتيا حين أغار عليها التساليون .

وكذلك نزح اليها جمهور عظيم من أهل بلوپونسوس الشرقية والغربية حين احتلها الدوريون والايئوليون .

ومما لاشك فيه أن طوائف غير قليلة من الذين كانوا يسكنون الشاطيء الاسيوى لبحر ايجيا.قد هاجروا الى اتيكا في عصور مختلفة لم يحفظها التاريخ عبروا البحر شيئاً فشيئاً متمهلين غير متعجلين ، لمكان الجزر المنبثة بين الشاطئين الاوروبى والاسيوى ، فكانوا كلما مروا بجزيرة نزلوها ، واتخذوها مقاماً . ثم نزح بعضهم . وبقي الآخرون . وتدل الآثار التي استكشفت حديثاً ، على أن هذا القسم ، من بلاد اليونان الوسطى ، قد عرف حضارة الاكويين فى أرجوس ومسينا والمينيين في اوركومنيوس .

مهما يكن من شيء فقد كان أهل اتيكا يمثلون جميع الشعوب اليونانية حاشا الدوريين الذين كانوا من قوة الشخصية وتماسك الجنسية ، بحيث لم يكن من الميسور لهم أن يندمجوا فى غيرهم من الشعوب ، ولم يكن من السهل على غيرهم من الامم ان تهضمهم ، فتمحو مميزاتهم وخصائصهم وتقطع مابينهم و بين جنسيتهم الاولي من صلة أو سبب .

كانت هذه الشعوب المختلفة حين تفد على اتيكا مضطرة الى شيء من الجهاد لتجد لها فى هذا الاقليم الضيق منزلا تنزله ، ومأمناً تستقر فيه . فاذا وصلت من ذلك الى ماتريد ، فهي مضطرة الى الجهد والجد ، والى العناء والكد ، لتستخرج عيشها من هذه الارض غير الغنية ولا الميسورة الاستثمار .

ومن هنا كان هذا الاقليم اشد الاقاليم اليونانية حثاً لسكانه على العمل وحملا لهم على الدأب فيه ، والاستمرار عليه .

لم تكن أرضه لتجود بما فيها حتى يطلبه السكان فيلحوا في طلبه ، فاذا جادت لم تجد بأكثر مما يقيم الاود ، ويوشك ان يسد الحاجة ، ويكفي المسألة .

— ٢ —

اختـلاف اجناس السكان وتباين شعوبهم وافتراق منازلهم الاولى ، كان سبباً في ان كل شعب من هـذه الشعوب قد وفد على اتيكا وله من الصفات والمزايا ماليس لغيره

وجدب الارض وضنها بما فيها ، كان سبباً في أن كل شعب قد اضطر الى أن يجد ويعمل ، فيظهر ما امتاز به من مزايا وخصال

وكان مكان هذه الشعوب بعضها من بعض فى هذه الارض غير السهلة ولا الخصبة ، حاملا لها على أن تتعاون وتتظاهر ويشد بعضها ازر بعض فما اسرع ماقام الامن والوفاق بينها مقام الخوف والافتراق . ومع هذا فهى لم تؤلف امة واحـدة متصلة الاجزاء ، متماسكة القوى ، الا بعد أن اقامت منتشرة متفرقة زمنا غير قليل .

سلـكت الى هذا سبيلا واضحة جلية ، فأخذت هذه الطوائف تتعاون وتتناصر على حياتها الاقتصادية لتستثمر الارض من جهة ، وعلى حياتها السياسية لتدفع عنها شر المغير من جهة أخرى . فنشـأت في اتيكا قبائل تصل بينها الحلف والمعاهدات . ثم أخذت هذه القبائل تتقارب وتتدانى قليلا قليلا . وأخذت حياتها الاقتصادية والسياسية تتوحد وتتماس اجزاؤها حتى أصبحت اقرب ما تكون الى الوحدة ، فظهرت في ذلك الوقت قرية من القرى امتازت من غيرها بالثروة وشدة البأس ، فما اسرع ما ضمت هذه القبائل والفت منها شعبا واحدا ، بل مدينة واحدة وهى مدينة اتينا .

— ٣ —

تعاونت طبيعة الارض والاقليم وموقعها الجغرافى وطبيعة السكان ، على

ان تكون من أهل اتيكا شعبا ممتازا كل الامتياز ، من الشعوب اليونانية الاخرى ، فمع ان هذا الشعب قد كان يزعم نفسه يونياً ، فقد كان يمتاز من اليونيين بصفات مقصورة عليه ، لم يشاركه فيها غيره من القبائل اليونية في آسيا .

ذلك لان الشعب كما قدمنا ، كان يتألف من شعوب كثيرة اكثرها يوناني واقلها أسيوي ، فجمع اليه خلاصة ما لهذه الشعوب من فضيلة . ولان الارض كانت كما قدمنا مجدبة من غير ان تكون صحراء ، فقد كانت تجرى فيها غدران ضيقة ضئيلة، تجف اذا اشتد الحر ولكنها كانت تبل الارض فتنبت فيها قليلا من القمح والشعير وشيئا من الكرم والتين والزيتون. ولم تكن تخلو من المعدن وغيره من مصادر الثروة ، فقد كانت فيها مناجم للفضة ومحاجر للمرمر اغنت اهلها وفضلتهم على غيرهم اكثر من مرة.وكان الاقليم فيها معتدلا جافا ليس هجيره بالمحرق ولا برده بالقارس . ليست بكثيرة السحاب ، وليس لها بالضباب عهد ، فالهواء فيها خفيف شفاف ، وضوء الشمس والقمر فيها مجلو بديع حين تسقط اشعته على البحر او على الصخور العارية المختلفة الالوان . ذلك الى ان موقعها الجغرافى من البحر كان يهيؤها لتكون اقليما تجاريا بحريا قبل كل شيء

ظل شعب اتيكا بمعزل من الحياة اليونانية المضطربة عصرا غير قليل لم يشترك فيما كان يملأها من حرب ونزاع ، ومن خلاف وفرقة . بل اخذ يستحيل و يتطور شيئا فشيئا — ان صح هذا التعبير — وقد تمت له هذه الاستحالة بأقل ما يمكن من ثورة وعنف ، فانضمت قبائله المختلفة ، وكونت دولة واحدة من غير حرب ، ونشأت هذه الدولة فى ظل الملوك

حينا ، ثم في ظل الارستقراطية يقرب نظامها من النظام الملكى في اول الامر ، ثم يدنو من النظام الجمهوري قليلا قليلا ، حتى جاء (سولون) فأخذت الديموقراطية تظهر وتعلن وجودها وقدرتها على الحياة . ثم قام (پيزستراتيدس) فاستأثر بالحكم وتبعه ابناه من بعده . وفي عصرهم أظهر هذا الشعب انه هو الشعب اليونانى الذي ستأوى اليه حضارة اليونان وقوتهم فتجد عنده مأوى أميناً ومعقلا حصيناً . في هذا العصر جمعت الالياس والاوديسيا ودونتا بعد ان محصتا و برئتا من الزيادة والاختلاف . وقبل اليونانيون كافة جمع اتينا وتمحيصها . فكان ذلك اول اعتراف لها بالسلطان الادبى والتفوق العقلي على اليونان جميعاً .

زالت من أتيكا دولة الطغاة سنة عشر وخمسمائة قبل المسيح . وقامت فيها ديموقراطية معتدلة منظمة لم يعهدها العالم القديم .

ولم يكد يمضى على هذه الديموقراطية عشرون سنة حتى أظهرت أنها نافعة مغنية . وأنها انما نشأت لتسلك بالانسانية سبيلا جديدة . فقد كانت حروب الفرس التي كادت تلتهم اليونان فتقضى على كل ما كان للانسانية حينئذ من حياة عقلية لولا أن نهضت هذه الديموقراطية الآتينية فأنقذت اليونان مرتين : مرة في مراثون سنة تسعين وأربعمائة ، ومرة في سلامين سنة ثمانين وأربعمائة. ثم لم تزل بالفرس حتى زعزعت عرشهم وأضعفت قوتهم ، وخفضت كلمتهم . وجعلتهم من الوهن والاضطراب بحيث استطاع الاسكندر أن يثل عرشهم. وبهذا الانتصار على الفرس ظهرت أتينا واعترف اليونان لها بالسلطان والتفوق [illegible]ي. فأصبحت زعيمة الاغريق فى كل شيء. ولن يستطيع الناس ان يقدروا هذه الزعامة قدرها ، و يعرفوا ما قامت به

للأدب والفلسفة خاصة ، وللحضارة والمدنية عامة : من خدمة قد يعجز عن أن يصف خطرها الواصفون .

— ٤ —

كان ظفر أتينا فى رد غارة الفرس عن بلاد اليونان أول عصر جديد لها فى الحياة السياسية . فقد عرف اليونان لها الزعامة كما قدمنا . وما أسرع ما ألفت مع جزر بحر ايجيا وكثير من المستعمرات اليونانية في تراقيا جماعة متحالفة على حرب الفرس، متناصرة على تحرير البحر وحماية التجارة اليونانية وانقاذ سكان آسيا اليونان من سطوة الملك الأعظم . وأصبحت أتينا عاصمة لهذا التحالف . فكانت بهذا ملتقى للوفود اليونانية من جميع الشعوب على اختلاف أجناسها وملكاتها . وكل الناس يعرف أثر هذا الاختلاط بين الأجناس فى الحياة العقلية والأدبية . فليس من شك في ان أتينا مدينة له بشيء غير قليل من نهضتها العامة التى بلغت أقصى ما كان يمكن أن تبلغه في القرن الخامس .

أضف الى هذا أن أتينا أصبحت بعد الحروب الفارسية أعظم دولة بحرية وأخذت أساطيلها تنتشر في معظم البحر الأبيض المتوسط . فكانت تزور مصر وشواطيء آسيا الصغرى ، وكانت تزور البحر الأسود الى أقصاه ، ولم تقف عند هذا الحد ، بل زاحمت أهل ايطاليا وصقليا فزارت اساطيلها القسم الغربى من البحر الابيض . ومن الواضح أثر هذه السياحات البحرية والمعاملات التى كانت تصل بينها وبين غيرها من امم الشرق والغرب المجاورة للبحر . فقد كانت تقفها من العلم على شيء كثير في فنون مختلفة ، كانت تعلمها المواقع

الجغرافية لهذه البلاد وترشدها الى ما لأهلها من نظم اجتماعية وسياسية ودينية واقتصادية .

وكانت تطلع الباحثين من أهلها على ما كان لهؤلاء الناس من حظ علمي قليل أو كثير، وكان التجار والبحارة لا يكادون يعودون الى اتينا حتى يتحدثوا بما شهدوا معجبين الاعجاب كله . وكان فوز التجارة وامتداد السلطان السياسي يؤيد هذا الاعجاب ويضاعف تأثيره ، فتشتد الرغبة فى السياحة وزيارة الاقطار المختلفة . ولولا ما كان يشغل الاتينيين فى ذلك الوقت من حرب او استعداد لحرب، ومن أعمال سياسية في المدينة يقتضيها النظام الديموقراطي ولا سيما اذا أحبه الشعب وشغف به لاصبح الاتينيون وكلهم سندباد بحري .

— ٥ —

هذا الفوز السياسى الذي أظهر أتينا وأعلى مكانتها بين أمم اليونان بعث فى نفوس الاتينيين شيئاً غير قليل من الثقة بأنفسهم والاكبار لمكانتهم . فما كان يشك هذا الاتيني الذى انتصر على الملك الاعظم فهزم جيوشه ودمر أسطوله ورده الى آسيا تعساً ذليلا وحرر من ربقته شعوب اليونان الاسيوية أنه يقصر عن شيء أو أن فى هذه الحياة ما يعجزه ويفوته .

ومتى نزلت هذه الثقة بالنفس من قلب الشعب منزلة حسنة من غير أن يفسدها الاسراف والغلو أو يحمل الاعجاب بها على الركون اليها والقعود عن العمل والاخلاد الى الاستمتاع بها ، اقول متى نزلت هذه الثقة من قلب الشعب منزلة حسنة كانت مصدراً لانواع من الفوز والظفر لم يكن الشعب لينتظرها أو يطمع فيها . ولقد كان الشعب الاتيني في هذا العصر على شدة

ثقته بنفسه وشعوره بقوته مقدراً لهما حق التقدير غير مسرف في ذلك ولا مغرق، يجرأ ولكن بعد أن يتروي و يقدم ولكن بعد أن يتدبر. فكان هذا سبيله الى اتمام مابدأ من فوز وغلب . فأصبحت له السيطرة على تجارة البحر وعلى معظم جزره، وأصبحت تجبى اليه أموال هذه الجزر فينفقها في تقوية أسطوله و بسط سلطان الجماعة المتحالفة

هذه الثقة بالنفس لم تقتصر على الجهة السياسية والاقتصادية، بل تجاوزتها الى الجهة الادبية والفنية والعقليه. فاذا كانت أتينا وطناً لايسكولوس وسوفكليس وأورو بيديس من الشعراء الممثلين ، وافدياس زعيم الفن الجميل ولسقراط مؤسس الفلسفة فهي مدينة بهذا لذلك المجد المؤثل الذي ملأ نفوس أبنائها ثقة واقداماً فاعتقدوا أنهم قادرون على كل شيء ونظروا الى ما حولهم من آثار الادب والفن والفلسفة والسياسة ، فرأوا أنه من الضعف والوهن ومن القدم وطول العهد بحيث لم يكن بد من ازالته واقامة الجديد مقامه .

وقد حاولوا ذلك في السياسة فظفروا كل الظفر وحاولوه في غيرها فأفلحوا الفلاح كله، ولولا هذه الثقة وهذا الاقدام لكان من الممكن ألا يفوز الادب والعلم والفن بما وضع له الاتينيون من دعامة ثابتة وأساس متين

— ٦ —

لم يكن بد من ايجاز ما قدمنا من الحياة الاتينية لنفهم كيف نشأ التمثيل فيها وارتقى ، وكيف استحال وانتقل من طور الي طور حتى بلغ أقصى ماقدر له من الرقي فى القرن الخامس قبل المسيح

مع أن النصوص التاريخية التي تشير الى نشأة هـذا الفن قليلة غامضة فمن اليسير أن نتخذ لنا من هذه النشأة صورة واضحة بعض الوضوح اذا أبحنا

لانفسنا شيئاً من التدبر والاستنباط

الدين اليوناني هو الذى أهدى هذا الفن الى الامة اليونانية ، فان لكل اله من آلهة اليونان حياة خاصة لقى فيها من ضروب الخير والشر، ومن صنوف النعيم والبؤس ما حببه الى الشعب وأقام له فى نفسه مكانة ما . وقد كان اليونان اذا عبدوا آلهتهم حرصوا كل الحرص على أن يظهروا تأثرهم بما ملأ حياة الآلهة من خطوب فيفرحون لما نالهم من نعيم ويحزنون لما أصابهم من شقاء ، وكانوا لا يكتفون باستشعار الفرح والحزن في نفوسهم ،بل يظهرون ذلك اظهاراً ويشتركون فيه اشتراكا.وأوضح طريق تخيلوها لاظهار مايسرهم او يحزنهم من حياة الآلهة وما عرض لهم فيها من خطب،انما هى تمثيلهم هذه الحياة وما اشتملت عليه فى أطوارها المختلفة . ذلك هو مصدر كثير من الحفلات التى كان يقيمها اليونان لآلهتهم وأبطالهم من حين الى حين . ومن هنا نشأ فن التمثيل

كانت الاساطير تحدث اليونان بان أبلون مثلا حينما وصل الي دلف قتل حية تسمي يثون رمياً بالسهام . فكانوا اذا أرادوا اعلان مجد الاله وما كان له من فوز وظفر مثلوا هذه الحادثة من حين الى حين . وكانت الاساطير تحدثهم بان أبلون بعد ظفره قد أعلن فرحه وابتهاجه فجمع اليه القيان من آلهة الشعر والموسيقي بالقرب من أعين جارية وأشجار مورقة في سفح البرناس ، فأخذ يوقع على قيثارته وهن من حوله يتغنين و يرقصن و يلعبن ضروباً من اللعب ،فمثلوا ذلك وأقاموا من وقت لوقت حفلات موسيقية تسابق فيها المغنون والموقعون ، وقدرت الجوائز لمن فاز منهم بالسبق . على أن الهين اثنين أثرا في نشأة التمثيل أثراً خاصاً : هما ديونوزوس اله الخمر

ودمتير الهة الخصب . كلاهما امتلأت حياته بكثير من الخطوب المحزنة والسارة ،كلاهما مازج الشعب وخالطه في حياته اليومية،وكلاهما كان فى نفس الشعب رمزاً لما ينال الطبيعة في فصول السنة على اختلافها من نضرة و بهجة حينا ومن ذوى وذبول حينا آخر . وكلاهما شغف اليونان بعبادته وتمثيل حياته فى طور خاص من أطوارهم السياسية والاجتماعية: هو طور النزاع العنيف بين طبقة الديموقراطية والارستقراطية الذى بدأ فى أواخر القرن السابع وأوائل القرن السادس قبل المسيح .

فى هذا العصر كان العقل اليونانى قد رقي رقيا ما . فظهرت حكمة الحكماء وأمثالهم من جهة،وأحس الشعب وجوده وشخصيته من جهة أخرى، وأحس الى جانبهما سوء حاله من كل وجه،وحسن حال الارستقراطية ،فأخذ يطالب بحقه شيئا فشيئا،وكثيراً ما كان يدركه اليأس والفشل لقوة الارستقراطية والطغاة وتمكنهم من كل شىء،سواء أكانت قوة سياسية أم قوة اجتماعية واقتصادية . فكان الشعب ينتهز فرصة هذه الحفلات الدينية ليلهو ويلعب ملتمساً في هذا اللعب وذلك اللهو عزاء عما كان يملأ حياته من بؤس ويثقله من سوء حال ، مستفيداً مما كان يبيح الدين له من الاغراق في الاكل والشرب والاستمتاع بلذة الحياة المادية،فكان يأكل فيسرف،ويشرب فيفرط وتأخذه نشوة هذا الاسراف والافراط فيتغني ويرقص ، ثم لا تكاد تتألف جماعاته للحفل بالاله وتمثيل حياته المحزنة او السارة حتى يملكه السكر ويأخذه شيء من الذهول فينسى حياته الحقيقية وما فيها من شقاء

فى هذه الحفلات التي كانت تقام اكراماً لديونوزوس ودمتير عنى بعض الشعراء الغنائيين بتناول بعض ما عرض لهما من صروف الحياة فنظم

فيه الشعر، وكان يجمع اليه طائفة من الناس يلقنهم الابيات ملؤها الحزن والشكاة يرددونها من حين الى حين، يقطعون بها ما كان يلقى من شعر يبسط فيه ألم الاله أو لذته . وكان هؤلاء الناس الذين يسمون « الجوقة » في حفلات ديونوزوس يرتدون جلود (١) المعز تمثيلا لرفاق هذا الاله. فسمى هذا الغناء غناء تراجيدياً وكان اول مظهر من مظاهر التمثيل

— ٧ —

ظهر هذا الغناء التراجيدي في شمالى بيلوپونيسوس آخر القرن السابع وأول القرن السادس قبل المسيح . ويذكر مؤرخو الآداب اليونانية شاعراً من مدينة سيكيون يردون اليه فضل اختراع هذا الفن ، واسمه اجنيس، ولكنهم لا يعرفون من أمره شيئاً . ومما لاشك فيه أن هذا الشاعر وغيره من شعراء بيلوپونيسوس لم يتجاوزوا بالتمثيل هذا الطور الذى وصفناه، ولم يزيدوا على هذا الغناء التراجيدي شيئاً . لهذا كانت اتيكا مهداً للتمثيل، فانه قد ولد فيها ونشأ وما زال يرقى و يستحيل شيئاً فشيئاً حتى وصل الى ما وصل اليه من الرقي في القرن الخامس قبل المسيح

يعرف التاريخ الادبي لليونان اسم شاعر ولد فى قرية من قرى أتيكا نحو سنة ثمانين وخمسمائة يقال له تسبيس ، وقد أجمع رواة اليونان والرومان ومؤرخوهم على أنه هو الذى اخترع التراجيديا وأذاعها في بلاد أتيكا جميعاً . يقول هوراس الروماني، ان تسپيس هذا كان يتنقل بين قرى أتيكا ومعه فنه على عجلة يمثل في الاسواق والمجتمعات . فما أسرع ما كلف الناس بهذا الفن الجديد ورغبوا فيه . وأول شيء أحدثه تسپيس فى التمثيل ، فغاير بينه

(١) المعز يسمى تراجوس في اليونانية

و بين الغناء التراجيدي ، هو انه أوجد مكان الشاعر الذي كان يقص حياة الاله أو البطل شخصا يمثلها . ولم يكن هذا الشخص يكتفى بأن يقيم نفسه مقام البطل أو الاله، بل كان يحاول بقدر مايستطيع أن يتخذ شكلهما، فكان يصبغ وجهه بشيء من الاصباغ، وربما أضاف الى لباسه شيئا ما يمثل بعض التمثيل ما كان يتصور اليونان من زي الآلهة والأبطال

ثم لم يكتف تسپيس بأن يكلف الجوقة استظهار أبيات من الشعر وترديدها من حين الى حين، وانما احدث بينها و بين الشخص الممثل شيئا من الحوار ساذجا في أول الأمر، ولكنه مصدر رقي التمثيل

كانت الجوقة تلقى السؤال من وقت الى وقت على الشخص الممثل فيجيبها عليه ذاكرا بعض أخبار القصة التى يراد تمثيلها ، مضيفا الى ذلك ما يتخذ من المهارة في حركات وجهه و يديه وسائر جسمه ، ليمثل البطل أو الاله ، ومن هنا أصبحت التراجيديا كما كان يتصورها تسپيس تنحل الى ثلاثة أشياء

الأول — قصة يلقيها الشخص الممثل مبتدئا تارة ، ومجيبا على أسئلة الجوقة تارة أخرى

الثاني — ما تتغني به الجوقة من شعر في الرثاء للبطل أو الاله أو في الاعجاب بالطبيعة ومظاهرها ، ومن مسائل تلقيها على الممثل

الثالث — ما يضيفه الممثل نفسه الى أقواله من حركات جسمية أو نبرات في الصوت، ليحسن تشخيص الاله أو البطل، و يزيد التأثير في نفس الجمهور

— ٨ —

اشتد كلف الجمهور بهذا الفن وبلغ من الشدة أن اعترفت به الحكومة السياسية،فأصبح التمثيل المحزن من الحفلات التى تقيمها الحكومة فى عيد ديونزوس اكراما له واجلالا

ويقال ان من أهم الأسباب التي حملت الحكومة الأتينية على أن تعترف بالتمثيل وتضيفه الى البرنامج القانوني لعيد ديونزوس ان پزستراتيدس الطاغية بعد أن عاد من النفى سنة اربع وثلاثين واربعمائة أراد ان يكسب قلوب الشعب ويلهيه عما فقد من حرية سياسية،فاهدي اليه فن التمثيل وقرر أن يتسابق فيه الشعراء قبل أن يؤون أوان العيد

وأحسب ان فى هذا شيئا من المبالغة والاسراف ، فان درس تاريخ أتينا يعلمنا أن الحكومة الأتينية ما كانت ترى الشعب يكلف بشيء من من الأشياء كلفاً عاما الا اعترفت به واتخذته لنفسها قانوناً ، فان الحكومة الأتينية على اختلاف أشكالها السياسية كانت شديدة الميل الى النظام الديموقراطى وما يستتبع من الاعتراف بميول الشعب واهوائه والاسراع الى تحقيقها في كثير من الأحيان . ومهما يكن من شيء فقد كان اعتراف پزستراتيدس بالتمثيل مصدراً لحياته الحقيقية وحامياً له من التشتت والضياع، وحاملا اياه على ان ينمو ويستحيل فى هدوء ونظام حتى يبلغ أشده

ليس من الميسور أن نعرف كيف استحال التمثيل منذ اعترفت به الحكومة الى نحو سنة ثمانين واربعمائة قبل المسيح. ولكنا نعرف انه قد ارتقى فى هذا الامد القصير رقياً ظاهراً. فعدلت الجوقة عن أن ترتدى جلد المعز لتمثل رفاق ديونزوس . ومعني هذا أن التراجيديا قد تجاوزت حياة

ديونزوس الى غيرها من الموضوعات ، وأصبحت قادرة على ان تمثل كل شيء من حياة الآلهة والأبطال. بل هي لم تكتف بهذا، فتناولت الموضوعات المعاصرة، وحاولت تمثيل الحياة اليونانية، أو على أقل تقدير ما يقع فى هذه الحياة من الأحداث ذات الخطر . فمثل فرنكوس الشاعر سنة خمس وتسعين واربعمائة امام الشعب الآتيني سقوط مدينة ميليه فى يد الفرس فأبكاه وأحزنه، وساء أثر هذه القصة فى نفس الآتينيين فعاقبوا الشاعر الممثل لانه لعب بين يدى الشعب ما يسوءه ويحزنه . ومثل سنة خمس وسبعين واربعمائة قصة الفينيقيين أظهر فيها ظفر أتينا على الفرس

كانت هذه الاستحالة التى أشرنا اليها خطوة خرج بها التمثيل من طفولته الى شبابه، وفارق بها سذاجته الأولى، فأصبح غير مقصور على القيام بما كان يقوم به من واجب ديني يقصد به الى تعظيم الالهة والأبطال وتسلية الجمهور. بل سما الى غاية أخرى أشد من هذه الغاية دقة وأجل خطرا وأبعد منالا ؛ هى تمثيل الحياة الانسانية وما يبعث العمل فيها من عواطف مختلفة وميول متباينة وأهواء متناقضة . فلم يكن الشاعر الممثل حين يضع قصة من القصص يقصد الى سرد حوادث ملأت حياة بطل أو اله، ولا الى أن يسمع الجمهور ما يتلوه الممثل أو تتغنى به الجوقة من شعر جميل النظم حسن الموقع وانما كان يقصد الى أن تكون قصته مرآة ناصعة تظهر فيها صورة من صور الحياة القديمة أو الحديثة وما عمل فى تكوين هذه الصورة من عاطفة أو هوى . وكان يريد أن يرى الجمهور نفسه على مسرح التمثيل ، فيشعر بما يزينه من فضيلة أو يشينه من عيب، وكان الى هذا وذاك يريد ان يبعث فى نفس النظارة من العواطف ما تقوم عليه الحياة الاجتماعية والسياسية من ثقة

تحمل على الاقدام والجرأة والشغف بجلائل الأعمال ، أو رحمة تدعو الى البر والاشفاق والأخذ بيد الضعفاء والبائسين ، وكان فوق هذا كله يحرص على أن يمثل للجمهور الجمال في أبدع مظاهره وأبهجها حتى لا ينحط ولا يفسد ، والقضاء في أشد ما يكون قسوة على الانسان وعبثا به حتى لا يغتر ولا يطغى، الى غير ذلك مما ستراه واضحاً جلياً فيما سنترجم أو نلخص في هذا الكتاب

— ٩ —

هـذا الرقى المعنوى الذى رقاه التمثيل في أمد قصير متأثراً بما أصاب الحياة الأثينية من استحالة سياسية أو اجتماعية استلزم رقيا ماديا لم يكن منه بد . فبعد أن كان الممثل فرداً واحدا يمثل بطلا أو الها لا يتكلف فى تمثيله اياه الا الشيء القليل من تلوين الوجه والاضافة الى الزي ، أصبح فى عصر ايسكولوس شخصين، ولم يكن بد من اتخاذ الأزياء الخاصة لكل قصة، ومن اتخاذ النقب التي تمثل الوجوه المختلفة . فأما تعدد الاشخاص فقد استلزم تنويعا فى المحاورة قرب القصة الى الحقيقة ودانى بينها و بين الواقع ونقل المنفعة من حوار الجوقة والممثل الي حوار الممثلين، فاصبح مكان الجوقة مكاناً اضافيا يزيد في جمال القصة ورواءها من غير أن تكون رهينة به أو موقوفة عليه ، ونحن مدينون لهذا التعدد بأجمل ما اشتملت عليه القصص التمثيليـة من حوار. واما اتخاذ النقب وتغيير الزي فيدلان على ان الممثلين قد أصبحوا محققين اكثر منهم مخيلين ، اى انهم كانوا يحاولون ان يخلبوا الجمهور ما استطاعو او يحملوه على ان يعتقد أنه انما يرى شيئاً واقعاً محققا لا متوهما ولا مخيلا، وذلك بالعدول عن الاسراف في الخيال من جهة والاستعانة بالآلات المادية من جهة أخرى.
و بعد أن كان التمثيل بدويا ينتقل من مكان إلى مكان و يطوف أنحا

أتيكا فى المواسم والاعياد أصبح حضريا مستقرا فاقيمت له الملاعب ونظمت حفلاته تنظيما لابد من الالمام به

— ١٠ —

يدل ما قدمناه علي ان حفلات التمثيل كانت دينية قبل كل شيء ،أى ان اليونان كانوا يعبدون آلهتهم حين يمثلون او يشهدون التمثيل ، ولم تكن هذه الصفة الدينية لتمنعهم أن يلهوا و يلعبوا،أو ان يلذوا و يطربوا،فقد كانت ديانتهم سمحة سهلة حظها من الشعر عظيم ،فكانوا يقاسمون آلهتهم لذاتهم وآلامهم،وربما انفردوا دونهم بالحظ الاعظم منها،فقلما كانوا يضحون للآلهة الا أكلوا معظم ضحاياهم ولم يقدموا اليهم منها الا الشيء القليل .

هذه الصفة الدينية التي حملت الحكومة على الاعتراف بالتمثيل حملتها على العناية بتدبيره والانفاق عليه،فكان التمثيل في حقيقة الامر اجلالا وتكرمة ترفعها الدولة في كل سنة الي الاله

كعادة اليونان في جميع حفلاتهم الدينية اتخذت المسابقة قاعدة لتنظيم التمثيل . فكان الشعراء الممثلون يقدمون الى رئيس معين من رؤساء الحكومة هو الاركنتوس الذى كان يعطى اسمه للسنة ما كان يريد ان يمثل من قصة . ولم يكن بد لكل شاعر يريد ان يشترك في هذه المسابقة من ان يقدم قصصاً ثلاثا وقصة رابعة قصيرة يحافظ فيها على النظام التمثيلى القديم :من ارتداء الجوقة جلود المعز ومن حرية التعبير واستعمال الفاظ وجمل وحركات قد لا تبيحها الآداب العامة

فاذا قدم الشعراء مالديهم الى هذا الاركنتوس اختار منهم ثلاثة هم الذين توضع قصصهم موضع البحث والانتحال . ودفع لهؤلاء الشعراء أجراً يتفق

معهم عليه بعد مساومة ومشادة ، والدولة هي التي كانت تدفع هذا الاجر .
وكانت العادة أن تنتخب كل قبيلة فرداً من سراتها وأغنيائها ليقوم بما بقى من تنظيم حفلة التمثيل . يكلف ذلك ثلاثة في كل عام

فكان كل فرد من هؤلاء الأفراد يكلف تنظيم التمثيل لواحد من الشعراء ، فيختار الجوقة ويختار لها المعلمين والملقنين ويكسوها ويشتري ما تحتاج اليه من آلة ينفق على هذا كله من ماله ،حتي اذا ما جاء ميعاد التمثيل ازدحم الناس في الملعب ولم يكن بد من أن يشهد التمثيل جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاتهم، فمن منعه فقره واعدامه من ذلك فعلى الدولة أن ترزقه أجردخوله الى الملعب

كان هذا الملعب في أتينا قد أقيم على منحدر تل صغير نحتت في صخره مجالس للناس مدرجة فى شكل نصف دائرة . وقد خصصت صفوفه الثلاثة السفلى لمن أريد تشريفهم: يجلس فى أولها القسس والكهنة محيطين بقسس ديونوزوس الذى كان يقام التمثيل اكراما له . هذا المدرج كان يسميه اليونان « ثياترون » أي (موضع النظر)

دون هذا المدرج كانت تنبسط أرض سهلة ممهدة فى شكل نصف دائرة ايضا ،كان اليونان يسمونها اركسترا أى (موضع الرقص) وفى وسط هذه الارض كانت تقوم مائدة الالهة تطوف بها الجوقة راقصة متغنية محاورة، ثم يرتفع فيما دون هذا المرقص أمام النظارة حائط هو الذي يسمى المنظر ، عليه يمثل ما كان يراد تمثيله من الصور والمناظر . وأمام هذا الحائط يمتد مرتفع ضيق مستطيل كان يقوم عليه الممثلون يصلون اليه من باب قد شق فى وسط الحائط

يفد الناس الى الملعب منذ آخر الليل ويبدأ فى التمثيل مطلع الشمس فتدخل الجوقة صفوفا يتقدمها رئيسها ، ثم يظهر الممثل ، وكان فى أول الأمر واحداكما قدمنا، ثم أصبح اثنين ثم ثلاثة ، ولم يتجاوز الممثلون هذا العدد. وكان من الحق على الشاعر مهما كثرت اشخاص قصته ان يقسمها بين هؤلاء الممثلين ، فكان احدهم ربما مثل شخصا او شخصين أو أكثر من ذلك وكان يمثل الرجل والمرأة لا يتغير فى هذا الا الزى ، فان المرأة لم يكن يسمح لها ان تشترك فى التمثيل

يظهر الممثل وقد اتخذ من الأزياء ما يلائم مكانه من القصة، وكانت العناية شديدة بأن يمثل هذا الزي صاحبه جليلا وقوراً تراه الأعين فتهابه ويشعر الناس حين يرونه بكل ما يملأ قلوبهم من جلال الأبطال

كان ممثل التراجيديا يتخذ نعالا عالية ترفع قامته وتباعد ما بينه وبين الارض، وثيابا ضافية فضفاضة، ونقاباً يرسم صورة الشخص الذي يريد أن يمثله، ومع أن هذا النقاب كان يحول بين الممثل وبين ما كان يود أن يظهر الجمهور عليه من حركات وجهه وتشكله بما يلائم أحواله المختلفة من الاشكال المتباينة ، فقد كان يستطيع بواسطة اللحظات ونبرات الصوت وحركات اليدين وسائر أعضاء الجسم أن يبلغ من نفوس النظارة مايريد من تأثير.

مثل الشعراء أنفسهم فى أول الامر ما كتبوا من قصص ولكن ما كاد التمثيل يرقي بعض الرقى حتي ظهرت طائفة الممثلين تخصصت لهذا الفن وارتاح لذلك الشعراء ، فكانوا يتقسمون فيما بينهم آثار الشعراء فيدرسونها و يأخذون أنفسهم بتمثيلها وتفسيرها : يتقاضون على ذلك أجرا من الدولة . وما زالت هذه الطائفة ترقى و يتميز أفراد منها بالاجادة في الفن حتى أحرزوا في الجمهور

مكانة عالية، واضطر الشعراء الى أن يحسبوا لهم حساباً حين ينظمون قصصهم وكثيرا ما أنشأ الشاعر قصة من القصص ليلعبها بين يدى الجمهور ممثل بعينه

يبدأ التمثيل كما قلنا مطلع الشمس ويستمر النهار كله ، ثم يعود فيبدأ من غد ومن بعد غد، ثلاثة أيام، لكل شاعر يوم ، وفي كل يوم ثلاث قصص الى القصة الصغيرة الستيرية التى أشرنا اليها آنفاً . فاذا تم التمثيل انتخب الرئيس الذى وكل اليه تنظيمه قضاة عشرة لا يستشير فى انتخابهم الا القداح . ثم حلف هؤلاء القضاة ليحكمن عادلين غير جائرين ولا متبعين للهوى . فمن حكموا له بالاولية فهو الفائز الظافر، ثم يأتي بعده الثاني الذي يليه اجادة واتقاناً، أما الثالث فمقهور مغلوب لاحظ له من المكافأة

وليس معنى اختصاص هؤلاء القضاة بالحكم أن صوت الجمهور لم يكن ذا قيمة ولا خطر ، فان القضاة أنفسهم كانوا من هـذا الجمهور يتأثرون بما يتأثر به، وما كان أشد تأثر الجمهور الأتيني . وما كان أسرعه الى اظهار مايشعر وأعنفه في اظهـاره ، فكان يصفق ويصيح مشجعاً حين يعجب ويسر ، وكان يصفر ويصيح مزرياً وساخراً حين لا يروقه ما يرى أو ما يسمع . وكثيرا ما حصب الممثل وكثيرا ما طرده . ومن هنا أصاب التمثيل فى آتينا كثيرامن الاحيان ما أصاب السياسة من تنافس فى كسب الجمهور واستباق الى اشترائه وابتغاء رضاه .

تظفر القصة من القصص، فلا يكون هذا الظفر ولا ما استتبع من جائزة موقوفين على الشاعر وحده، أوالممثل وحده، أو عليهما معاً . وانما هوحظ مقسوم بينهما وبين هذا الذى علم الجوقة وأنفق عليها . ولا يكاد يعلن هـذا الظفر حتى يخلده أثر مادى ما تنقش عليه نتيجة المسابقة وأسماء الفائزين وهـذه

الآثار نفسها هى التى استخدمها مؤرخو الآداب في العصور اليونانيـة حين حاولوا انشاء تاريخ التمثيل والممثلين .

— ١١ —

آشرنا الى أن التراجيديا انما تولدت من الشعر الغنائى حين كان يتناول تمجيد ديونوزوس وذكر حياته وما ملأها من لذات وآلام ، والى أنها كانت وما زالت نوعاً من العبادة لهذا الاله . فكان من الطبعى اذاً أن يكون موضوعها دائماً حياة هذا الاله أو غيره من الآلهـة . وقد بدأت كذلك . ولكنها لم تكد تتكون وترقي بعض الرقي حتى تركت الآلهة جانباً وبحثت عن أبطال العصور الاولى الذين تغني بهم الشعر القصصى ، فاتخذت منهم لقصصها موضوعاً . فهذا العـدول عن موضوعها الطبعي خليق أن يعلل ويبحث عن سببه . وليس من العسير الاهتداء الى هذا السبب والوقوف عليه . ذلك أن الآلهة على قربهم من البشر فى تصور اليونان كانوا لايزالون آلهة يخالفون البشر فى طبيعتهم وحياتهم وما يملأها من عمل وما يجرى فيها من خير ومن شر . فلم يكن من الميسور اتخاذهم موضوعا للقصص التمثيلية ولا الى ان يجد الشاعر في حياتهم ما لابد منه لجمال القصة من درس العواطف وتحليلها ووضعها موضع النقد والانكار . فاذا لاحظنا الى هذا أن التمثيل انما نشأ عند اليونان فى العصر الذي ارتقى فيه العقل وأخذت فيه الفلسفة تمد ظلها على كل شيء وتتناول أجزاء هذا العالم بالبحث والتمحيص . عرفنا أن الآلهة لم يكونوا يصلحون موضوعا للتمثيل لبعد ما بينهم وبين الحقيقة الواقعة ، ولما فى وضعهم موضع البحث والنقد من خطر على مكانتهم الدينية أن تتزعزع ، وعلى سلطانهم أن يظهر باطله فيزول ولان اظهارهم على مسارح التمثيل يتحاورون فيما بينهم

أو يحاورون الناس لم يكن يخلو من غرابة لا يسيغها العقل ولا تطمئن اليها النفوس

ولقد حاول « أيسكولوس » تمثيل الآلهة فى قصة سيراها القارىء في هذا السفر وفى قصة أخرى هي الأمنيدس ولكنه لم يعد الى ذلك كأنه آنس من الجمهور شيئاً غير قليل من الدهش لما يرى واقصور عن فهمه وتذوقه. فآثر أن يجعل الآلهة من قصصه بمكان المشرف عليها من كثب المدبر لما يقع فيها من حادثة . ومضى على سنته غيره من الشعراء

جل الآلهة عن أن يكونوا موضوعا للتراجيديا وقصرت الحوادث المعاصرة للشعراء عن هذا أيضاً . فانا لا نرى فيما بقى من آثار الشعراء الممثلين ولا فيما حفظ التاريخ الادبى من عنوانات قصصهم الدارسة ما يؤذن بأنهم مثلوا حياة الامة اليونانية المعاصرة لهم الا مرات معدودة ، فشلوا فى بعضها وحفظتهم ظروف خاصة من الفشل فى بعضها الآخر . فقد مثل فرنكوس سنة خمس وتسعين وأربعمائة بين يدى الاتينيين سقوط ميليه فى يد الفرس فأبكي الشعب وأحزنه، ولكنه لم يلبث أن عوقب على ذلك ، ثم مثل سنة خمس وسبعين وأربعمائة قصة الفينيقيين، ومثل أيسكولوس سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة قصة الفرس ، فظفر كل الظفر لا لشىء الا لان الاتينيين خاصة واليونانيين عامة كانوا فى هذا الوقت سكارى بما نالوا على الملك الاعظم من تفوق وانتصار

فاذا أردنا أن نعرف سبب هذا الاعراض عن الحوادث المعاصرة وجدناه يكاد ينحصر فى شيئين : الاول أن الحوادث كانت تملأ النفوس وتؤثر فى القلوب بمجرد وقوعها، فلم يكن اليونان في حاجة الى قوة الشعراء وبراعتهم ليستقصوا كل ما كان فيها من جمال وروعة أو من خير وشر ،

والثانى أن التراجيديا كانت عملا دينيا قبل كل شيء ، فلم يكن بد من أن يمت موضوعها الى الدين بسبب، ومن الظاهر أن هذه الحوادث لم تكن من الدين فى شيء .

مكان التراجيديا من الدين وحرص اليونان على سننهم الموروثة — لا يغيرونها مهما ظهر من فسادها — حالا بين الشعراء وبين اختراع الموضوعات الطريفة لقصصهم التمثيلية . وقد حاول بعضهم ذلك فلم يفلح ولم ينل اعجاب الشعب ولا رضاه .

اذاً فقد اضطر الشعراء الى أن لا يتخذوا موضوعات قصصهم الا من أبطال العصور الأولى الذين نوهت بهم الالياس والأوديسيا وغيرهما من قصائد الشعر القصصي . ولم يكن كل هؤلاء الابطال ليصلحوا موضوعاً للتمثيل ، فاختار الشعراء من بينهم من هو أشد الى الحياة الواقعة قربا وأدنى منها مكاناً لما أصابه من سعادة أو شقاء ومن نعيم أو بؤس ولما امتاز به من قوة لا تقطع ما بينه وبين الانسانية من صلة أو ضعف يقربه من الناس ولا يبعده من الآلهة . فمثلوا أجاممنون وكلوتيمنسترا (١) وايلكترا (٢) وأوريستيس (٣) وأوديبوس (٤) وأنتيجونا (٥) الى غيرهم . ولقد حاول سفوكليس تمثيل هيراقل فلم ينل من الاجادة والاتقان والقدرة على تحريك القلوب ما نال حين مثل غيره من الابطال ، لان هيراقل كان الى الآلهة اقرب منه الى الناس .

انحصر موضوع التراجيديا فى أبطال العصور الأولى وكان من المنتظر

---

[١] *Klutaïmnestra* [٢] *Elektra* [٣] *Orestès*
[٤] *O'idipous* [٥] *Antigonè*

أن يشق ذلك على الشعراء ويجهدهم وينتهي بهم الى التقصير، لان هؤلاء الأبطال قد تناولهم الشعر القصصى أكثر من مرة في عصور مختلفة. فوصف حياتهم وصفا دقيقا واظهر ما كان يبعثهم على العمل من شهوة عنيفة أو هوى قوى، ومن عاطفة دقيقة أو شعور عميق، ولكن الشعراء الممثلين لم يعجزهم ذلك عن الاجادة، بل عن الابداع والاعجاز، فما كادوا يتناولون هؤلاء الأبطال حتي أحسنوا تمثيلهم وأبدعوا فى تصوير نفوسهم واتخذوا منها مرآة صافية وضعوها أمام النوع الانساني، فرأى كل فرد من أفراده في هذه المرآة نفسه وما يزينها من فضيلة أو يعيبها من نقص. ولم يقف نبوغهم عند هذا الحد، بل تجاوزه الي اظهار الحياة اليونانية الأولى، في صورة من المجد جميلة خلابة ملأت قلوب الجمهور اعجاباً وفخراً، وبعثت فيها عاطفة الاقدام على كل جليل، والاعراض عن كل دنيء لا يلائم نفساً عزيزة، ولا يليق بقلب ذكي.

فهذا كله ينتهى بنا الي قضيتين ليس فيهما شك : الاولى أن الشعراء القصصيين قد بذروا فى النفس اليونانية بذورا كانت من القوة والاستعداد للحياة والنمو والانتاج بحيث يعجز الزمان عن افنائها وابلائها.

فقد أثمرت هذا الشعر القصصى وأثمرت غير قليل من الشعر الغنائى وأثمرت الشعر التمثيلي عند اليونان والرومان ولا ينبغي أن ننسى انها أثمرت أجمل ما يزدان به التمثيل الفرنسي فى القرن السابع عشر، وهي على هذا كله جديدة رائعة خلابة للنفوس أخاذة بمجامع القلوب، وأثمرت الى هذا كله حظاً موفوراً من الفن القديم والحديث، بين تصوير ونقش، وحفر وبناء. الثانية أن شعراء اليونان كانوا من النبوغ وقوة البصيرة ونفاذها ومن ذكاء القلب وحدة الخاطر، بحيث استطاعوا أن يتناولوا هذه الموضوعات التي طال عليها العهد

وتداولها غيرهم من الشعراء فيجددوها ويكسوها روعة طريفة وبهجة لم يكن لها بها عهد، حتى لكأنها آية مبتكرة، أو بدع في الادب جديد ؛ فاذا أضفت الى هذا أن هؤلاء الشعراء على تعاصرهم كانوا يتناولون الموضوع المعين الذى قدم وطال عهده فيمثله كل واحد منهم تمثيلا خاصاً يعطيه شكلين مختلفين وصورتين من الجمال تتباينان وتتباعدان، وكلتاهما تملك القلب وتستهوى النفس وتملأ الجمهور اعجاباً يخرجه عن وقاره، وينسيه حياته وما يملأها من حوادث وخطوب ؛ عرفنا السر فى أن الادب اليوناني قد كان ولا يزال أحسن صورة وصلت اليها الانسانية في تمثيل الجمال .

— ١٢ —

على ان هذا كله لا يكفى ليعطي القاريء من التراجيديا صورة واضحة جلية تمكنه من أن يقدم على قراءتها ملما بها بعض الالمام، متصوراً لها بعض التصور ، فلا بد من أن نشير بشيء من الايجاز الى تأليفها، والاجزاء التى كانت تكونها ، وما اتخذ الشعراء الممثلون فى انشائها من قاعدة وأصل .

هبك فى الملعب تنتظر ابتداء التمثيل، فأول ما تشهد من ذلك غالباً انما هو قدوم الجوقة ولكن هذا ليس أول القصة. أنما أولها شيء تمهيدي يلخص فيه موضوع القصة، ويشار فيه اشارة خفية (ولكنها كافية لاعداد النظارة) الى ما سيقع أمامهم من حادثة. هذا القسم الاول يسميه اليونان پرولوجوس (١) أى مقدمة. ينطق به واحد أحياناً (٢)، وربما كان حوارا بين اثنين (٣) ، وربما أعرض عنه الشاعر اعراضاً تاماً وبدأ قصته بالجوقة تتغنى بما يشير الى ما في القصة اشارة ما. فاذا فرغ هذا التمهيد تغنت الجوقة بمقطوعة شديدة الطول في أكثر الاحيان ، بينها

[١] *Parodos* [٢] فيسمي المنولوجوس [٣] فيسمي الديالوجوس

و بين موضوع القصة صلة ما،ولكنها تشتمل على شيء كثير غير ذلك وهذه المقطوعة أقرب الى الشعر الغنائي منها الى الشعر التمثيلي.سيرى القارىء منها نماذج مختلفة فيما سيقرأ من هذا الكتاب وهي تسمي عند اليونان پارودوس (١) ومعناه الغناء فى مكان معين . فاذا فرغت الجوقة من غنائها بدأت حوادث القصة تمثل بالفعل بين يدى الجمهور فى قطع من الحوار أو القصص تختلف طولا وقصرا،و يفصل بعضها عن بعض قطع تتغني بها الجوقة.فأما هذا الحوار أوهذه القصص فيسميها اليونان ايپيزوديون (٢) ومعناها الفصل تقريبا.وأما مايفصل بينها من أغاني الجوقة فتسمى ستاسيمون (٣)فاذا مثلت القصة فآخر فصل من فصولها أو آخر قطعة من قطعها التمثيلية تسمى اجزودوس (٤) أى خاتمة أونتيجة أوما نحو ذلك . هذه هي الاجزاء التى تتألف منها عادة قصة تمثيلية ، فأما عدد الايپيزوديون أو الفصول فلم يكن معينا ولا محدودا فى القرن الخامس ، ولكن عصر الاسكندريين لم يتجاوز به الخمسة فأصبح هذا قانونا أثبته هوراس فى فنه الشعرى ،كأنه شيء لا يجوز خلافه.ومن هنا نلاحظ أن القصة التمثيلية كانت تقوم على شيئين متناقضين وكان هذا التناقض نفسه مصدر جمالها وما فيها من روعة . هذان الشيئان هما الوحدة من جهة والاختلاف من جهة . فأما الاختلاف فقد لاحظناه فيما يتعاقب على سمع الجمهور من غناء وحوار وقصص،ذلك الى اختلاف ما يشتمل عليه كل من هذه الاجزاء الثلاثة من معني،وما يصحبه من حركة،وما يمثله من حادث .وأما الوحدة فهي وحدة الموضوع و وحدة الغرض من كل هذه الاجزاء المختلفة.فقد كان الشاعر يتخير بطلا من أبطال اليونان و يتخير من صفات هذا البطل صفة معينة يحاول

---

[١] *Prologos* [٢] *Èpeisodion* [٣] *Stasimon* [٤] *Exodos*

اظهارها فى أوضح مظاهرها وأشدها تأثيرا فى نفسه فيسلك الى هذا الاظهار طرقا مختلفة متباينة ولكنها تنتهي كلها الى غاية واحدة.هي وضع هذه الصفة من صفات البطل الموضع الذى قصد اليه . وهناك وحدتان أخريان كان الادباء في القرن السابع عشر والثامن عشر يزعمون أنهما تكونان مع هذه الوحدة التى أشرنا اليها قاعدة مقدسة من قواعد التمثيل ، هما وحدة المكان بحيث يجب أن تقع حوادث القصة كلها في مكان واحد ،وبحيث لا يصح أن يمثل المسرح الا مكاناً بعينه،ووحدة الزمان بحيث لا يتجاوز الوقت الذي تقع فيه حوادث القصة يوماً واحداً . ولكن درس ما بقي من القصص وما ترك ارستطاليس من القواعد التي وضعها للتراجيديا يدل على أن الشعراء قد ألفوا ملاحظة هاتين الوحدتين من غير أن يلتزموها . فقد انتقل مسرح التمثيل من دلف الى أتينا فى الامنيديس ، ومثلت قصة أجاممنون في وقت واحد وصول خبر الانتصار بواسطة الاشارات النارية الى أرجوس،ثم وصول الملك وجيشه الى هذه المدينة،ثم مقتل الملك.ولا شك فى أن هذه الحوادث اذا لم يستغرق تمثيلها الا ساعات فان وقوعها يستغرق أياما .

هذه هي أصول التراجيديا ونظمها العامة قد ألممنا بها الماماً . فأما تفصيل ما فيها من جمال فنى فقد آثرنا ألا نعرض له لان فهمه يستلزم أن يكون القاريء قد ألم بها وقرأها،فخير ان نترك لما ترجمنا ولخصنا في هذا الكتاب دلالة القراء عليه،وان نأخذ فى ذكر مايعرف التاريخ من حياة أقدم الشعراء الممثلين المعروفين عهدا وهو ايسكولوس .

حياة ايسكولوس

— ١ —

لا يعرف التاريخ الادبي من حياة أيسكولوس الا شيئا قليلا ، لانه على جلال خطره وشدة أثره فى الحياة الأدبية اليونانية قد عاش فى عصر قلت فيه العناية بتدوين التاريخ عامة، وحياة الافراد خاصة . ذلك الى ما أصاب آثار هذا العصر اليوناني من ضياع وفساد جعلاها الى الظلمة والجهل ، أقرب منها الى النور والعلم .

ولد أيسكولوس بن أوفريون (بمدينة أيلوزيس) في أتيكا سنة خمس وعشرين أو أربع وعشرين وخمسمائة قبل المسيح. ولسنا نعرف من طفولته شيئا ما .

ولكن من المحقق أنه تأثر في صباه أشد التأثر بشيئين : أحدهما أخلاق أسرته التي كانت ارستقراطية ، تحافظ على منزلتها القديمة من العز والشرف وتكره أن تتبذل فترضى عن هذه الديموقراطية التى أخذت تسود وتمد ظلها في أتيكا أواخر القرن السادس . والثاني هذه الحياة الدينية القوية التى كانت تملأ مدينة ايلوزيس وتنزلها من بلاد أتيكا خاصة ومن بلاد اليونان عامة منزل المكان المقدس، يحج الناس اليه من كل وجه لتكريم دمتير الهة الطبيعة الحية الخصبة التى تكفل للانسان حياته المادية وما فيها من لذة وراحة ، ومن طأنينة وهدوء .

كانت دمتير أشد آلهة اليونان شبها لديونزوس كما قدمنا . فكلاهما امتلأت حياته باللذة والألم، وكلاهما كانت لذته رمزا لخصب الطبيعة وجمالها،

وألمه آية لما ينالها من جفاف وذبول في بعض فصول السنة،وكلاهما أقيمت له حفلات امتزج فيها الحزن بالسرور،واللذة بالألم .ووجد فيها الجمهور مفرجاً لكربه ومسلياً لهمه ، وفرصة يألم فيها،فيعلن تأثره بما كان يملأ حياته من شقاء،فينسى ما كان يثقله من بؤس وسوء حال .

وكل ما بين الالهين من الفرق أن دمتير كانت أنثى فدخل فى أعيادها شيء من الالغاز والتكتم غير قليل.أما ديونزوس فكان لا يتستر ولا يستخفي ، ومن هنا كانت آثاره في الحياة اليونانية أظهر وأوضح ، وكان منها التمثيل ، بينما انحصرت آثار دمتير في حياة العقل والعاطفة فأوجدت ـ وحدها أو بمعونة ديونزوس ـ فى نفوس اليونان ، هذا الهيام الديني الذى يحمل الانسان على أن ينسى حياته المادية ووجوده الخاص ، ليفني فى الهه وقتا قليلا أو كثيرا .

ومهما يكن من شيء فقد كان أهل ايلوزيس فى جميع العصور اليونانية الى أواخر القرن الخامس ديانين متورعين،يكرهون الاثم وينفرون منه،ويحبون التقي ويرغبون فيه ، وقد ظهر أثر هذه الديانة والورع في حياة ايسكولوس وعمله،فتراه فى جميع آثاره الادبية محباً للآلهة ، معظماً لهم ، مؤثرا لطاعتهم، منكرا للخروج عليهم ، وسنرى بعد حين أن قصصه التمثيلية تقوم على الدين قبل كل شيء ، كما أن مكان أسرته من الارستقراطية قد جعله أنفا أبيا في حياته الخاصة والعامة ،وصانه أن ينزل بنفسه الي حيث يعني بما كان يجرى حوله من الاعمال السياسية،فيطلب العمل في حكومة الجمهورية ، وقد قدمنا فى المقالة السابقة أن الارستقراطية الآتينية كانت تمتاز بالاعتدال والهدوء وكانت قلما تلجأ الى العنف والشدة في حربها للديموقراطية،فهذا هو الذي منع

شاعرنا أن يعلن سخطه على حكومة الشعب وازدراءه ، لها وحمله على أن يكتفي باجتناب الاعمال العامة، والانكباب على فنه يجوده و يرقيه ، و يقرب ما بينه و بين الكمال .

هناك مؤثر ثالث عمل فى تكوين النفس الشعرية لأيسكولوس ، هو الشعر الغنائي الذى كان قد بلغ في هذا العصر أقصي ما كان يمكن أن يبلغه من رقي و رقة، وقدرة على التأثير في النفوس والأخذ بمجامع القلوب، والذى كان قد انتشر انتشارا لم يعهده اليونان من قبل في جميع طبقات الجمهور اليونانى.

كان هذا الشعر قد وصل الي أقصى أمد من تمثيل عواطف النفس واثارة كمينها ، واستطاع أن يرسم حياة الشعور اليوناني وما فيها من دقيق وجليل ، فتغني بالحب وما يبعث فى النفس من رقة ولطف ، ومن رحمة واشفاق، وافتخر بمآثر اليونان وحسن بلائهم فى حياتهم الماضية والحاضرة، ومدح فأحسن المدح ، ورثي فاجاد الرثاء . ومجد الآلهة فبرأهم من أكثر ما كانت تضيف اليهم الأشعار القصصية من صفات وخصال لم تكن تلائم العصر الحديث ، وأنزلهم من القلوب منزلة عزيزة مطهرة بعض التطهير من آثار الشهوات والاهواء المادية ، ووصف الطبيعة فجلاها للحس جميلة خلابة تستهوي النفوس وتفتن القلوب . وأبرزها للعقل متقنة منظمة تسترعي الفكر وتدعو الى التروية والتفكير ؛ فأعد النفس اليونانية لشيئين : أحدهما التأمل المتصل المتنوع الذى نشأت عنه الفلسفة . والآخر التقليد والمحاكاة اللذان نشأ عنهما التمثيل . وكان شاعرنا قد روى من هذا الشعر حظا موفورا، وضرب فيه بسهم فبكي ووصف وغنى الجمال ، ثم رأي تسپيس وتمثيله المتنقل فأعجبه هذا الفن الناشيء وراقه فما أسرع ما كلف به وأقبل عليه .

فما كاد يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره حتي تقدم الي المسابقة في التمثيل وكأن هذا الفن انما نشأ ليشغف به هذا الشاعر فيتناوله و يهبه من قوته ونبوغه ما يمنحه حياته و يعطيه شخصيته وحظه الصحيح من الوجود.

كانت بعد ذلك الحروب الميدية فاشترك أيسكولوس في وقعة مارثون من غير شك (يشهد بذلك ما أمر أيسكولوس أن يكتب على قبره) واشترك كذلك في وقعة سلامين و پلاتيه وغيرهما من المواقع التى كانت سنة ثمانين وأربعمائة فيما يروى المؤرخون .

و يقال ان اخاه كونايجايروس (*Kunai'guei'ros*) قد أبلى في سلامين بلاءا حسنا

ومهما يكن من شيء فان انتصار اليونان على الفرس قد ملأ نفوس هذا الشعب اعجابا وفخراً واقداما وجرأة كما قدمنا في المقالة السابقة ولا سيما نفوس الاتينيين الذين كانوا زعماء هذه الحرب وملاك هذا النصر فأقدموا على كل شيء ، وكانوا لا يحاولون أمراً الا وظفروا منه بالغاية وقد ظهر أثر هذا الاعجاب والاقدام في الشعراء الممثلين أنفسهم فمثلوا هذا النصر مرتين وحفظ التاريخ تمثيل أيسكولوس في قصة الفرس سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة

كانت حياة ايسكولوس خصبة كثيرة الغني . فقد روى مؤرخوه أنه انتصر في المسابقة التمثيلية ثلاث عشرة مرة . فاذا لاحظنا أن الشاعر الممثل كان يجب عليه أن يقدم للامتحان ثلاث قصص تراجيدية وقصة ستيرية عرفنا أن الجمهور قد أعجب من آثار أيسكولوس باثنتين وخمسين قصة وليس هذا بالشيء القليل .

على أن حياة أيسكولوس لم تخل من فشل أحزنه ونغص عليه ما كان

يجنيه من فوز ، فقد ظهر له في آخر أمده خصم شاب سابقه فسبقه سنة ثمان وستين وأربعمائة وهو سوفوكليس . ثم لم يلبث أيسكولوس ان انتصر سنة سبع وستين وأربعمائة وكان آخر ظفره الفني سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ثم ارتحل بعد ذلك الي صقلية فمات فيها سنة سبع وخمسين وأربعمائة . وقد اختلف الرواة في سبب رحلته الى صقلية فزعم بعضهم أنه حنق على سوفوكليس ولم يستطع صبرا على تفوقه وزعم الآخرون ان الشعب قضى عليه بالنفى لأنه أفشى أسرار الآلهة .

كلتا الروايتين يمكن أن تكون صحيحة . ولكن التاريخ لا يؤيد واحدة منهما . بل نحن نعلم ان أيسكولوس قد سابق خصمه فسبقه أكثر من مرة . وأنه انما سافر من أتينا سفرته الاخيرة (لانه ارتحل الى صقلية مرتين) بعد ان أنتصر سنة ثمان وخمسين . ولو أن الشعب كان قد قضى عليه بالنفي لحفظ لنا التاريخ الصحيح شيئاً من قضيته . وليس أيسكولوس بالرجل الذي ينسى ما كان بينه وبين الشعب من صلة . ونحن نرجح مع الباحثين المحدثين أنه انما ارتحل الى صقلية مجيبا لدعوة هيرون طاغية سوراكوزا[1] الذى كان يدعو الى قصره نوابغ اليونان فى كل فن ، ليزين بهم قصره ومدينته .

— ٢ —

لم يبتدع أيسكولوس فن التمثيل ولم يخترع التراجيديا . ولكنه أعطاها شكلها الحقيقى وصورتها الأخيرة . ورسم لها الطريق التي لم يكن بد من أن تسلكها لتبلغ ما قدر لها من الكمال . وسلك بها معظم هذه الطريق . فصح أن يسمى أبا التراجيديا ، كما سمي هردوت أبا التاريخ ،

(١) *Surakousa*

لم تكن التراجيديا قبله الا نوعا من الغناء تقوم به الجوقة أو الممثل الذي أضافه تسبيس أو كلاهما . فلم يكتف ايسكولوس بهذا الغناء يصحبه شيء من القصص . بل اضاف اليهما شيئا من الحركة . فأصبحت التراجيديا بذلك حقيقة هي أقرب الى ما يحدث بين أيدى الناس منها الى التاريخ والأساطير . وقد استلزم هذا الجزء الثالث أن يتعدد الممثل فأصبح اثنين ثم ثلاثة كما قدمنا ، وأن يرتقي تدبير المنظر وتنظيمه بحيث يستطيع أن يعاون الممثلين على ان يحاكوا الحقيقة ويخيلوها الى الناس فأقدم أيسكولوس على ذلك غير متردد ولا هياب ثم لم يكد يقدم حتى أمده خياله وقدرته على الابداع والابتكار بما جعل دار التمثيل من الرقى الآلى بحيث استطاعت ان تسع ما كتب هو وكتب غيره من القصص التمثيلية .

أضف الى هذا ما قدمنا من عنايته بلباس الممثلين وأحذيتهم وقلانسهم ونقبهم مما صبغ التراجيديا بصبغتها المعروفة وكان مصدر الرقي هذا القسم المادى من اقسام التمثيل . فأما الوجهة الادبية خاصة فليس من شك في أن ايسكولوس هو الذى بلغ بها من الرقي الى ما نعلم ، وأن خصمه سوفوكليس ومن بعده أوربيديس انما سلكا سبيله واقتفيا أثره ، وكانا له مقلدين ، وان امتاز كل منهما بميزته الخاصة التي سنراها فى هذا الجزء وفى الذى يليه.

حاول ايسكولوس أن يمثل بين ايدي الناس صورة من صور الحياة الانسانية لم يكد يتجاوزها الى غيرها وهى هذه الصورة التي يظهر فيها الانسان متنازعا بين ارادته وبين ارادة أخرى اشد منها قوة وأعظم بأسا وأضخم سلطانا وهى ارادة الآلهة أو ارادة القضاء ان صحت هذه العبارة.

فى هذه الحرب العنيفة التى تقع كل يوم بين هذه الارادة الضعيفة

تنكر ضعفها ولا تعترف به ، بل تمضى فيما تحاول مغرورة مفتونة بما يظهر لها من قدرة وبين تلك الارادة الهادئة المطمئنة لا تضطرب ولا تجيش وانما تقدر فينفذ ما قدرت ، وتقضى فيتم ما قضت ، قد علمت ذلك واستيقنته ، فهى تنظر ساخرة مرة ومشفقة مرة أخري الى الانسان يمانعها ويدافعها من غير أن ينفعه ذلك أو يغني عنه شيئا .

أقول فى هذه الحرب العنيفة بين هاتين الارادتين تظهر الحياة الانسانية فى صور مختلفة من السطوة والجلال، ومن الكبرياء والغطرسة، ثم من الضعف والضآلة، ومن الخمود والاستسلام .

وكل هذه الصور صحيحة واقعة فى كل وقت وفي كل قطر وفي كل طور من أطوار الحياة العاقلة ، ليست بالمنتحلة ولا المتكلفة ، وقد الفها الناس واطمأنوا اليها وأصبحوا لا ينكرونها . بل أصبحوا لا يشعرون بها، ولا يقدرون لها وجوداً . فاذا استطاع الشاعر أن يستعين بما أوتى من نبوغ على أن يمثل لهم هذه الصور تمثيلا يملك قلوبهم ويستهوى نفوسهم حتى يلمسوا بأيديهم ما فى قوتهم من وهن وما فى كبريائهم من غرور ، فقد سلك بهم الى الكمال الخلقى سواء السبيل . ذلك الى ما يشتمل عليه هذا التمثيل من جمال وروعة فيهما للنفوس فتنة ولذة ، وذلك هو الذى حاوله ايسكولوس فوفق منه الى كل ما كان يريد .

وفق الى ذلك من غير أن يكلف الجمهور الذى يشهد تمثيله أو يقرأ قصصه عناء البحث والكد فى حل المعضلات الفلسفية . بل من غير أن يحاول حل هذه المعضلات فلن ترى قصة من قصصه تتعرض لتحديد ما بين القضاء والحرية الانسانية من صلة ، أو للتوفيق بينهما ، أو لتفسير هذه الحركة

حركة الانسان فى هذه الحياة ممانعة أو موافقة لهذه القوة القاهرة التي تدبر العالم وتسيطر عليه .

لم يحاول شيئا من هذا . وانما استعان الحقيقة الواقعة واتخذ منها طريقة للاقناع لا تثبت أمام منطق الفلاسفة ولكنها قادرة كل القدرة على أن تصل الى القلوب فتحملها علي الاطمئنان والرضى.

أنظر الى قصة الفرس كيف ابتدأها بالجوقة تتغني مجد فارس وعظمتها، ولكنها تشفق من شر تتوقعه ، من غير أن تتحقق كنهه . ثم كيف تقبل أم الملك متولهة مشفقة لحلم رأته ، وكيف تشعر الملكة والجوقة بالشر وتحاولان اتقاءه واسترضاء الآلهة . وما هى الأن يأتى الرسول فينبيء بما دهم الفرس من كارثة وما أصابهم من هزيمة .

هنالك يصعقهما الخبر فتعولان وتشكوان وترثيان لمن مات وتألمان للأحياء ثم تشعران بالحاجة الى تعرف سبب هذه الهزيمة والتعزى عنها فتستشيران طيف دارا : هـذا الملك العظيم الذى قضى وجاور آلهة الجحيم فألم من الغيب بطرف .

ينبئهما هذا الطيف بأن مصدر نكبة الفرس انما هو طغيان الملك الأعظم وعناده للآلهة وخروجه عن أمرهم . ثم يقبل هذا الملك نفسه خانعا ذليلا فيشتد بينه وبين الجوقة حوار ملؤه الحزن والالم يختمه الاذعان للقضاء والاطمئنان اليه .

ذلك دأب الشاعر فيما بقى لنا من آثاره التمثيلية يظهر الانسان فى أول قصته عنيدا قد ملأه الكبر وأعماه الغرور عن مواضع ضعفه ثم لا يزال بهذا العناد ينميه و يضاعفه حتى يبلغ به أقصاه . فاذا انتهي ببطله من الرفعة

الى هذه المنزلة أخذ ينحط به قليلا قليلا ، حتى ينتهي به الى الحضيض .

أنظر الى الجمهور الأتيني يشهد هذه القصص مرة في كل عام يسحره أولها فيمتلىء اعجابا ويزداد اعظاما لنفسه ، ثم يفجأه آخرها فيصغر ويري ماقدر للانسان في هذه الحياة من قوة لن تكون عاملة منتجة الا اذا قصد صاحبها في استخدامها وتجنب بها الاغراق والاسراف .

أنظر الى هذا كله . ثم اقرأ تاريخ الآتينيين في القرن الخامس تجده ممثلا فيه تمثيلا صحيحاً . اقدام شديد ولكن ملؤه القصد والتؤدة . فاذا أسرفوا أو طغوا لم تلبث عاقبة ذلك ان تحيق بهم وتردهم من الحزم والاناة الى ما كانوا قد تعودوه .

كانت نفس ايسكولوس ساذجة لا تألف التعقيد ولا تميل الى التعمق وانما تأخذ الاشياء كما تجدها فى الخارج لا تغيرها ولا تحورها . فلم يكن ابداعه في التمثيل ناشئا من تناوله للاشياء بزيادة فيها أو نقص منها . وانما كان مصدره صفة نفسية أخرى ، أثرها فى الحياة الشعرية عظيم . هذه الصفة هي شدة التأثر بالاشياء وتحويلها بمجرد الشعور بها الى صور ليست بالغريبة ، ولكنها قادرة على استهواء النفوس وامتلاك القلوب ، لا تكاد تلقى الى الجمهور حتى تخرجه عن طوره المألوف ، وتملك عليه حسه وشعوره وتجعله يعيش مع الشاعر في عالم جديد من الصور يراها بعين الشاعر ، ويحسها بحسه ، ويتأثر بها كما كان يتأثر بها الشاعر نفسه .

فما كان ايسكولوس يكاد يبدأ تمثيل قصة من قصصه حتى يستأثر بالجمهور وينقله من حياة الى حياة ، وحتي يشعر هذا الجمهور بأنه في بيئة لم يألفها ، وأنه

يتقدم فى طريق ليس له بها علم . فلا بد من أن يقفوا أثر الشاعر و يتبعه فيها خطوة خطوة حتى يصل الى الأمل الذى تنتهي اليه القصة ، ذلك على أن هذه الطرق ليست بالمعوجة ولا المتعرجة ، ولا بذات الثنايا والمضايق .

كان ايسكولوس يبدأ قصته بقطعة من الحوار أو الغناء تشير الى موضوعها اشارة ليست بالخفية كل الخفاء ولا بالواضحة كل الوضوح ، فتقف الجمهور موقف الحيرة والدهش ، لأنها تنبئه بأن حادثا مجهولا ـ ولكنه ذو خطر ـ يوشك أن يقع ثم ينتقل به وقد أعد نفسه لما يريد وهيأها لقبول ما سيمثل من هذا الموقف الى موقف آخر أدني الى الوضوح ولكنه لا يكشف عما اشتملت عليه القصة ، وما يزال ينتقل به متمهلا من مرحلة الي مرحلة وقد ملك عليه نفسه وشعوره ، واستأثر بما لديه من تنبه والتفات ، حتى ينتهى به الى ما كان يريد أن يجلو بين يديه من فكرة أو صورة كانت في أول القصة ضئيلة شديدة الغموض فما زالت تعظم وتتضح حتى أصبحت فى آخر القصة عظيمة كالعالم مشرقة كالشمس تغمر الجمهور وتحيط به وتكرهه على أن لا ينظر الا اليها ولا يفكر الا فيها .

ثم لم يكن ايسكولوس على سذاجته وقصده ليسلك بجمهوره كل هذه الطريق من غير أن يريحه و يروح عنه من حين الى حين ، على ألا ينسيه موضوع القصة ونمو حوادثها ، فكان يضع فى أثنائها هذه المقطوعات الغنائية تتغنى بها الجوقة غير مهملة موضوع القصة ، ولكنها غير ملحة فيه تضيف اليه من وصف الطبيعة ومحاسنها ، ومن تحليل النفس الانسانية ودقائقها ، بل ومن تكهن بما عسى أن تنتهي به القصة ما ينفس عن الجمهور ويحمله هو أيضاً على أن يقاسم الجوقة اعجابها وتأملها وتنبؤها ، فهو حين يسمع

المقطوعات معلق بين ما مضى من القصة وما هو آت منها . وانه لكذلك اذ يأتى أحد الممثلين فيذود عنه هذه الراحة ويقوده فى طريقه الى حيث كان يريد الشاعر .

فاذا أردت أن تعرف علام كانت تشتمل هذه الطريق دهشت لأنك لا تري فيها شيئا ينكره الحس أو ينبو عنه العقل ، وانما كلها صور قد ألفناها منفردة وليس هناك من جديد الا هذا التأليف الذي جمع بينها وقرن بعضها الى بعض ، وربما استعان ايسكولوس بما له من قوة التصور وشدة التأثر بالصور على أن يدرك الفرق بين صورتين متناقضتين أشد التناقض متباعدتين أشد التباعد فيمثل هاتين الصورتين أحسن تمثيل ، ويحمل الجمهور بمهارته وقوة نبوغه على أن يشعر بهذا الفرق والتناقض كأنه يلمسه وأن يتأثر به أشد ما يمكن من التأثر .

أنظر اليه فى أجاممنون كيف مثل أجاممنون ملكا عظيم القوة ضخم السلطان ، قد قاد اليونان الى النصر وقهر بهم مدينة قوية منيعة ، ثم اقبل على عجلته ظافرا تحفه الجلالة والمهابة ، تتبعه ابنة الملك أسيرة ذليلة ، فبهرت هذه الصورة جمهور النظارة ثم دخل الملك قصره يمشى على بساط أرجوانى قد بعد ما بينه وبين البشر ، وقرب ما بينه وبين الآلهة ، وما هو الا أمد قصير حتي يعود الملك الى هذا الجمهور ، ولكن مهابة أخرى تحفه وتحيط به هي مهابة الموت : جثة هامدة قد لفت فى ثوب مضرج بالدماء والى جانبه امرأة كانت منذ حين تتملقه وتتلطف له وتهدى اليه من الثناء باقات حسنة التنسيق بديعة التنظيم . وهى الآن تمقته وتزدريه ، بل تلعنه وتستنزل عليه السخط ، والجوقة بينهما تتردد بين الغضب والخوف .

أليس فى هاتين الصورتين ما يكفى ليبهر الجمهور . فيملأه اعجابا بما تمثل الصورة الاولى من جلال وعزة ، ثم يروعه فيملأه ذعرا واشفاقاً لما صار اليه هذا الجلال في أمد قصير .

لم يكن ايسكولوس يحب الانتقال الفجائى من نقيض الى نقيض وانما كان يهيىء النفوس الى هذا الانتقال و يسلك بها طريقه رويدا رويداً كما قدمنا ، فيجمع بذلك بين ما كان يحرص عليه من التأثير القوي في نفس الجمهور وعدم مفاجأته بالمتناقضات حتى لا يناله الانكار ولا يحول الدهش بينه وبين الفهم والاستفادة مما يقع بين يديه .

قراءة آثار ايسكولوس في أصلها اليوناني لازمة كل اللزوم لتشعر بقوته الفنية وقدرته النادرة على اختيار الالفاظ والتنسيق بينها . فهناك صور لابد من التلطف واتقان الحيلة لنقلها الى لغة أخرى . ثم هي اذا نقلت مع شدة الاحتياط والحرص على الأمانة فى النقل فقدت شيئاً غير قليل من جمالها الفطرى . ولم يشعر به قارىء الترجمة .

أضف الى هذا أن قصص أيسكولوس انما تنقل نثرا وهي في اليونانية شعر . وللشعر اليونانى كغيره من كل شعر في اللغات الأخري جمال خاص ، مصدره الألفاظ الشعرية والوزن ، وما بين الابيات والمقطوعات من صلة . وكل هذا شيء ليس من سبيل الى أن ينقل من لغة الى لغة . فكما أن مطولة امريء القيس يمكن أن تترجم الى الفرنسية فيؤدى المترجم معناها أحسن الاداء و يتخير لذلك أجمل الأنماط والاساليب الشعرية فى اللغة الفرنسية . ولكنه يعجز عن أن يشعر القاريء الفرنسى بما لهذه القصيدة من جمال شعري عربي ، فان نقل ايسكولوس وغيره من الشعراء الممثلين فى العصر القديم

والحديث،لن يستطيع أن ينقل من آثارهم الا جزءا من جمالها الفنى ، ربما كان أقل أجزائها بهجة وروعة .

لذلك لا ينبغي ان يتخذ قراء التراجم ما يقرأون من الشعر المنقول مقياسا لجمال هذا الشعر،ولا ان يحكموا عليه بما تبعث هذه الترجمة فى نفوسهم من أثر حسن أو سيء . فان هذا الحكم باطل من أصله ؛ وما كان غرض الناقلين للشعر من لغة الى لغة أن ينقلوا الى قرائهم منه صورة حقيقية . وانما ينبغي ن يكون الغرض تمكين هؤلاء القراء من أن يلموا به بعض الالمام وحمل من أتيح لهم الوقت والقوة على ان يتعرفوه و يجدوا في أن يستقوه من منبعه .

— ٣ —

تأثر ايسكولوس فيما كتب بالشعر القصصى ،فاختار منه موضوعات قصصه من غير أن يتكلف الاختراع أو احداث خلق جديد ،وكان يقول انه يكتفي بما سقط من مائدةهوميروس .

وقد قدمنا تعليل ذلك . ولكن هناك وجها آخر من وجوه تأثير الشعر القصصى فى فن ايسكولوس ، لا بد من الاشارة اليه. نريد تأثيره فى تشكيل أشخاص قصصه التمثيلية .

فقد كان هذا الشعر لا يحفل بتفصيل ما لأبطاله من خلق ووصف ما يبعثهم علي العمل من عاطفة ، وانما كان يجتزىء بجملة أو بعض جملة يشخص بها البطل من أبطاله ، أو الآله من آلهته تشخيصا قويًا لا يحتمل الشك ولا يقبل التردد . وأمثال هذه الجمل وأجزاء الجمل كثيرةمنتشرة فى الالياس والأوديسيا فقد كان يكتفى لتشخيص أوديسيوس وصفه

بأنه يعدل ذوس حيطة وحذراً ، فلا ترى هذا البطل فى كتاب من كتب هاتين القصيدتين الا رأيته فى جميع أعماله وأقواله ، بل فى تحدثه لى نفسه ومناجاته ايها الا حذرا رشيدا ، لا ينطق بكلمة ، ولا تصدر عنه حركة ، ولا يجول فى نفسه فكرة ، الا قد قدرها وحسب لها حساباً .

كذلك فعل ايسكولوس فى قصصه ، فلم يحاول أن يطيل حوار الممثلين أو غناء الجوقة فيما من شأنه أن يصف اخلاق اشخاصه أو يحلل عواطفهم : وانما كان يكتفي بأن ينطق أحد الممثلين بجملة تخلق شخصه وتضيف اليه كل ما يتصف به من صفته .

فاذا خلق البطل من أبطاله بخطة جرى بها قلمه . فهذا البطل مشبه لنفسه فى جميع أجزاء القصة ، لا تنقصه صفة من صفاته الأولى ، ولا تعرض له صفة جديدة لم تكن له من قبل .

أنظر اليه في بروميثيوس مغلولا : كيف مثل بطله في أول القصة عنيداً قوى الشكيمة لا يذعن ولا يخضع ، ثم انظر الى هذا البطل في جميع أجزاء القصة كيف احتفظ بهذه الخصلة ، فلم ينزل عنها قيد شعرة على كثرة ما ألحت عليه الجوقة فى ذلك ، وعلى شدة ما ندحه من حادث وما نابه من خطب .

انه ليشكو و يألم . ولكن شكاته وألمه لا يصدران عنه الا ليصفا مايملأ نفسه من اصرار على العناد ، ومضى في الصبر والاحتمال ، ومقاومة كبير الآلهة . ثم لايزل كذلك حتى تصعقه الصاعقة وتلتهمه الأرض .

تجد مثل ذلك فى جميع مابقى من آثاره الفنية على اختلاف موضوعاتها وتباين ما تشتمل عليه من الحوادث .

وخصلة أخرى قد امتاز بها ايسكولوس هى اتقانه الاتقان كله وصف القوة والشدة وما اليهما من اباء النفس ومضاء العزم ، وكل ما هو عظيم يخيل الى من قرأه أن نبوغه قد حاول هذا الاتقان فوفق اليه، وظفر به، وقصر عن ما سواه . فهو لا يجيد وصف الضعف، ولا يحسن تمثيله ، حتى انك لتجد النساء اللآتي مثلن فى قصصه قد امتزن بقوة نادرة واباء غريب، وحتى اذا ليمثلهن قويات فى ضعفهن . فاذا أبي عليه الموضوع ومكانهن من القصة ان يصفهن بالقوة وشدة البأس، وضع مكان هاتين الصفتين ما يقوم مقامهما من يقين يشد عزمهن ويعينهن علي احتمال النازلة والثبات لها .

اقرأ قصة المستجيرات تجد الجوقة من فتيات ذليلات قد لجأن الى مدينة أرجوس يطلبن اليها الجوار ويلتمسن منها الحماية . ليس لهن قوة ولا عون الا ثقتهن بالآلهة واعتدادهن علي حتى الضيف . ولكن تلك الثقة وهذا الاعتماد قد ملآ قلبهن ثباتاً فهن يلزمن تمثال الآله ضارعات لاجئات تساقط دموعهن، وترتفع أصواتهن بالبكاء والعويل . ولكنهن مزمعات ألا يذعن أو يصيبهن الموت

أنظر اليهن وقد أقبل رسول العدو يدعوهن الى الاذعان والخضوع، وينذرهن عاقبة العصيان والعناد، فلا ينال منهن شيئاً، وما يزلن به مترحمات مرة، متفجعات مرة أخري، ومنذرات مرة ثالثة حتى يأتي ملك أرجوس فيحميهن ويأمر أن ينقلن الى حيث يأمن العاديات .

على أن ما ترك ايسكولوس من الآثار لم يخل من مقطوعة تمثل الضعف والاستسلام، فتهز القلب رحمة واشفاقا وأكثر ما يكون ذلك فى المقطوعات الغنائية . فسيعرض للقارىء في (قصة السبعة) يهاجمون طيبة قطعة تتغنى بها

الجوقة وقد حمل اليها الاخوان قتيلين ، وما نحسب أن قلبا من قلوب الناس يستطيع ألا يرق لها

— ٤ —

لم يكن ايسكولوس ذا فلسفة محدودة أو مبينة الاصول ، ولم يكن مفكرا يرسم لنفسه الخطة فلا يتجاوزها، ولا يحيد عنها . أي أن قصصه التمثيلية لم تنشأ عن مذهب في الفلسفة معين أو راي في الفن محدود ، وانما نشأت عن قلب الشاعر وما كان يملأه من ايمان وتقى . فكانت صورة حقيقية لهذه النفس الورعة الديانة تحب الآلهة وتخشاهم، وترغب في ارضائهم وتفزع من سخطهم. ومع هذا فان تحليل مابقي من آثار ايسكولوس يدلنا على أن هناك فكرة أو أفكارا ، و بعبارة أخرى أصح وأدنى الي الحق عاطفة أو عواطف كانت تدبر حياته كلها . وعنها صدرت آثاره العملية والفنية من غير استثناء

فاذا أردنا أن نتعرف هذه العواطف ، فأول ما يلقانا منها عاطفة الاستسلام للقضاء ،والركون اليه فى كل شىء .ولعل من النافع أن نوجز صورة هذا القضاء الذي كان يفزع منه ايسكولوس و يفزع اليه ، والذى ترك أعظم أثر في حياته العملية وشعره التمثيلى

ترك أعظم أثر في حياته العملية : فحمله على أن يشهد مدة ثمانين سنة ما كان يحدث في بلاد اليونان عامة،وفي وطنه خاصة :من تغير الامور واستحالة الحال ، وقيام الديموقراطية مقام الارستقراطية ، وانقباض هذه عن العمل من غير أن ينكر ذلك أو يحاول اصلاحه . بل انصرف عن هذا كله الى شعره التمثيلى ، وآثر أن يضن بشرفه القديم وكرامة نفسه

علي التبذل ومحاولة الجهاد .

وترك أعظم أثر في شعره التمثيلي . فلسنا نقرأ قصة من قصصه الا رأينا فيها أن يداً خفية ولكنها قوية كل القوة تدبر كل شيء: لا يعرض لها منازع أو ممانع الا ردته ذليلا مقهورا .

هذا أيضا أثر من آثار الشعر القصصي بل أثر من حياة اليونان في العصور الأولى ، فقد كانوا يعتقدون (ومثل الشعر القصصي ذلك أعظم تمثيل) أن هناك قوة قاهرة لا يأمن بطشها الناس ولا الآلهة أنفسهم: ترسم كل شيء ، فيجرى كل شيء في الارض والسماء كما رسمت . وهذه القوه القاهرة هي القضاء .

لم يكن الناس والآلهة بل لم تكن حركات هذا العالم الا آلات تنفذ مارسم هذا القضاء ، ولم يكن الناس يعلمون مما قدر شيئاً . حاشى أفراداً قد اختصوا بذلك تتفاوت قواهم في العلم به . فكان للناس كهنتهم ، وللآلهة عرافوهم ، فلما ارتقي العقل اليوناني ابان القرن السادس ، وأخذ الفلاسفة يفكرون وينقضون ما اقامت العصور الأولى من بناء ديني تهاون الجمهور بأمر القضاء كما تهاون بغيره من أمور الدين ، ولم يبق لهذه الآثار القديمة ملجأ أمين ولا حصن منيع الا في نفوس الارستقراطية . وقد كان من هذه الارستقراطية ايسكولوس فامتاز بما امتازت به من محافظة على القديم ونفور من الجديد ، وأعانته رقة نفسه وقوة عواطفه على أن يغلو في ذلك ويستمسك به ويتخذه لحياته ملاكا ولحياة العالم نظاما .

فاذا أردت أن تدرس قصة من قصصه ، فأول ما ينبغي الالتفات اليه هو أثر هذا القضاء في تكوين القصة وتدبير مايقع فيها من عمل ، وما

يجرى فيها من حركه .

الى جانب هذه القوة القاهرة أقام ايسكولوس قوة أخري هى ارادة الآلهة. لهذه القوة ماشاءت من حياة الناس والعالم على ألا تمانع القضاء ، وعلى الناس أن يدينوا لها و يذعنوا لما قضت به . والى جانب هاتين القوتين قوة ثالثة ليست قليلة الخطر ، هى ارادة الناس وما يبعث نفوسهم على العمل من شهوة وهوى .

وليست هناك قصة من قصص ايسكولوس الا تنحل بطبيعتها الى نزاع وممانعة بين هذه القوي الثلاث ، أو بين اثنتين منهما . تجد ذلك قد صور صورا مختلفة ووصف أوصافا متباينة . ولكنه بعينه لا يتغير ولا يتبدل ، وان تغايرت الصور وتباينت الصفات .

— ٥ —

يختلف الرواة فى عدد ما انشأ ايسكولوس من القصص التمثيلية فيعد له بعضهم خمسا وسبعين و يرقى بها بعضهم الى تسعين و يتوسط المحدثون فيبلغون بها نحو الثمانين .

وقد حفظت الآثار التاريخية طائفة غير قليلة من أسماء هذه القصص تربو على سبعين . ومهما يكن من شيء فقد قدمنا انه فاز ثلاث عشرة مرة أى ان اثنتين وخمسين قصة من آثاره التمثيلية ظفرت برضى الجمهور واعجابه .

ولم يبق من هذه الآثار على كثرتها الا سبع قصص كاملة ، اصاب نصوصها شيء غير قليل من الفساد ، ومقطوعات كثيرة من قصص أخري قد استأثر بها الفناء، وتدل القصص الباقية وأسماء القصص الضائعة على أن الشاعر قد

طلب موضوعات تمثيله الى الشعر القصصي كما قدمنا واكتفى بما سقط عن مائدة هوميروس فاستقى من الالياس والأوديسيا، والغناء القبردي، ومن أبناء طيبة وارجوس، ومن قصص السفينة أرجو، ومن قصص عودة أبطال تروادة الى أوطانهم، ومما كان يحفظ الشعر القصصي والغنائي من حياة ديونوزوس وانبائه، واستقى أيضاً من شعر ازيودوس في اخبار الآلهة ولم يحاول تمثيل حياة اليونان الحديثة فيما يظهر الا مرتين:

الأولي تمثيله هزيمة الفرس، والثانية تمثيله اقامة مدينة اتنا في صقليه.

وقد اختلف الباحثون المحدثون في الطريقة التي كان يصل أيسكلوس بها بين قصصه التمثيلية. فقد قدمنا أن نظام المسابقة التراجيديه كان يلزم الشاعر أن يقدم في كل سنة يريد فيها السباق ثلاث قصص تراجيدية، وقصة ستيرية وكانت هذه القصص الأربع تسمى رباعية (*Tétralogie*) كما كانت القصص التراجيدية الثلاث قبل أن تضاف اليها القصة الستيرية تسمي ثلاثية (*Trilogie*).

فهل كانت هذه الرباعيات والثلاثيات متصلة تتناول موضوعاً واحداً تتقسمه فيما بينها، فتلم كل قصة منها بجزء من اجزائه؟ أم هل كانت منفصلة، تلم كل واحدة منها بموضوع خاص؟

ليس من سبيل الى الشك في أنها قد وجدت متصلة، لأن طبيعة الفن كانت تقتضي ذلك، اذ كان موضوع التمثيل في أول أمره حياة ديونوزوس. فكان من المعقول أن تتناول كل قصة جزءاً من أجزائها. ولأن التاريخ قد حفظ لنا ثلاثية متصلة من ثلاثيات ايسكولوس: هي الأوريستيا تتالف من أجاممنون والكويفوروى، والأومينيديس كما سيرى القارىء، وحفظ

لنا أيضاً قصصا منفردة ، لاشك فى أن شقيقتيها قد ضاعتا كقصة « السبعة يهاجمون طيبة » فقد كانت من غير شك آخر ثلاثية تمثل ما ألم بأسرة أوديبوس من خطب : أولها قصة لايوس ، والثانية اوديبوس ، والثالثة السبعة يهاجمون طيبه . الى غير هذا من القصص والاسماء الباقية التى تدل على ذلك دلالة واضحة .

ولكنه قد حفظ لنا الى هذا قصصا أخري يظهر أنها كانت منفصلة كالفرس ، فليس فى أسماء القصص الباقية ما يدل على أنها قد كان يسبقها أو يلحقها قصة تتصل بها ؛ فمن الراجح اذن أن يكون ايسكولوس قد اصطنع الطريقتين فانشأ الثلاثيات والرباعيات متصلة ومنفصلة .

أقدم ما حفظ التاريخ من قصص ايسكولوس ، قصة المستجيرات ، وهى جليلة الخطر من وجهين :

الاول . أنها تمثل بعض التمثيل ما كان بين مصر وبلاد اليونان في عصر الاساطير من صلة .

كان لدناووس خمسون ابنة ، ولأخيه اجبتوس خمسون ابنا ، فيخطب الأبناء بنات عمهم ، ويأبى الأب وبناته هذا الزواج الذى لا يرضاه الدين فيهربون من مصر الى ارجوس مستجيرين بملكها وشعبها ، ويتبعهم أبناء اجبتوس . أما ملك ارجوس فيتردد فى اجارتهم ثم يقدم عليها بعد أن يستشير الشعب فيأمره بها .

الثانى . أنها تعطينا صورة من التمثيل في أول أطواره حين كان حظ العمل فيه قليلا ، وحظ الغناء فيه موفورا ، فقد رأينا من هذا التلخيص الموجز أن ليس في القصة حادث ذو خطر ، وانما كل مافيها هو بكاء الجوقة

وغناؤها متضرعة الى الآلهة ، متوسلة الى الملك ، ممانعة لرسول المصريين .

مثل ايسكولوس قصة الفرس سنة اثنتين وسبعين واربعمائة ، وهي القصة التاريخية الوحيدة التي بقيت لنا من آثاره ، والشبه بينها وبين المستجيرات شديد لكثرة حظها من الغناء وقلة نصيبها من العمل ، ولكن القصص فيها كثير ، وهو يقوم مقام العمل ، قد أتقنه الشاعر وأجاد فيه ، حتى ان السامع ليرى ما اشتمل عليه أنه يقع بين يديه ، وفي هذه القصة اختراع بديع لايسكولوس هو محاولته ظهار طيف دارا وانطاقه على حافة قبره ، وقد استخدم هذا مرة ثانية فاظهر طيف كلوتيمنستر محاورة لآلهة الانتقام بمعبد أبلون في قصة الأومينيديس .

تمثل هذه القصه انهزام الفرس سنة ثمانين وأربعمائة وعودة الملك الاعظم ذليلا الى وطنه ، ومحاسبة الجوقة اياه على ما اهلك من رجل وما ضاع من مال .

القصة الثالثة هي قصة السبعة يهاجمون طيبة وهي تمثل مدينة طيبة قد حصرها العدو وأحاط بها وأخذ أهلها يستعدون للدفاع ثم ما كان من الهجوم ومن قتل ابنى اوديبوس كل منهما قضى على صاحبه . وقد مثلت هذه القصة سنة سبع وستين واربعمائة .

ثم مثلت بعدها في سنة غير معروفة قصة بروميثيوس مغلولا ، وهي تمثل ما كان من عقاب كبير لآلهة لبروميثيوس لأنه سرق النار واهداها الى الناس . فيظهر فى أول القصة مشدودا الى صخرة ، ولا يزال كذلك الى آخرها . وقد أشرنا آنفا الى ما في هذه القصة من جمال . ويظهر أن قصتين أخريين كانتا تتلوانها وهما بروميثيوس مفكوكا و بروميثيوس يحمل النار .

فى سنة ثمان وخمسين واربعمائة مثل ايسكولوس رباعية ضاعت قصتها الستيرية وهى الأورستيا .

القصة الأولى منها هي أجاممنون تمثل عودة الملك ظافراً من تروادة وما كان من اغتيال زوجه وعشيقها اياه .

القصة الثانية هي الخوويفوروى وموضوعها أورستيس بن اجاممنون يعود من نفيه وينتقم لأبيه فيقتل امه كلوتيمنسترا وعشيقها ايجستوس .

القصة الثالثة قصة الاومينيديس تمثل اورستيس هارباً بين يدى آلهة الانتقام بعد أن قتل أمه لاجئاً الى ابلون فى دلف ، ثم الى اتينا فى مدينتها حيث يقاضى ويبرأ وتظفر اتينا بحمل آلهة الانتقام على أن يصبحن آلهة نعمة ورحمة لأهل اتيكا .

والآن وقد ألممنا بحياة ايسكولوس وفنه وآثاره فلنأخذ فيما قصدنا اليه من تلخيص آثاره وترجمة ما نختاره منها

المستجيرات

فى شرق بوليبونيسوس في القسم الذى يسمى ارجوليس نهر يقال له ايناكوس ، كانت له ابنة تسمى ايو ، وكانت كاهنة للالهة هيرا ، فكلف بها ذوس كبير الآلهة ، وحنقت لذلك زوجه هيرا ، ومسخت كاهنتها بقرة بيضاء ، وكلفت حراسة هذه البقرة أرجوس بن الارض ؛ له مائة عين مبصرة ، فأرسل ذوس الى هذا الحارس رسوله هرمس فقتله .

ارسلت هيرا الى هذه البقرة قمعة [١] لزتها فأضاعت رشدها ، وحملتها على أن تهيم فى الارض ، فما زالت تطوف الآفاق حتي وصلت الى مصر ، فمسها ذوس ، فرد اليها عقلها وصورتها الاولى وأولدها ايبافوس.

كان من نسل ايبافوس هذا اجبتوس له خمسون ابنا ، ودناووس له خمسون ابنة . فخطب الاولون بنات عمهم وأبى دناووس هذا الزواج ، وهذا الاباء هو موضوع قصة المستجيرات . ولسنا نعلم كيف اتم أيسكولوس هذه القصة ، ولكن الاساطير تحدثنا بأن دناووس قد رضى هذا الزواج ، وأعطي كل واحدة من بناته سكينا و مرها ان تقتل زوجها ، فكلهن فعلن الا واحدة هى ايبرنسترا . أشفقت على زوجها فهربت معه . وعاقب الآلهة بنات دناووس على اثمهن بأن ينفقن حياتهن الخالدة فى الجحيم ، وقد وكلن بان يصببن الماء فى دن لا قعر له فلا يمتلىء أبداً

ايكيتيديس (المستجيرات)

الاشخاص : الجوقة تتألف من بنات دناووس وهن خمسون عذراء دناووس ـ ملك ارجوس ـ حاشية الملك ـ رسول .

---

(١) القمعة كما في القاموس : ذبابة تركب الابل والظباء اذا اشتد الحر.

تقع القصة بالقرب من ارجوس على ساحل البحر . ويمثل المسرح غابة وكثيبا تقوم عليه تماثيل الآلهة الذين كانوا يرأسون تصارع الشباب

— الفصل الاول —

المنظر الأول

الجوقة

أى اله المستجيرين ! انظر الينا نظرة معونة واشفاق . لقد جرت بنا السفن من تلك المصاب الرملية : مصاب النيل بجوار سوريا . هاربات لايبعثنا على الهرب ذنب اقترفناه . فقضي علينا بالنفى . وانما أبينا ان نذعن لهذه السلسلة الممقوته ، سلسلة الزواج يصل بيننا وبين ابن اجيبتوس .

ان دناؤس أبانا ليقوم منا مقام المشير الناصح والرئيس المشفق ، لقد وزن آلامنا ، فرأى الهرب السريع الى ما وراء البحر أخفها وزنا وأيسرها احتمالا . وها نحن أولاء نقبل على ساحل أرجوس حيث نزعم مفاخرات أن قد نشأت أسرتنا من هذه البقرة الهائمة التى مسحها ذوس ولاطفها فجعلها ولوداً ناتقاً . في أى بلد اشد علينا اشفاقا ولنا رحمة نستطيع أن نقدم هذا السلاح ، سلاح المستجيرات . هذه الأغصان المقدسة تزينها الشرائط . أيتها المدينة ! ايتها الارض ! أيتها الينابيع الصافية !

أى آلهة السماء ! أيها الآلهة المخوفة . آلهة الجحيم ولا سيما ذوس اله النجاة هذا الذى يحمي العدل ! املأوا قلوب أهل هذه البلاد عطفا وحنانا على نساء مستجيرات ! وادفعوا في البحر جماعة أبناء اجيبتوس قد هاجرو

من أوطانهم على سفن ما أشد طاعتها للمقاذيف قبل أن تطأ أقدامهم هذا الساحل الرملي. اتحط بهم الزوبعة العاصفة يملأها البرق الخاطف، والصواعق المهلكة، والرياح يضطرب لها البحر، فترتفع أمواجه مرغية مزبدة، ولتوقع بهم قبل أن يغصبوا بنات عمهم، يكرهوهن على زواج يحظره القانون .

أى ايبافوس ! أيها السليل الالهي، سليل لمك البقرة كانت ترعى كلأ المروج فما كاد يمسها ذوس حتى ولدته . ان اسمك لآية على قوة القضاء ! ان اسمك ليدل على شرف مولدك، اما لندعوك اليوم .

لأعلنن أصلى فى هذا المكان الخصب عرفته أمك وأقامت به ولا ثبتن ما بيني وبينها من صلة ذاكرة ما ألم بها : من خطب وما لقيت من شقاء، لأملأن نفس ساكنه دهشا وانكاراً، ولكنه ان اصغى الى واستمع لى لابد مقتنع بصحة ما أقول .

رب كاهن في هذه الغابة قد أثرت فيه شكاتي المحزنة، فخيل اليه أنه يسمع صوت تلك الزوج النكدة زوج الخائن (١) تيرايوس وصرت فيلوميلا يتبعها البازى .

لقد طردت هذه الزوج من تلك الرياض والعيون التي الفتها واطمأنت اليها فهي تتنهد تنهدات ملؤها الحسرة، وتبكي آخرة ابنها الذى تقدم ملاطفاً أمه فلقي الموت الذعاف بين ذراعيها .

---

(١) كان لبنديون خامس ملوك اثينا بنتان بلغتا من الجمال اقصاه فيلوميلا وبروكنا . فزوج بروكنا الى تيرايوس ملك تراقيا واهان هذا الملك فيلوميلا فقطع لسانها فغضبت لها أختها وانتقمت من زوجها بان أطعمته لحم ابنه ايتوس . فلما علم الملك بذلك اراد ان يبطش بهما فهربتا بعد ان استحالت بروكنا الى قبرة وفيلوميلا الى بلبل واستحال هو الى صقر فهو يتبعهما غير ظافر بهما واشفق الآلهة على ايتوس فحولوه الى حسون .

كذلك استعير هـذا الغناء المحزن، غناء اليونيين، أنا التى نشـأت على شواطى النيل، أخمش خدى لأسيلين، وصدري تحتبس فيه الزفرات، واقطع شعوري حزنا وولها . ولقد جأت الى هـذا المكان مفارقة على كره هـذا الاقليم الصافى : اقليم النيل . ولست آمن مع ذلك أولئك الذين يحنقهم هربى .

ايهـا الآلهة الذين منحونا الوجود ! اسمعوا لنـا ، واقروا العدل في نصابه ! لا تأذنوا أن يكون هـذا الزواج الذى تكرهه القوانين ، انكم لتكرهون الظلم فلا تقدروا لى الا زواجا مباحا ، أليس يجد الضعيف الذى أذلته الحرب وتبعته شرورها ، مأوى الى هذه المائدة المقدسة يحميهـا جلال الآلهة ؟

أى ذوس ! لتكن ارادتك ، ولتظهر للناس أن ارادة ذوس لغامضة لا تستكنهها البصائر النافذة . انهـا لتضيء كل شيء حتى الظلمة الحالـكة . ولكن ما قدر للناس يحيط به الخفاء دائماً .

ان ماقدره ذوس لنافذ لايدركه الفشل . وان المسالك المتعرجة الخفية التي تسلكها قدرته لمنتهية كلها الى الغاية .

انه ليري من أعلى اسواره السماوية مواضع المجرمين الفجرة، فيرميهم بصاعقته. لن يترك القوة تطغى ممانعة الآلهة من غير أن ينكل بها و ينالها بالعقاب: يسهر على هذا كله، علمه الذي لا يعدله علم فى قصره المقدس .

فلينظر الى ظلم الناس ، لينظر الى أين ترمي بنفسها، لتكرهنا على هـذا الزواج، هذه الشبيبة يملأها الغضب و يغلى فى عروقها الدم ، هـذا الجيل لا تكبح جماحه شكيمة قد أساءت شهوته النصح له و بعثه على اقتراف

الاثم باعث لاقبل له باتقائه ، فهو يذعن للجريمة التي تخلبه وتضطرد الى أن يأتي ما لا بد من أن يندم عليه .

انى لأقترب من الشر الذي ينذرني، فأبعث من أعماق صدرى صرخات عاليات تقطعها الدموع من حين الى حين . . . . ويلاه : ويلاه ! ان نبرات صوتي لتصور ما أحس من ألم . اني لأ تغني على نفسي أغاني الموت . أي ارض ابيس(١) كوني على مشفقة وبي رفيقة ! أعرفي صوتى ، وان كان غريباً . . .. اني لادعوك ضارعة اليك عائذة بك ،واني لأ قبلك الف مرة، انظرى الي هذه الثياب والنقب الممزقة .

لئن حسنت آخرتي ، لئن نجوت من الموت أي آلهة السماء ـ ليتضوعن على موائدكم نشر الطيب . ويلاه ! ويلاه ! . . . اني لفى شك مؤلم ! . . .

أى ملجأ يعصمني من الزوبعة ؟

أى ارض ابيس كوني علي مشفقة ولى رفيقه ! اعرفي صوتي وان كان غريبـاً ! . . . انى لأ دعوك صارعة اليك عائذة بك ،واني لأ قبلك الف مرة ؛ أنظري الى هذه الثياب والنقب الممزقة .

لئد حمانى المقاذيف وهـذا البيت من الخشب يجلله النسيج ويقيني عادية الموج الى هذا المكان من غير أن القى شر العاصفة ، فلست أتهم الآلهة في شيء ،أيها الأب الخالد الذى يرى كل شيء لتصحبني حمايتك الى آخر الطريق . . . قدر (واحسرتاه ! . . . واحسرتاه !) أن ينجو بنات نبيلات لأم جليلة من ازواج مجرمين !

---

(١) أحد ابناء ابلون تعلم الطب عن ابيه وزار أرجوس فطهرها من حيوانات مفترسة كانت تعيث فيها وشفي اهلها من شر هذه الحيوانات فارضها تنسب اليه .

أيتها العذراء الطاهرة من بنات ذوس (١) أنت التي لن تحول بين عينها المبصرة و بين العالم غشاوة ما ، انظرى الي وتقبلي دعائي .

ايتها العذراء الخالدة ! تولى حماية العذارى من الغضب والاطهاد . قدري (واحسرتاه !... واحسرتاه !) أن ينجو بنات نبيلات لأم جليلة من أزواج مجرمين .

لئن تركتني آلهة أولمبوس فليقودنني حبل محتوم الى طريق واضحة الى حيث أجد لى مأمناً في هذا المنزل المظلم الذى ينزله المردة السود منذ صعقتهم الصاعقة ، في هذا المكان أقدم هذه الاغصان الى هذا الذى يضيف الاشقياء جميعاً الى اله الموتي (٢) .

أي ذوس! ان سخط الآلهة ليتبع ايو غيروان ولا مقصر اني لأعرف ضربات زوجك الخالدة ، أن نفثاتها التى تملأها السخط والعداء لتبعث الزوبعة ولكن أين تضع عدلك اذا أصممت أذنك ، فلم تسمع لصلاتنا مطرحاً ، هذا الذي أنت أبوه : هذا الذي ينتمى الى البقرة التى كانت اليك حبيبة وعليك عزيزة ؟ اسمع من أعلى السماء الى أصواتنا تتضرع اليك .

***

ثم يأتي دوناووس ، فينصح لهؤلاء العذاري أن يلزمن مائدة لآلهة وتماثيلهم ، وأن يطلبن اليهم الحماية لانه يرى جيشاً يقترب .

---

(١) هذا الحوار يفسر ماترجمناه آنفا من قصة البقرة ونرجو ان يلتفت القراء الى دقته ومهارة الشاعر في سوقه فنحن نرى أحد المتحاورين يبدأ الجملة فيتمها صاحبه وانما أراد الشاعر بهذا ان يثبت من شك ان الصلة التي تزعمها الجوقه بينها و بين ارجوس لا تحتمل الريب

(٢) هو اوديس منزلته تحت الارض تعدل منزلة اخيه ذوس فوقها

الفصل الثاني

يأتي الملك وحاشيته فيدهش لمكان الجوقة وغرابة أزيائها ويسألها أمرها بعد أن يتعرف اليها فتزعم له أنها أرجية الأصل ويداخله الشك فى ذلك فتنبئه بحقيقة الامر فى هذا الحوار .

الجوقة (١) أليس قد زعموا أنه في هذه الارض : أرض أرجوس قد ولدت قديماً ايو كاهنة هيراء هذه الكاهنة التى (كما بعد بذلك الصيت) . . .

الملك — ضمت ذوس بين ذراعيها مع أنها امرأة فانية .

الجوقة — ولكن ما لبثت هيرا أن استكشفت حبهما .

الملك — من غير شك قد وخزتها الغيرة : فماذا فعلت ؟

الجوقة — مسخت خصمها بقرة .

الملك — فأصبح ذوس عاجزاً عن أن يقترب منها !

الجوقة — زعموا أن ذوس استحال الى ثور

الملك — اذاً فزوجه الماكرة العنيدة !

الجوقة — وكلت حراسة البقرة الى حارس لايفوته شيء .

الملك — ماذا تسمين هذا الراعي الحذر ؟

الجوقة — أرجوس بن الارض قتله هرميس .

الملك — ثم ماذا لقيت هذه البقرة التعسة من ألم ؟

الجوقة — لزمتها حشرة تجن للدغتها الثيرة، ونسميها على شواطىء النيل قمعة .

الملك — فأكرهتها على أن تفر من هذا المكان !

---

(١) تخاطب الجوقة أثينا .

الجوقة — لقد صدقت ووافقت روايتك روايتي .

الملك — وبالقرب من ممفيس فى كانوب .

الجوقة — مسها ذوس فجعلها اماً . . .

الملك — وكان هذا الطفل الالهى قد ولدته البقرة . . .

الجوقة — كان ايبافوس الذي يدل اسمه على مولده ومنه ولدت ليبيا التي كان حظها أعظم أقسام الأرض الثلاثة .

الملك — ومن ذا الذي ولدته ليبيا هذه ؟

الجوقة — بيلوس الذي كان له ولدان : أحدهما أبى هذا الذى تراه .

الملك — أبوك ؟ ما اسم هذا الرجل الحكيم ؟

الجوقة — دناووس : لأخيه خمسون ابناً : يسمي اجبتوس . والآن وقد عرفت قصتي ونسبى فعليك أن تحمى الأرجيين الذين يمتون اليك بسبب متين .

***

ثم يسأل الملك الجوقة عما أفزعها من مصر فتنبئه به ، وعما تريد منه ، فتسأله الجوار ، ويتردد الملك بين أن يجيرهن فيعرض مدينته للحرب أو يردهن فيغضب اله الجوار ، ثم يتم رأيه على أن يستشير الشعب ، فيبعث دناووس الى المدينة ضارعاً مستجيراً ، ويلحق به بعد أن ينصح للجوقة أن تأوى الى غابة بجوار المسرح فتفعل وتتغنى قصة ايو متضرعة الى ذوس أن يكون لها نصيراً

الفصل الثالث

يأتي دناووس فينبيء بناته بأن الشعب قد انتصر لهن ومنحهن الجوار ، فيرتفع غناؤهن بالدعاء لهذا الشعب والثناء عليه

الفصل الرابع

ينبيء دناووس بناته بأنه يرى السفن مقبلة،وأنه طائر الى المدينة فمستنفر أهلها ، تتشفق الجوقة وتهلع ، و يبذل لها دناووس ما استطاع من تشجيع وتثبيت ، ثم ينصرف وتتغني الجوقة خائفة متولهة مستجيرة بالملك تارة وبالآلهة تارة أخرى ؛ وانها لكذلك اذ ينزل شخص من احدى السفن و يتقدم اليها فتتلقاه مستنزلة عليه السخط .

الفصل الخامس

يأتي الرسول ومعه بعض الجند،فيأمر الجوقة ان تتبعه الى السفن حيث تنتظرها سادتها ، فتأبي عليه ذلك منذرة له مستجيرة منه ،وانها لتمانعه وتشاده اذ يأتي الملك فيعلن عزمه على حمايتها ، و يلوم الرسول علي ماقدم اليها من اهانة ، ثم يأمر أن توضع الجوقة بمأمن داخل المدينة ، و ينصح دناووس لبناته بايثار العفة والفضيلة ، ثم يتقدم الاسطول ، فتتردد الجوقة في أمرها فبعضها يري الخضوع ، وبعضها يري المقاومة ، وتنتهي القصة هنا ، ولا شك في أن قصتين أخريين كانتا تمثلان ماتم من أمر بنات دناووس ولكنهما فقدتا .

الفرس

الاشخاص :

الجوقة : تتألف من شيوخ يشرفهم المولد والكفاية الخاصة . وهم الذين كانوا يسمونهم الامناء .

أتوسا : أرملة دارا وأم اكزرسس .

رسول .

روح دارا .

اكزرسس : ملك الفرس بن دارا.

تقع القصة في سوس ، ويمثل المسرح قصر الملك ، ويرى من ناحية قبر دارا

سافر جيش الفرس يقوده الملك الاعظم اكزرسس لحرب اليونان وهي الحملة الميدية الثانية . فانهزم الفرس هزيمة منكرة في البر والبحر ،وعاد الملك الأعظم الى وطنه ذليلا مهينا . وهذه القصة تمثل عودته ، وقد مثلت في أتينا بعد الحرب بثماني سنين ،وكان المؤلف قد اشترك في الحرب ،ويقال انه قد أحسن فيها البلاء .

الفصل الاول

تغني الجوقة بما يملأ قلبها من فخر بما أرسلت فارس من جيش ضخم لسحق اليونان . ثم تتخوف سوء العاقبة ، لأن عهدها بالجيش بعيد ، وقد انقطعت الأنباء ، فهي لا تعرف من أمره خيراً ولا شراً .

الفصل الثانى

تقبل أتوسا أم الملك فتفضى الي الجوقة بما يداخلها من الخوف على ولدها ، وأنها قد رأت حلماً ملأ قلبها عباً ، وتسألها المشورة . فتشير عليها الجوقة بأن تقدم ضحايا والقرابين الي الآلهة ، والى دارا خاصة ، ليصرف عن الملك وأسرته كل أذي وضيم ، فتذعن لمشورتها ، وتهم بالانصراف ، ثم يبدو لها فتسألها .

أتوسا — أين تقوم أثينا ؟ (١)

الجوقة — بعيداً من هذا المكان حيث يغرب الكوكب الذى نعبده .

أتوسا — وهذه هى المدينة التى يحرص ابني علي تدميرها !

الجوقة — ان تدميرها بسط سلطانه على بلاد اليونان كلها .

اتوسا — اذاً فجيش الاثينيين كثير العدد ؟ .

الجوقة — كثير ما أوقع بالميديين من شر .

اتوسا — ألهم من مصادر الخير ثروة كافية .

الجوقة — لهم كنوز الأرض ، مناجم الفضة .

اتوسا — أيتخذون السهام والقسى لهم سلاحاً ؟ .

الجوقة — كلا : انما يقاتلون بالرمح والدرقة ، لا تزول أقدامهم . ـ

اتوسا — من ذا الذي يقودهم ؟ ومن سيد جيشهم ؟ .

الجوقة — ليسو أرقاء ولا رعية .

اتوسا — وكيف يجرأون علي أن ينتظروا العدو يقبل فينقض عليهم ؟ .

---

[١] ربما كان هذا الحوار على ما فيه من جمال خاص أصدق صورة لما كان يملأ نفس الأثينيين بعد حرب الفرس من فخر وإعجاب .

الجوقة — كما انتظروا أقوى جيوش دارا فقضوا عليها .

اتوسا — آه ! أي طيرة لأمهات جنودنا ! —

الجوقة — ولكن يخيل الى أنك ستقفين من أمرهم على النبأ اليقين عما قليل . فان هذ الاسراع الذي أراه ينبئني بأن رسول الملك قادم : فسينبئنا بانتصاره أو بانهزامه .

المنظر الثانى

يقل رسول الملك فينبىء بهزيمة الفرس وفناء الجيش ولكنه ينبىء بأن الملك حي فتبتهج اتوسا بحياة ابنها ولاتحفل بهلاك من هلك . ثم تسأل الرسول أن يقص عليها الموقعة .

الرسول (١) أيتها الملكة ! ان شيطانا حاسدا، وروحاً شريرا ،قدفعل كل شيء (٢) لقد كان جندي اثيني قد اقبل فأنبأ الملك بأن جيش اليونان قد ملأه الهلع، فهولا ينتظر الا ظلمة الليل ، ليركب السفن ويلتمس نجاته في الهرب . فما كاد يسمع الملك هذا النبأ حتي حرص على تدمير الجيش غيرخائف خيانة

---

(١) وددت لو تدبر القاريء هذا الأسلوب القصصي الجميل الذي سيعرض له في هذه القطعة . ورأي كيف يتصرف الشاعر في الافعال فلا يلائم بين أوقاتها ولا يلاحظ الا حركة القصة حين تقع فهو يستعمل الفعل الماضي وما أسرع أن يعدل عنه الى المضارع أو الى جملة اسميه وما نشك في أن هذه المرونة وهذه الحرية قدأعانتا الشاعر على أن يكون قصصه من حسن الوصف والتصوير بحيث يخيل للقاريء أنه يشهد ما اشتمل عليه وقد اجتهدت في الاحتفاظ بهذا الاسلوب وأكرهت اللغة العربية بعض الاكراه على قبوله لاعطى القاريء صورة من الاسلوب اليوناني ولو أنها ضئيلة .

(٢) يشير الى ما كان من مكر تيمستوكليس زعيم الاثينيين وتغريره بالملك الاعظم ليحمل اليونان على قبول الموقعة وقد كانوا مترددين .

اليونان ولاحسد الآلهة (١) ، فيأمر زعماء جيشه أن يتربصوا ، حتي اذا أقبل الليل فغمر الارض بظلمته ، وتكشفت عنها أشعة الشمس ، اقسم الاسطول فبعضه يقفل المضيق بثلاثة خطوط من السفن وبعضه يحيط بجزيرة أجكس. فاذا أمن اليونان الهزيمة وأفلتت سفنهم ، فان كل رئيس فقد حياته جزاءاً على ذلك. بهذا أمر الملك وقد ملأته الثقة ، من غير أن يعرف ماأعدت له الآلهة

أطاع الجند وقرب البحارة مقاذفيهم من جسور السفن . فلما أقبل الليل ، وأطفأت الشمس أشعتها ، أخذ كل من الجند والبحارة مكانه ؛ دعي كل الى موقفه وتصطف السفن كما أمر الملك ، ومضي الليل وان الأسطول كما رتبه أمراؤه ، ليسهر على حفظ الطريق . يمضى الوقت ولا يحاول أحد من اليونان هرباً .

ولكن الفجر ذا العجلة المضيئة (٢) ، ما كاد ينشر بهجته على الارض حتى سمعنا من قبلهم أصواتاً عالية موسيقية ، تدل على فرح ونشاط ، وغناء حماسة وحرب ، تردده أصدية الصخور . فيملك الرعب جماعة الفرس قد خدعت فيما كانت تنظر . وما كان النشيد الذى كانت تتغناه جيوش اليونان آية هزيمة ، انما كان تشجيعاً وتحريضاً . وقد كان صوت البوق يضاعف شجاعتهم ثم يصدر الأمر . فما هي الا ان تقع المقاذيف القاطعة على الأمواج الملحة فتضطرب : وانهم لعلى مرأي منا . يتقدم جناحهم الأيمن فى نظام حسن ويتبعه سائر الجيش . ولقد كنا نسمع ألف صوت يصيح :

---

(١) لا يستنكر القارىء هذه الجملة فقد كان آلهة اليونان شديدى الحسد لمن عظم أمره من الناس .

[٢] كان قدماء اليونان يمثلون الفجر الذي يفتح باب النهار كأنه عذراء فى يدها مشعل تقلها عجلة منيرة

« هلموا يا أبناء اليونان ، خلصوا وطنكم ، خلصوا نساءكم ، وبناءكم ، ومعابد آلهتكم ، وقبور أجدادكم ، فإن موقعة واحدة لمظهرة ما أعدلهم القضاء »
فلا يجيب الفرس على هذه الصرخة إلا بالغمغمة ، وما كان لنا أن نتقي المعركة.
هذه المقدمات النحاسية مقدمات السفن تصطدم ، تبدأ الصدمة سفينة يونانية فتحطم سفينة فينيقية . ثم يختلط كل شيء . فيثبت أسطولنا لأول شدة ، ولكن سفننا وقد كثر عددها وضاق بها المكان ، لا تستطع أن يعين بعضها بعضاً ، فتصطدم مناقيرها الحديدية وتتحطم مقاذيفها ، وقد أحاط بها اليونان المهرة في أعمال البحر ، فيوقعون بها من كل ناحية ، ويجعلون عاليها سافلها ، ويستخفي البحر تحت الشظايا وجثث الموتى ، وتغطي الجيف الساحل والصخور وقد أخذ الأسطول كله يفر غير منتظم . وهؤلاء بحارتنا الأشقياء ، كأنهم الحيتان أو غيرها من وحوش البحر ، قد أخذت في الشرك فتعمل في رؤوسهم بقايا المقاذيف والمقاعد . وقد امتلأ الساحل صراخاً وأنيناً . حتى يقبل الليل فيخفينا عن أعين المنتصر .

عشرة أيام كاملة (١) لا تكفي لوصف ما فقدناه ولكن حسبكم أن تعلموا أن الدهر لم يعهد قط عدداً من الناس كهذا العدد قد هلك في يوم واحد .

اتوسا — يا للسماء ! أي طوفان من الآلام يغمر فارس وآسيا جميعاً !

الرسول — ثقي بأنك لا تعلمين نصف هذه الآلام ، فإن ما تبع ذلك من الشقاء أجل مما قصصت خطراً .

اتوسا — وأي خيبة أشد علينا قسوة مما نالنا . أوضح ، أي شقاء قد ناء بجيشنا ؟

(١) ليذكر القارئ أن الشاعر أثيني يفتخر

الرسول — لقد هلكت شر هلاك من غير مجد ولا فخر ـ خيرة فارس تلك الشبيبة التي امتازت بالشجاعة والاقدام ، وبالنبالة والشرف ، وبالحرص على نصر الملك والاخلاص له .

اتوسا — ما ذا أسمع أيها الأصدقاء ، أى ضربة قاضية ! كيف فقدت زهرة فارس الحياة ؟

الرسول — توجد بازاء سلامين جزيرة سيئة الأثر فى سفننا (١) حيث تسمع أغاني الاله پان (٢) هنالك أرسل أكزرسس شباب الفرس ليضعوا أيديهم فى يد من التجأ اليها من اليونان اذا انهزموا، وليعينوا من اضطر اليها من الفرس . لقد كان سيء القراءة في المستقبل، فما كادت السماء تمنح اليونان الانتصار البحري حتى نزلوا الى هذه الجزيرة ، مسلحين بكل شيء ، فأحاطوا بهم من غير أن يتركوا لهم منفذا ، وبدأوا فأرسلوا عليهم وابلا من الأحجار والسهام ، ثم انقضوا جميعاً فى وقت واحد عليهم ، فأعملوا فيهم السيف ، ولم يتركوا منهم واحداً الا نحروه وكان اكزرسس قد قام على ربوة بالساحل ليشمل نظره الجيش كله ، فهو يرى هذا القتل والذبح فيمزق ثيابه ، ويصيح صيحة

[١] هي جزيرة بستاليا نزلها ارستيديس مع طائفة من الاثينيين فأوقع بمن كان فيها من الفرس بعد انهزام الاسطول .

(٢) إله يوناني يختلف الرواة فى أبيه وأمه ويرجحون انه ابن هرميس ويختلف الفلاسفة وشراح الاساطير فى عمله الحقيقي وما كان يمثل من مظاهر الطبيعة . ويظهر ان الشعوب اليونانية كانت ترى فيه الها من آلهة الطبيعة الريفية الخصبة كلفا بالصيد والمزمار غزلا متتبعا للعذاري الخالدات . اما فلاسفة الرواقيين فكانوا يتخذون اسمه رمزا لهذه الوحدة العاقلة التي تدبر العالم وتقوم عليه لان معنى اسمه اليوناني « كل شيء » ولكن البعد بين هذا التصور الفلسفي وبين ما كان يعتقده العامة من أمر هذا الاله شديد

ملؤها اليأس ، وما هي الآن يأمر بالهرب و يسرع هو فيفر ، لا يلوى على شيء .
هذا هو الشقاء الذي ستبكينه أيضاً .

أتوسا — يالك من قضاء لناعدو ! لقد خدعت الفرس فأحسنت خديعتهم !
ان عقاب أثينا ليكلف ابني ثمناً غالياً ! لم يكن يكفي هلاك من هلك من
زعمائنا في مراثون ! لقد كان مما لابد منه أن يحمل ابني هـذه الحملة ، واثقاً
بأنه سيدأ لهم فيجر علينا هذه المصائب التى لا تحصى ، ولكن الى أين لجأت
السفن التى ظفرت بالفرار ؟ ألك بذلك علم ؟

الرسول — لقد هرب كل زعيم فى غير نظام : الى حيث حملته الريح .
فأما الجيش البرى فقـد هلك بعضه فى بيوتنا ظمأ وجرعاً ، ومضت بقية
الجيش في هربها لا تملك من الوقت ما تستريح فيه ، فعبرت بلاد الفوكيين
والدوريين وما جاورها من بلاد خليج ماليه ، تلك التى يرويها نهر سبركوس
بمائه العذب. ومن هنا عبرنا — محرومين كل شيء ، يعبث بنا الظمأ والجوع —
بلاد الاكويين وأرض تساليا ، حيث هلك أكثرنا ، ثم عـبرنا منيزيا :
مقدونيا وسواحل أكسيوس ، ومستنقعات بلبيه وجبال بنجيه وايا ونيا ، وهنا
أذنت السماء أن يشتد برد الليل اشـتدادا لم تعرف له سـابقة ، فيجمد ماء
سترمون . فما كدنا نشهد هذه النعمة التى لم نكن ننتظرها حتى عبد الأرض
والسماء منا الملحد والديان . و بعد صلاة طويلة خاشعة تقدم الجيش على الجليد
فنجا كل من استطاع أن يعبر النهر قبل أن يمد الله النهار أشعته . ولكن قرصه
المشتعل لم يكد يخترق بنيرانه أحشاء المياه حتى تمزق الجليد ، فترامي جنودنا
بعضهم على بعض ، سعيد من أسرع اليه الموت ! فأما الذين استطاعوا أن
ينجوا من هذا الخطر فقد عبروا طراقيا فى جهد ومشقة ثم عادوا الى أوطانهم.

ليطولن أسف فارس على زهرة هذه الدولة، لقد صدقتكم الخبر، ولكني أعربت عن كثير من الشر الذي أنزلته بنا الآلهة فناء بنا .

***

ثم تنفجع الملكة والجوقة لما ألم بالفرس وتعلن الملكة أنها فاعلة ما عزمت عليه من تقريب القربان واسترضاء الآلهة ، وتطلب الى الجوقة العناية بتعزية الملك وتسليته اذا عاد .

المنظر الثالث

الجوقة — أي ذوس ! لقد قضيت على هـذا الجيش الضخم ، جيش فارس ، انك لتغمر بالحزن مدينتي سوس واكبتان . ما أكثر هؤلاء النساء قد وصل بينهن الألم ، سيمددن أيديهن الضعاف الى النقب فيمزقنها وقد غمرت وجوههن الدموع ، زوجات تفيض قلوبهن حناناً ، قد قضى عليهن منذ اليوم أن يسكبن دموعاً لا تغيض ، سيسألن فرشهن الوثيرة التى قد شهدت ماذقن من لذة حلوة عنـد أزواجهن الذين لم يكادوا يقاسمونهن الحياة حتي غالهم الموت فملأ قلوبنا لذلك أسفاً .

أن آسيا كلها لتئن وقد نزح عنها سكانها، لقد سلبها اكزرسس ابناءها . اكزرسس اضاعهم . اكزرسس اسلم كل شيء من غير روية ولا أناة الى سفن ضعيفة ! ماذا ينفعنا اليوم أن قد ملك علينا دارا وان قد كان يعبـد في سوس ولا يستطيع قاهر أن يقهره !

واحسرتاه ! لقد مضت سفن سود ذات أجنحة بما كان لنا من مشاة وبحارة . . . لقد أضاعتهم السفن . . . لقد خانتهم السفن عند اللقاء ! . .

ياللآلهة ! . . لقد أهلكتهم أيدى الايونيين ! . . لقد خبرنا ان ملكنا لم يفلت من أيديهم الا بشق النفس، بعد أن عبر سهول تراقيا وحقولها المثلجة الجليد!

ضحايا الموت والهفتاه . . . قد تركوا قهراً . . . آه يا للآلهة . . . . على سواحل سيكريه! أعولى آسيا، مزقى صدرك، لترتفع صيحة الآلام الى السماء : ارفعي صوتك المحزن وصراخك المؤلم . لعبة الأمواج (١) ياللهول . . . قد أصبحوا طعاماً لأولئك السكان البكم . سكان الأمواج الملحة . لا بيت الا وله سيد يبكيه ! يستعبر الأب وقد أصبح من غير ولد ، ويشكو الشيخ وطأة القضاء . كل شيء يبعث في نفوسهم الألم والحسرة .

لن تطول طاعة آسيا لفارس . لن يطول أداء الاتاوة قد فرضها سيد قاهر ، ولن يطول بقاء هذا العرش ، كان يعبده الناس راكعين . لقد ذوى سلطان ملوكنا : لا شكيمة تمنع لغط اللاغط : لقد انقطعت تلك السلسلة التى كانت تغل الشعوب ، وتحطم ذلك النير الذي كان يذلها : لقد هلك الفرس ! لقد رووا بدمائهم ربي جزيرة أجكس . —

الفصل الثالث

ثم تقدم أتوسا وقد حملت من العسل واللبن ومن الزهر والفاكهة ماتتقرب به الى الآلهة والموتى ، فتتفجع وتتفجع الجوقة لما أصاب الفرس . ثم تتغني الجوقة داعية روح دارا أن يصعد من الجحيم لتسأله وتستشيره .

---

(١) ليلتفت القاريء الى أن الجوقة انما تتوله غير متأنية ولا مفكرة ترثي لما فقد الفرس في هذه الحرب وتذكرهم مرة بالعراء واخري في جوف الماء غير منظمة ذلك ولا متأنقة فيه انما تتبع طبيعتها وهذا شأن الشعر الغنائى

الفصل الرابع

يظهر ظل دارا علي حافة القبر فيسأل الجوقة عما أصاب الفرس فلا تستطيع أن تجيبه وتنبئه بذلك زوجه أتوسا ، فيأسف ويلهف ويتحدث بأن مصدر هذا الرزء انما هو ما كان من عقد الجسر علي البسفور ، فقد أهان الفرس بذلك الها اذ قيدوا حركة البحر . ومن شأنها أن تكون مطلقة . ثم ينعي علي ابنه طيشه ونزقه وطمعه فى قهر أثينا التي لا تقهر . ويعلن أن سلطان الفرس قد تزعزعت أركانه ، وخليق بهم أن يحتفظوا بما بقي في أيديهم ان استطاعوا الى ذلك سبيلا .

الفصل الخامس

يقبل الملك الاعظم أكزرسس منهزماً . فتتلقاه الجوقة معولة متوجعة وتسأله لأئمة مرة ورائية أخرى عمن أهلك من جيش فارس وزعمائها وما أضاع من مجدها وسؤددها . فيجيبها نادماً معتذراً ، متوجعاً متفجعاً ، وتقاسمه الجوقة كل ذلك .

***

ربما لم تقع هذه القصة من نفسنا موقعها من نفس اليونان ولكن ينبغي ألا ننسى أن جمال هذه القصة انما هو فيما تمثل من ظفر مدينة صغيرة ضئيلة الجيش كأثينا على أضخم دولة وأعظم سلطان فى الأرض يومئذ كدولة الفرس وسلطانهم . وأن الذين شهدوا تمثيلها هم أنفسهم الذين دحروا الفرس وأجلوهم عن بلاد اليونان ، فهم انما كانوا يرون مجدهم قائماً بين أيديهم ويشهدون ذل

الفرس الذين أذلوهم قبلا . على أن في القصة أنواعا من الجمال الفنى ، ليس من الميسور نقلها الي غيراللغة اليونانية.ومن هنا قل المختار منها في هذا السفر .

السبعة يهاجمون طيبة

كان لايوس ملك طيبة رجلا غير معقب فشكى ذلك الى أبلون وتنبأ له الاله بأنه مقتول بيد ابنه ثم ولدت له امرأته غلاما فأمر ن يطرح على قمة جبل خشاة أن يتحقق ما تنبأ به الاله ولكن راعياً من رعاة كرنثوس التقط الطفل وحمله الى ملك المدينة فتربناه وسماه أوديبوس أي ذو القدمين المتورمتين لانه كان كذلك حين التقط . فلما شب الغلام سمع الناس يتحدثون في القصر بأنه ليس من الأسرة فذهب يسأل ابلون عن ذلك فتنبأ له الاله بانه قاتل أباه ومتزوج أمه .

أشفق الغلام أن يتحقق الوحي فلم يعد الى كرنثوس بل مضى الى طيبة وانه لفي طريقه اليها اذ عرض له ملكها لايوس على عجلة فشاجره سائقها وضرب به الملك بسوطه فاغضبه ذلك فقتل الملك ومضى حتي بلغ طيبة فاذا أهلها في محنة شديدة وبلاء عظيم قد ظهر لهم حيوان يسميه اليونان اسفنكس له وجه العذراء وصدرها وجسم الأسد وذيله وبراثنه وله جناحان كجناحي الطائر فأقام على صخرة وأخذ يسأل من عرض له من أهل المدينة عن شيء يمشي على أربع في الصباح وعلى اثنين اذا زالت الشمس وعلى ثلاث اذا أمسى المساء فمن لم يحسن الاجابة على هذا السؤال افترسه وقضي عليه وقد عظم شره في المدينة حتى أعلن كريون الذي كان يقوم على المدينة بعد لايوس ان من انتصر على هذا الحيوان فله عرش المدينة وهو زوج ملكتها جوكاست.

ذهب أوديبوس وأجاب عن السؤال بان هذا الشيء هو الانسان يزحف على يديه ورجليه طفلا ويمشي على رجليه شاباً فاذا شاخ انطوي على العصى

فاغتم الوحش لهذا الجواب الرشيد و رمي بنفسه من أعلى الصخرة فهلك .

صار عرش طيبة الى أوديبوس وصارت اليه ملكتها أيضا ،فولدت له ابنين ايتيوكليس و بولنيس وابنتين انتجونا واسمينا وتم بذلك وحي ابلون فقتل أوديبوس أباه وتزوج أمه ولكنه لم يكن يعلم من هذا شيئا .

أرسل الآلهة وباء الطاعون على طيبة واستشار الملك أبلون فأمر أن يطرد من المدينة قاتل لايوس فأخذ أوديبوس يبحث عن هذا القاتل حتى أخبره الكاهن تريزياس بأنه هو ففقأ عينيه وخرج هائما على وجهه تقوده ابنته انتجونا ولعن ابنيه لأنهما لم يصحباه . أما جوكاست فقد قتلت نفسها خنقا .

اختلف بعد ذلك ايتيوكليس و بولنيس أيهما يكون له العرش فآل أمر الملك الى ايتيوكليس وخرج بولنيس من المدينة مغاضبا لأخيه حتى وصل الى أرجوس فتزوج ابنة ملكها أدرست وعاد معه إلى وطنه محاربا ،طال الحصار وانهزم الارجيون بعد أن قتل بولنيس وايتيوكليس كل بيد صاحبه

وهذه الحرب هي التى تمثل آخرها هذه القصة التى ستعرض للقارىء .

ولا شك فى أن قصتين أخريين كانتا تسبقانها،الأولى كانت تمثل مقتل لايوس،والثانية حياة أوديبوس .ولقد كانت هذه الاسطورة خصبة تناولها الشعراء الممثلون جميعا فأجادوا تمثيل أجزائها المختلفة كما سيري القارىء فى هذا الجزء وما يليه .

عاد الملك الى كريون فأمر أن يدفن ايتيوكليس وأن يترك بولنيس

بالعراء ولـكن انتجونا دفنت أخاها فدفنت حية وكان سيمون بن كريون يحبها فذهب الى قبرها وقتل نفسه فيه وعرفت أمه ذلك فقتلت نفسها وترك سوفكليس في قصة ستعرض للقارىء كريون قد فقد رشده امام هذه الخطوب فهو لا يدرى ماذا يصنع بل لا يستطيع أن يفكر

السبعة يهاجمون طيبة

الاشخاص : اتيكلس ملك طيبة — الجوقة تتألف من عذارى — جاسوس من طيبة ورجل آخر من طيبة — انتجونا . اسمينا أختا الملك — رسول — وستة من رؤساء جند طيبة لا يتكلمون — ورجال آخرون من طيبة وتقع القصة في طيبة ويمثل المسرح معبداً وميداناً عاماً

الفصل الاول

المنظر الاول

أتيكلس الجوقة ورجال من طيبة

ياأبناء كادموس أن زعيم الدولة وهو جالس على مقدمة السفينة قد أخذ دفتها بيده . يجب عليه أن يحدق بعينيه وان يرشد أوانه الى مايلائم أحوالهم فانا ان ننتصر شكرتم ذلك للالهة وان تدر علينا الدائرة (وليكفنا الالهة شر ذلك) فأنا وحدى المأخوذ به فى طيبة . أذا يصبح اتيكلس موضوع لغط الناس وتأنيبهم فليعفنا كبير الالهة الذي نعتمد عليه ونتقى به شر أعدائنا هذه النكبة . فليدع كل منكم اليوم (سواء في ذلك من لم يبلغ شبابه ومن تجاوزه) ماله من حول وقوة وليدافع عن وطنه وليحط معابد آلهته التى توشك أن تدمر وليحم ابناءه وأمه ومرضعه الحنون ، وهذه الارض التى كنا نزحف عليها حين خرجنا من المهد ، فاحتملت ثقل طفولتنا ، وغذتنا لنسكنها وندافع عنها حين تدعو الى ذالكم الحاجة . لقد أظهرت الآلهة ميلها الينا حتي الآن ، ولزم النصر جانبنا في أكثر الاحيان علي طول الحصار

أما اليوم فهذا الكاهن الماهر فى فنه من غير أن يحتاج الى تحريق الضحايا يسأل الطير و يفهم منطقها، هذا الذى لايخطيء فيما تنبأ به ينبؤنا بأن الاكويين قد أزمعوا اشد هجماتهم على طيبة وأعدوها . فسابقوا اذا الى أبواب المدينة ومقدمات الاسوار . أسرعوا طيروا وقد اتخذتم ماوقع فى ايديكم من سلاح واملأوا مواطن الدفاع، قفوا علي أعالي البروج . واحموا خارج المدينة . اثبتوا فى أماكنكم . لاتخيفنكم كثرة المهاجمين . فان الآلهة معنا . وقد بثثت الجواسيس في معسكر العدو . وأرجو ألا يكون ذلك عبثا . وأن تعينني أنباؤهم على أن أتقى مكر الاعداء

***

ثم يأتي جاسوس فينبيء بأن الاعداء قد أزمعوا الهجوم وانقسموا سبع فرق تهاجم ابواب المدينة السبعة . وعلى رأس كل فرقة بطل من أبطالهم . وقد أقسموا ليدمرن المدينة أو ليموتن . ويتوسل أتيكلس الي كبير الآلهة أن يحمى المدينة شر المغيرين و ينصرف . فتبقى الجوقة متلهفة متوجعة تتوقع الأهوال وتستعين الآلهة على اتقائها .

الفصل الثاني

يقبل أتيكلس وقد ملأه السخط على الجوقة لانها أكثرت العويل والنواح . وهو يخشى أن يطمع ذلك أعداء المدينة و يفزع حماتها ، وتعتذر الجوقة بما ملأ قلبها من خوف وهلع حين سمعت ضجيج الجيش وصرير السلاح ، فيلح الملك عليها فى أن تسكن وتهدأ ، وتكتفي بان تعد الآلهة نحر الضحايا وتقديم القربان ان سلمت المدينة من هذه الهجمة و ينطلق .

المنظر الثاني

الجوقة — اني لمطيعة ولكن قلبي مضطرب . فان صورة العدو يحيط بأسوارنا لا تفارقني وهي تملأ نفسى هلعا وفرقا . كأني الحمامة قد اتخذت لها عشا واهنا . فهى تخشي على صغارها جولة حية عادية

جيش بل شعب يزحف على أسوارنا . الى اي حال انا صائره . ان السماء لتمطر الاحجار من كل صوب على جنودنا . أى ابناء ذوس ! يامعشر الآلهة ! أقبلوا جميعا . واحموا مدينة كادموس وشعبه . اى بلد اشد الى انفسكم حبا تسكنون ان تركتم هذه الارض الخصبة نهبا للعدو . وماء درسية (١) اشد مياه العيون عذوبة وأحسنها شفاء للنفس قد أهداها الى الناس بنات (تيتيس) (٢) وهذا الاله الذي يضم الارض بين ذراعيه (٣)

أى معشر الآلهة قد اخذوا انفسهم بحماية هذه المدينة . باعدوا بيننا وبين الخوف الذى يفل القوى و يوهن العزائم ، وضاعفوا مجد الطيبيين . اسمعوا الى اناتنا المحزنه . انقذوا طيبة . اتخذوها لكم مقاما ابد الدهر . ماذا ؟ ! طيبة هذه المدينة القديمة تمحى من الارض ، وقد اصبحت نهبا للسيف والنار؟ اتتركها الآلهة ـ من غير شرف — عرضة لتخريب الاكويين

---

(١) عين مقدسة من عيون طيبة كان يزعم رواة الاساطير أنها كانت في أول أمرها احدي ملكات طيبة ظلمت ضرتها وغضب ابناء هذه الضرة لامهم فشدوا ظالمتها درسية الى ذنب ثور وطافوا بها المدينة حتي وصلوا الى مكان ذي صخور فمزقوها إربا ورق لها الآلهة فحولوها الى عين جارية .

(٢) الهة الماء كانت زوجا لاكيانوس إله البحر وأما لثلاثة آلاف من العذاري . كان اليونان ينسبون اليها والى بناتها كل نهر وكل ينبوع .

(٣) هو اكيانوس او البحر المحيط كان اليونان يتصورونه نهرا يطيف بالارض

هذه الامهات . آه يا للسماء .... ! وهؤلاء العذاري يسقن كالقطعان الى الرق وقد حسرن النقاب وقصصن الشعور ، وترتفع أصوات الأسري المتفجعات في هذه الاسوار مقفرة انها لصورة تضطرب لها نفسي. أيتها العذاري الفتيات . ايتها الزهرات النضرات . اي حظ سيء ؟ قبل ان يحين قطافكن قد اقبلت يد اجنبية . فهي تعبث بكن . تريد ان تنقلكن الى أرض العدو اجل ! ان الموت لاقل قسوة من هذا مائة مرة آه . . . . ان مدينة يدخلها العدو عنوة لتقاسي من ألوان الشقاء . يعبث بها الرق والموت واللهب ، يسترها الدخان ، وينطلق فيها ايديس (١) مدمرا . يملأها فزعا . ويحتي نساءها . زئير من كل ناحية ، وقد احاط شرك الموت بكل شيء . ينحر الرجل صاحبه . يصرخ الطفل القتيل صرخات غير متمايزة علي صدر امه الدامي . نهب يصاحب التخريب . يظهر بعض الجند لبعضهم ما احتوت أيديهم من غنائم . يحث بعضهم بعضا على النهب يدعو بعضهم بعضا من غير ان يريد قسمة مافي يده أو النزول عنه . اين السبيل الى تصوير هذه الصورة ؟ لا تكاد تخطو خطوة حتى ترى الارض مكللة بأنواع الثمر

أيتها الاسر النكدة المشؤومة ! أترين بين ايديكن ثمرات الارض مطرحة ممتهنة ؟ ؟ عذاري قد كن ينتظرن من الحياة حظا آخر ! فاصبحن مكرهات علي ان يقمن مقام الارقاء في سرير جندي سعيد وعدو ظافر ليحمني ليل الموت من ان أري هذا المنظر المشؤوم

---

(٤) إله الحرب يسميه اللاتينيون مارس .

الفصل الثالث

بينما تتساءل الجوقة عن عاقبة الموقعة ، يقبل جاسوس طيبة من ناحية و يقبل الملك ومعه نفر من كل رؤساء الجنود من ناحية أخرى . فينبئه الجاسوس باسماء الابطال الذين اختارهم الاقتراع لمهاجمة أبواب المدينة .وهو كلما سمي بطلا اختار الملك لمقاومته بطلا من ابطال طيبة حتى يصل الى البطل السابع .

***

الجاسوس_ أما الرئيس السابع الذي يهاجم سابع الابواب فلا بد من تسميته : هو أخوك . اى سخط يستنزل على المدينة ! قصاراه ان يرقي أعلى بروجنا وان يعلن نفسه ملكا ، وان يتغني نشيد الانتصار ، وان يلحقك فيعطيك الموت أو يأخذه من يدك ، وان ينتقم منك لنفسه يبغى يضع من قدرك يستشهد على ذلك آلهة وطنه.وقد مثل على درقته تمثيلاحسنا:صورتان جديدتان : مقاتل قد اتخذ من الذهب ، وامرأة قد اخذت بيده تقوده في جلالة وعظمة . قائلة : أنا العدالة ، لاردن هذا الرجل الى وطنه،ولاعيدن اليه ملكه وتراث آبائه .

تلك هي علائم هؤلاء الرؤساء . فانظرمن تختار للقاء اخيك.فلن تستطيع ان تتهمني — فيما بلغتك — بنقص او قصور . انت زعيم هذه الدولة . فعليك الآن ان تدبر شؤونها .

ايتيوكليس ـ يالك من أسرة أعمتها السماء ،ومقتتها الالهة!أسرة أديب التعسة ! أسرة شقية ! اليوم يتم ما تنبأ به ابونا . ولكن من الحق على الآن ان أحبس الشكاة وا كفكف الدموع : فلا ينبغي ان تكون مصدراً

للانين والعويل . أما انت . يا بلنيس ، فقد احسن من اختارك أشد الاحسان . وسنرى عما قريب : اى نفع تجر عليك علائمك سنرى : أيعيدك الى طيبة هذا الشعار الوقح ؟ قد نقش بالذهب على درقتك . لقد كان من الميسور أن يعيدك اليها ، لو آن العدالة — ابنة ذوس — هي التى تملأ قلبك ، وتحرك ذراعيك . ولكنها لم تنزل الى تشريفك بنظرة من نظراتها حين ولدتك أمك ، وحين كنت صبيا ، وحين كنت شابا وحين نبت الشعر فى عارضيك . أتظن أنها تقاتل الي جانبك لتدمير وطنك ؟ لقد وصلت ما بينك و بين جريء لا يدفعه عن الشر دافع (١) اتظن انك قادر مع ذلك علي ان تقيم العدل ؟ ان جريمتك لتملأني ثقة بالفوز . أنا الذى سيلقاك ؟ ومن ذا استطيع ان اختار غيرى ؟ ملك بازاء ملك ، اخ بازاء أخ ، خصم بازاء خصم ، ان مكاني لمعروف . أسرعوا ، احملوا الى سلاحي ، احملوا الي رمحي ودرعي . . . .

***

ثم يشتد الحوار بينه و بين الجوقة . تريد هذه أن تثنيه عن قتال اخيه و يأبي الا أن يمضي ماعزم . فينصرف وتبقي الجوقة متغنية بآلام هـذه الاسرة وما كتب عليها من الشقاء .

الفصل الرابع

يقبل رجل من أهل طيبة فينبيء الجوقة بأن المدينـة قد انتصرت علي أعدائها وسلمت من اذاهم . ولـكن اتيكلس واخاه بولنيس قد قتلا جميعاً كل بيد صاحبه ، فتبكي الجوقة وتعول راثية لهذين التعسين ثم تأتي اختاهما : انتجونا ،

(١) هو ادرست ملك ارجوس وزعيم الجيش وكان بولنيس قد تزوج ابنته

واسمينا ، وقد حملت جثة القتيلين . فتنقسم الجوقة الى قسمين يتجاوبان ، وكل يلطم وجهه باكياً معولا .

***

انتجونا — ايها الشقيان لقد اقتسمتما ما ارسلت علينا السماء من شقاء. فلم يصبح حظكما من نعيم الدنيا ونفائسها الا قبرا .

اسمينا — يالك من بيت موفور الحظ من الآلام ! الآن ترفع آلهة الانتقام اصوات الانتصار لقد استخفت بين يديها اسرة لايوس . وان آية الانتقام قائمة بالباب الذي قتل امامه الاخوان . لقد انتصر عليهما القضاء فهو الآن راض مطمئن .

انتجونا — انك لتعطي الضربة القاضية حين تتلقاها . . .

اسمينا — انك لتلقي الموت حين تعطيه . . .

انتجونا — سيفك يسلبه الحياة . . .

اسمينا — سيفه يعطيك الموت . . .

انتجونا — شقى حين انتصرت . . .

اسمينا — شقى حين هزمت . . .

انتجونا — انهمري ايتها الدموع . . .

اسمينا — انسجمي ايتها العبرات . . .

انتجونا — لقد خر المنتصر صريعاً : واحسرتاه ! ان ألمك ليملأ نفسي اضطراباً . . .

اسمينا — أن قلبي ليئن و يزفر . . .

انتجونا — يالك من أخ تعس! . . .

اسمينا — يالك من أخ شقى!...

انتجونا — أن اعز الايدى عليك هى التى حرمتك الحياة...

اسمينا — لقد اخترقت برمحك أعز الصدور عليك...

انتجونا — ان ذكر ذلك لمؤلم...

اسمينا — ان منظره لأليم...

انتجونا — يؤلمنا نحن خاصة، نحن موضع اليأس!...

اسمينا — اننا لاختان شقيتان، هذان اخوانا!...

انتجونا — ايها القضاء الذي لايرد، ايها المقسم الجائر للحظوظ! أيها الظل المخوف: ظل اديب! أي ارنيس السوداء (١)! أن سلطانك لعظيم!...

اسمينا — (وقد نظرت الى بولينيس)

أي منظر تقدمه الى بعد عودتك!...

انتجونا — ان انتصاره لم يضع حداً لغيبته...

اسمينا — أن عودته قد كلفته الحياة...

انتجونا — قد كلفته الحياة من غير شك...

اسمينا — ولكنه قد سلب أخاه حياته.

انتجونا — يالك من اسرة تعسة!...

اسمينا — اسرة قد اثقلتها المحن (ثم توجه القول الي بولينيس) ينبيء بها اسمك

انتجونا — لانفرغ من البكاء من شقاء الى شقاء!...

---

(١) إلهة الانتقام

اسمينا — أن ذكر ذلك لمؤلم

انتجونا — أن منظره لأليم . . .

اسمينا — أيها القضاء الذى لا يرد ، ايها المقسم الجائر للحظوظ ! ايها الظل المخوف : ظل أديب ! أى ارنيس السوداء ! ان سلطانك لعظيم !

انتجونا ـ وقد نظرت الى بولينيس

لقد علمتك التجربة ذلك هنا .

اسمينا ـ وقد نظرت الى ايتيوكليس

لم تكن اشد بطأ منه فى العلم بذلك

انتجونا ـ كان يقودك الى طيبة . . .

اسمينا ـ كان يسلمك لقتال أخيك

انتجونا ـ أي مصدر الألم ! . . .

اسمينا ـ منظر فظيع

انتجونا ـ واحسرتاه ! ان مصابنا فيهما لجلل ! . . .

اسمينا ـ واحسرتاه ! أى مصيبة الم بهذا البيت ، بهذا البلد ، ولا سيما بى ! . . .

انتجونا ـ واحسرتا ! واحسرتاه ان مصابي لأجل . . .

اسمينا ـ أى ايتيوكليس ، انت مصدر آلامنا الفظيعة ! . . .

انتجونا ـ اى اشد الاخوة شقاء وسوء حال ! .

اسمينا ـ لقد أعماكما الانتقام ....

انتجونا ـ اين نقيم قبرهما ؟ ...

اسمينا ـ في اشرف الامكنة ....

انتجونا ــ واحسرتاه ! ليتبعوا قبر ابيهما ....

الفصل الخامس

ثم يأتي رسول فيعلن أن مجلس الشيوخ قد أمر أن يدفن ايتيوكليس لانه مات مدافعا عن المدينة، وان يترك بولينيس غير مقبور، لانه مات عدوا لوطنه . فتعلن انتجونا انها مخالفة هذا الامر ودافنة أخاها مهما لقيت فى سبيل ذلك من عناء . ويحاول الرسول والجوقة أن يعدلوا بها عن هذا العزم فلا يفلحوا .

بروميثيوس ديسموتيس

بروميثيوس مغلولا

الاشخاص :

القوة

القسر

افيستوس

بروميثيوس

الجوقة تتألف من العذاري اكيانوس

ايو

هرميس

تقع القصة فى سيتيا

الفصل الاول

سرق الاله بروميثيوس النار من السماء وأهداها الى الناس . فهداهم بذلك الى جميع الصنائع والفنون ، وسخط عليه بذلك كبير الآلهة ذوس ، فأمر ابنه أفيستوس » اله النار ان يصلبه الى صخرة في سيتيا عقابا له . يتردد افيستوس فترغمه القوة علي أن يصدع بأمر أبيه ، وتحذره عاقبة الخلاف والابطاء ، فيطيع ويبقى بروميثيوس وحده مصلوبا يتفجع ويتوجع .

— المنظر الثالث —

بروميثيوس والجوقة

الجوقة — لا بأس عليك، انما نحن آلهة أصدقاء، قد حملتنا الى هذه القمة أجنحة خفاف . لم يسمح لنا أبونا بهذا السفر الا بعد مشقة ، وقد أعاننا الهواء على اجتياز مايحول بيننا و بينك من أمد بعيد . لقد بلغ دوي المطرقة أعماق الاغوار البحرية حيث نقيم ؟ فما كدنا نسمعه حتى كفكفنا عاطفة الحياء ولم يخجلنا أن نظهر حافيات ، فامتطينا عجلة ذات جناحين .

بروميثيوس — أي بنات تيس الولود، وهذا الاله تحيط أمواجه الضخمة بأقطار الأرض جميعها ، القين أعينكن ، أنظرن بأي سلسلة قد شددت الى قمة هذه الصخرة ، حيث قضى على أن أسكن منذ اليوم منزلا لن يحسدني عليه حاسد .

الجوقة — اني لاري ذلك ، يابروميثيوس ، وان سحابا من الفزع تملأه الدموع لينتشر امام عيني ، حين أحدق فى هذا الجسم ، وقد اذلته هذه السلسلة من الماس . ان سادة محدثين (١) ليحكمون في اولمبوس ، وان ذوس ليملي فيه ظالماً قوانين جديدة : وقد استخفي بين يديه من كان لهم البطش والسلطان قديماً .

بروميثيوس — ماله حين اثقلنى بهذه الاغلال التي لاتحل — لم يقذف بي تحت الارض في اعماق مستقر الموتي ، في هوة ترتار ! (٢) اذاً لكنت

---

(١) « سادة محدثين » يشير الى ما كان من خروج ذوس على أبيه وخلعه اياه مما سيفصله الشاعر نفسه عما قريب

(٢) « هوة ترتار » سجن تحيط به أسوار ثلاثة من النحاس بعد ما بينه وبين

علي أقل تقد ير بنجوة من هذه النظرات المهينة : نظرت الآلهة والناس ؛ كلا، يجب أن اكون لعبة محزنة في يد الريح ، وأن يتمتع أعدائي بما أنا فيه من عذاب.

الجوقة — ايه!أي اله بلغ من القسوة أن يستمتع بمنظر كهذا ؟وأى اله غير ذوس لا يرثي لآلامك ؟ اما هو فان قلبه القاسى المحنق الذي لا يعرف اللين يستبد بأهل السماء ، ولن يعدل عن ذلك حتى يرضي قسوته ،وليس من سبيل الى زعزعة عرشه الذي قد ثبتت أركانه الآن اشد الثبات .

بروميثيوس — لئن اثقلتني الآن هذه الاغلال المخجلة، فان هذا الامير يسود على الآلهة الخالدين ، سيضطر الي معونتى وسيتوسل فى أن يعرف عدوه الجديد الذى سينزع منه صولجانه . وسيحرمه ما يحيط به من شرف ولكنه سيبذل عبثا ما يملك من قوة الخداع والاقناع ، وسينذرني عبثا بما استطاع أن يعد لى من عذاب ، فلن ابيح له هذا السر حتى يفك اغلالى و يصلح ما فرط به في ذاتي من اساءة .

الجوقة — لقد عهدتك شديد الجرأة دائما ! يبلغ بك الشقاء أقصاه ، فلا تذعن : لقد تعود لسانك ألا يخشي شيئا . ان الهلع ليملك قلبى : واني لأرتعد اشفاقاً عليك . ما آخر آلامك ؟ ان نفس ابن كرونوس(١) لمقفلة ليس الى استطلاعها من سبيل ، وان قلبه لقاس لا يلين .

بروميثيوس — قد أعلم ان ذوس شديد الصلابة . وان ارادته وحدها

الارض كبعد ما بين الارض والسماء كان مستقرا لمن نفى أو قضي عليه بالعذاب من المردة والآلهة

(١) « ابن كرونوس » هو ذوس كبير الآلهة

هى العدل فيما يري . ولـكن كوارث غير منتظرة ستلين هذه النفس الصلبة: وان غضبه الذى لاسبيل الى الـكسر من حدته الآن لمفلول : ولتحملنه رغبة تعدل رغبتى قوة على ان يسعي اليه حريصا على معونتي وصداقتي .

الجوقة — ولـكن لأى اهانة قضي عليك ذوس هذا القضاء الوحشى ؟ ما خطيئتك ؟ تكلم ان كان الـكلام لايؤذيك.

بروميثيوس — واحسرتاه ! يؤلمنى أن أقولها ، ويؤلمنى أن أكتمها : وكلا الأمرين لى مصدر عذاب . انفجر الحقد (١) بين الآلهة ، وانقسم بعضهم على بعض . فبعضهم كان يريد طرد كرونوس ودفع الصولجان الى ذوس وبعضهم كان يريد ابعاد هذا عن العرش ابد الدهر . قدمت أصدق نصحى عبثا الى المردة أبناء الأرض والسماء . فقد كانت جرأتهم الحمقاء تزدرى المكر والحيلة ، كانوا يعتقدون أن قوتهم وحدها ستصل بهم الى النصر من غير مشقة . أما أنا فقد كانت تميس (٢) والارض نفسها التى يعبدها الناس بأسماء مختلفة تنبأت لى : ان ليس في القوة والقسر غناء فى هذه الحرب التي كانت تهيأ ، وأن الحيلة وحدها تقود الى الانتصار . فلما أنبأتهم بهذا الوحي لم يتنزلوا الى أن يستمعوا لى الا متـكلفين . فرأيت من الحـكمة مع هذا الشك ـ أن أنضم الى أمى ، وأن أنصر ذوس الذي كان يلح علي في ذلك . فاستطاع — بمعونتى وبما قدمت اليه من نصح ان يقذف بكرنوس

---

(٢) يشير الى ما كان من ثورة ذوس على ابيه كرونوس ومن خلعه اياه وقيامه مقامه

(٣) اخت كرونوس وعمة ذوس كانت محبة لابن اخيها ويزعم رواة الاساطير انه اكرهها على ان تكون له زوجا .

القديم وأنصاره في هوى ترتار العميقة المظلمة . هذا هو الجزاء المهين الذي يجزيني به طاغية السماء من هـذه اليد البيضاء وتلك رذيلة الظلم خيانة الأصدقاء وعقوق المعروف . ولـكنني منبئكنَّ بمـا تسألنَ من سبب عذابي . ما كاد يجلس على عرش أبيه مهدياً الى الآلهة ضروب الشرف والمـكافأة ، حتى اجتهد في تثبيت سلطانه . وبدلاً من أن يرعى حق الانسان الشقي أراد القضاء عليه وأن يستبدل منه جيلاً آخر . فلم يظهر أحد خلافه الا انا ، فقـد اجترأت على ذلك ؛ استطعت وحدي أن احمي أبناء الانسان من ان تصعقهم الصاعقة فيتركوا الارض الى حيث يعمرون دار الجحيم .

هذا سبب ما القى من الأذى ؛ هذا هو الذي يحملني ما انا فيه من ألم شديد احتماله، فظيع النظر اليه . اشفقت على الناس ؛ فلم يشفق عليّ احد . اعامل بغير رحمـة ولـكن عذابي نفسه هو الخزي المسجل على ظالمي

الجوقة — آه يا بروميثيوس ! أي قلب من الصخر او الحديد لا يرق لآلامك ! ليتني لم ارها ؛ فقد ملأت قلبي لوعة وحزناً

بروميثيوس — ربما رقَّ لي الاصدقاء

الجوقة — ولـكن أهذا كل ما جنيت ؟

بروميثيوس — أصبح الناس بفضلي لا يرغبون في الموت .

الجوقة — بأي دواء حلت بينهم و بين اليأس ؟

بروميثيوس — وضعت في قلوبهم الأمل الأعمى .

الجوقة — ما انفس ما آثرتهم به !

بروميثيوس — وفوق هذا ، فقد منحتهم النار السماوية .

الجوقة — النار ! ماذا ؟ أيملك الناس هذا الكنز اللامع !

بروميثيوس — أجل وسيهديهم هذا الاستاذ الى كثير من الفنون .

الجوقة — اذاً فهذه هي الجريمة التي يجزيك منها ذوس : هذه الاهانة القاسية ! ولكن ألا خلاص لك ؟ ألا حدّ لألمك ؟

بروميثيوس — لن يكون لها حد الا الذى يريده ذوس .

الجوقة - وهل يريد أن يضع لها حداً ؟ هل لك في ذلك من أمل ؟ آه ! بروميثيوس ! لقد خرجت على ذوس ولكن لومك على هذا الخروج لا يسر قلبى وهو لقلبك محزن فلندع هذا الحديث ؛ ولنبحث عن الوسائل التي تعجل انقاذك .

بروميثيوس — أيسر على من قام بالساحل أن يهدى الموعظة والنصيحة الى من تعبث به العاصفة ! لقد اهنت ذوس ؛ اني لأعلم هذا : لقد أردت اهانته ؛ وما انا لانكار هذا بمحاول. أردت ان اعين الناس فاهلكت نفسي . ولكني لم اكن اعتقد اني سأقضي حياتي مشدوداً الى هذا الصخر على قمة هذا الجبل القفر . أما انتن فلا تقنعن بالرثاء لما انا فيه الآن من سوء الحال . اهبطن على مقربة مني ؛ اقبلن انبئكنّ بما يدخر لي القضاء . لا تأبين ذلك عليّ ؛ اشفقن على شقي منكود . وا حسرتاه ! إن الشقاء ليحلق علينا و يوشك أن ينزل بنا جميعاً .

الجوقة — يسير عليك أن تقنعنا بذلك يا بروميثيوس ! سنهبط

بأقدام مسرعة من هذه العجلة ، وسنترك هذا المستقر الهوائي مستقر الطير الى حيث ندنو من هذا الصخر الوعر : فنتعرف آلامك .

(ثم يهبطن من عجلتهن ذات الجناحين)

الفصل الثانى

يأتي اكيانوس ممتطيًا حيوانًا ذا جناحين ليزور بروميثيوس . ولينصح له بأن ينزل عن شيء من كبريائه ، وينبئه بأنه صاعد الى السماء فشافع فيه الى ذوس . ولكن بروميثيوس يحذره عاقبة ذلك . وينصح له بالعدول عنه ، فينتصح ويعود أدراجه ، وتتغنى الجوقة بآلام بروميثيوس وإشفاق الناس والآلهة عليه .

الفصل الثالث

يذكر بروميثيوس للجوقة فضله على الناس وأنه قد هداهم الى الصنائع والفنون وعلمهم المنطق وزجر الطير وتأويل الأحلام ، وذلل لهم الطبيعة ، فأصبحوا لها مالكين . وهداهم الى الطب فاصبحوا بمأمن من عاديات الأسقام والعلل . فكان جزاؤه على هذا كله ما يلقى من عذاب ، فترثى له الجوقة وتود لو قرب خلاصه ، فينبئها بأن القضاء قد كتب له عذابًا اليمًا طويلاً ، وانه لن يستطيع ولن يستطيع ذوس نفسه أن يفر من القضاء فتسأله الجوقة : أللقضاء على كبير الآلهة سلطان ؟ فيجيبها : أن نعم ! فتود

لو عرفت ما قدّر لذوس فيأبى أن ينبئها به ، ويقول إن خلاصه موقوف على الاحتفاظ بهذا السر . فتغني الجوقة خوفها من كبير الآلهة وإشفاقها من سلطانه وبطشه ورغبتها في ألا تخرج عليه . ورثاءها لبروميثيوس الذي ألقى بنفسه الى التهلكة حباً في الناس وايثاراً لهم .

الفصل الرابع

أحب ذوس إيو (Io) ابنة إناكوس فحنقت عليها هيرا زوجته فمسختها بقرة ، وأفقدتها الرشد[١] فهي تهيم على وجهها تضرب في آفاق الأرض حتى تمر بالصخرة التي شد اليها بروميثيوس . فتسأله عن أمره فينبئها به ثم تسألها الجوقة عن أمرها فتقصه عليها ، ثم تتمنى هي على بروميثيوس أن يتنبأ لها بما ستلقاه من ألم . فيحدثها بذلك مفصلاً ، ويذكر لها أنها ستصل الى مصر بعد أن تجوب أقطار البر والبحر ، وهنالك يمسحها ذوس بيده فتسترد صورتها الأولى ، وتستعيد ما كان لها من جمال وعقل ؛ ثم يتصل الحب بينها وبين كبير الآلهة ، وينتج من هذا الحب نسل يكون منه من يخلص بروميثيوس من سجنه . ويعرض ذوس لخطر عظيم . فتسأله إيو والجوقة عن اسم هذا المخلص له المهدد لذوس فيأبى ان يجيب ، ويسمع كبير الآلهة كل هذه النجوى فيرسل رسوله ـ هرمس ـ ليسأل بروميثيوس عن هذا الاله الذي سيزعزع عرشه

---

(١) راجع قصة المستجيرات

الفصل الخامس

المنظر الاول

پروميثيوس . الجوقة . هرمس .

هرمس — اليك ايها الماكر الحوّل ، المملوء حقداً وسخطاً ، الجاني على الآلهة ، الذي اختص بالشرف أبناء الانسان ، أنت الذي اختلس النار السماوية ، اليك أسوق الحديث . يأمرك أبي أن تعلن : ماهذا الزواج الذي يروقك أن تتحدث عنه ، والذي سيقضي على سلطانه . تحدث من غير إلغاز ، يجب أن ترفع النقاب عن كل شيء . أي پروميثيوس ، لا تضطرني الى ان أعود اليك برسالة أخرى ...... فانت تعلم أنك لا تستطيع أن تقهر ذوس .

پروميثيوس — بأي حديث وقح يملأه الكبر قد نطقت ! إنه لحديث من كان للآلهة عبداً . أيها السادة الجدد في دولة جديدة ! تحسبون أنكم تسكنون قصوراً لن ينالها الضيم . ألم أر طاغيتين [١] قد هويا ؟ وسأرى سقوط الثالث . ليكونن هذا السقوط أسرع من سابقيه وأشد خزياً . أتظن اذاً أنني أخشى هذا الاله الجديد أو أفرق منه ؟ شديد ما بيني و بين ذلك من البعد . إنطلق ، عد غير مبطىء من حيث أتيت ! فلن تطلع من سري على شيء .

(١) أولهما هورانوس أسقطه ابنه كرونوس ، والثاني كرونوس هذا أسقطه ابنه ذوس كما قدمنا .

هرمس — ألا تزال حريصاً على هذا الكبر الذى جلب عليك ما أنت فيه من الشقاء !

بروميثيوس — ثق بأني لن أرضى رقك بديلاً من عذابي . أني لأوثر ، أجل إني لأوثر أن أظل مشدوداً الى هذا الصخر على أن أكون الرسول الأمين لأبيك . كذلك يجب أن نهين من أساء إلينا .

هرمس — آه ! لعل آلامك تلذ لك وتملأك سروراً وغبطة .

بروميثيوس — تملأني لذة وغبطة . آه ! وددت لو أصاب أعدائي وانت اولهم ما انا فيه من سرور ونعيم .

هرمس — ماذا ؟ أتتهمنى بسوء حالك ؟

بروميثيوس — ليس لي إلا كلمة واحدة . إني لأبغض الآلهة جميعاً الذين أثقلتهم احساناً فيثقلونني مساءة .

هرمس — لقد اضطرب عقلك ، إني لأرى ذلك ؛ إن ألمك لفوق ما تطيق .

بروميثيوس — وددت لو طال بي هذا الألم ، إن كان بغض الأعداء ألماً .

هرمس — إنك لثقيل الظل في النعمة !

بروميثيوس وقد تنهد ألماً — واحسرتاه !

هرمس — هذه كلمة لا يعرفها ذوس .

بروميثيوس — سيعلمه الزمن إياها : فان الزمن ينضج كل شيء .

هرمس — ومع ذلك فهو لم ينضج حكمتك .

بروميثيوس — لا ، فاني لن أحدثك بما تشاء ، أيها العبد الدنيء .

هرمس — اذاً فلست تريد أن تنبئني بما يريد أبي .

بروميثيوس — إني لمدين لأبيك بشيء كثير ! ومن الحق عليّ أن أرضيه .

هرمس — إنك لتسخر مني ؛ إنك لتعاملني معاملة الطفل .

بروميثيوس — أو لست طفلاً ، وأشد من الطفل سذاجة ، اذا كنت تعلل نفسك بأن تقف من سرى على شيء ؟ ليس هناك عذاب ولا مكر يستطيع أن يقهرني على أن أبيح هذا السر لذوس قبل أن تحطم هذه الأغلال المشؤومة . لقد قلت فلتسقط الآن صاعقته يستطير شررها ، واتضطرب الطبيعة ، ولتنبعث من جوف الأرض نارها الملتظية فتخالط البرد الناصع ؛ فلن أذعن لشيء ، ولن أسمي له ذلك الذي سينزله عن عرشه

هرمس — أنظر : أينفعك هذا الإصرار .

بروميثيوس — لقد رأيت كل شيء ، ولقد صح عزمي على ما أريد منذ زمن طويل .

هرمس — أحمق ! إجترىء ، إجترىء مرة على أن تتعلم الحكمة من آلامك

بروميثيوس — عبثاً تثقل عليّ فانا أصم كأمواج البحر ، لا تحسبن أني سأشفق مما قدر لي ذوس ، وسأصير من الضعف والهلع بمنزله المرأة ، فأبسط اليه يدى ضارعاً متوسلاً في أن ينقذني من هذه الأغلال ، أنا بعيد من ذلك .

هرمس — أرى أن كل ما أقوله لك غير منتج . فرجائي لا يستطيع أن يمسك أو يكسر من حدتك . فأنت كالجواد الجموح لم يستأنس ، تعض

الشكيمة ولا تنقاد للجام . ولكنك تبذل عبثاً ما تبذل من سخط وغضب فقوتك دون ما تحاول . فلا أشد ضعفاً ووهناً من كبر الأحمق . لئن لم أستطع ان أقنعك فمثل لنفسك على أقل تقدير هذه العاصفة التي لا سبيل إلى اتقائها ، هذه الزوبعة القاصفة ، زوبعة الآلام التى ستنزل بك . فان ذوس سيحطم هذه الصخرة الوعرة بصاعقته ورعده ، وسيوارى جسمك تحت شظايا الصخر . فاذا مضت عليك الحقب الطوال عدت إلى الظهور ؛ ولكن ما أسرع ما يقبل هذا النسر الشره نسر ذوس ، كلب ذو جناحين يمزق جسمك تمزيقا ؛ نهم تغذوه طوال الدهر مادة سوداء دامية هي كبدك لا تؤمل لهذا العذاب آخرة ، الا أن يضع بعض الآلهة نفسه موضعك ، ويرضى النزول الى حيث يقيم أوديسيوس ذلك الاله الخفي ، في هوى ترتار المظلمة . والآن ، فتدبر ، وراجع نفسك . فاني لا أقدم اليك نذيراً باطلاً . لقد سبق بذلك القضاء : فان فم ذوس لا يعرف اللغو ولا الكذب ، لا ينطق بشيء إلا حققه . تأمل وتدبر : ثق بأن الاصرار لا يعدل الحكمة .

الجوقة — يود هرمس لو نزلت عن كبريائك واصطنعت الحكمة وإن رأيه لرشيد فخليق بك ان تتبعه ؛ إن من الخزي ان يصر الحكيم على خطئه .

بروميثيوس — لم ينبئني بشيء جديد ، وما أيسر ان يلقى عدو أذي عدوه . فلتصعقني بعد ذلك الصاعقة . ليرعد الرعد ولتشهر في الفضاء حرب الرياح القاصفة ولتزعزع عواصفها الارض واصولها ، وليجمع هبوبها العنيف بين امواج البحر ونجوم السماء ؛ ولينفق ذوس ما ملك من قوة عنيفة قاهرة

ليقذف بي في أعماق ترتار المظلم ؛ فأنا على رغم ذلك كله حي لن ينال مني الفناء .

هرمس — أليس هذا الكلام كلام أحمق مفتون ؟ ألم يبلغ من الهذيان اقصاه ؟ ولو ان الحظ أعانه ، فالى أي حد ينتهي به الغضب ؟ ولكن من الحق عليكن انتن اللاتي يرثين لآلامه ان ترحلن عن هذا المكان ؛ فان قصف الرعد المفزع قد يوقع الاضطراب بعقولكن .

الجوقة — آه ! قدم الينا من النصح ما نستطيع أن نسمع له ؛ فان آذاننا لا تستطيع أن تصغي لما تقول : انك لتدعوني الى الخزي . كلا ، لأقاسمنه آلامه . فقد علمت ان ابغض الخيانة ؛ إنها لأشد الرذائل في نفسي مقتا .

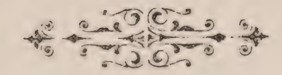
هرمس — أذكرن على اقل تقدير ما قدمت من نذير . فاذا أصابكن ما سينزل به من شقاء فلا تلمن القدر في ذلكن ؛ لا تزعمن أن ذوس قد اخذكن على غرة ، ولا تتهمن إلا انفسكن . فانكن لن تقعن في اشراك الشقاء من غير ان يكون قد سبق اليكن النصح والارشاد .

(ثم يذهب هرمس وتتبعه العذارى)

المنظر الثاني

بروميثيوس وحده

أجل ، ليس هذا بنذير باطل ؛ ان الأرض لتضطرب ؛ ولقد زأرت الأصدية الصم ، أصدية الرعد ؛ وإن الصاعقة لتلمع ثناياها الملتظية ؛ وان ركاماً من التراب ليصعد في السماء ؛ ولقد اطلقت الرياح فيشهر بعضها على بعضها الحرب ؛ وان امواج البحر لتكاد تمس السماء : الي يبعث ذوس هذه العاصفة المروّعة ...... أي امي الجليلة وأنت ايها الأثير (ether) الالهي يحيط بالضوء المشترك ، انظر : ماذا قضى به عليّ ظلما من العذاب



اجا ممنون

الأشخاص :

رقيب ، قد أقيم على أعلى القصر يرقب العلامات .

الجوقة ، تتألف من الشيوخ ذوي المكانة في المدينة .

كلوتيمنسترا

رسول .

أجا ممنون .

كسندر .

إيجستوس .

تقع القصة في ارجوس امام قصر أجا ممنون

* * *

ايجستوس — وعد اجاممنون زوجته كلوتيمنسترا قبل سفره الى تروادة أن يسارع فينبئها بالنصر حين يدخل المدينة بأن يشعل ناراً بعيدة اللهب لتدل على ذلك من يليه فيفعلون فعله ، وما يزال لهيب النار يدل بلداً بعد بلد حتى يصل الى ارجوس . فتعلم كلوتيمنسترا بأن المدينة قد أخذت .

الفصل الاول

المنظر الاول

فيبدأ الفصل الاول بالرقيب قد اقامته كلوتيمنسترا يترقب هذا الضوء . فهو يشكو طول مقامه وما يعانى من سهر الليل وإنه لكذلك ، إذ يلمح الضوء فيسر ، لأن حريته قد عادت اليه ، ولأن ملكه قد انتصر . ويسرع فيحمل النبأ الى كلوتيمنسترا

المنظر الثاني

الجوقة — مضت عشرة اعوام منذ قاد من هذا المكان الف سفينة مسلحة — هذان الخصمان المخوفان ، خصما بريام : أجاممنون واخوه مينالاووس ابنا اتريه . هذان الخصمان لا يقهران ، قد شرفهما ذوس بالصواجان والعرش

يصيحان بأورستيس . كأنهما صقران قد ملأهما الحزن على فرخيهما ، فهما يحلقان و يصفقان بجناحيهما دون عشهما قد قاما عليه يحفظانه و يحوطانه ، فلم يجد عليهما ذلك شيئاً . فما هي الا ان غضب بعض الآلهة — بان وأبلون أو ذوس — لهما فأرسل آلهة الانتقام تثأر من المغير الظالم . كذلك يبعث هذا الاله القوي إله الضيافة ابن اتريه عدواً للاسكندر ؛ كذلك يريد أن يحتمل اليونان في امرأة لعوب الوان الألم وصروف الجهاد حيث

تجثو الركب على الصعيد ، وتتقصف الرماح لأول هجمة . أما الآن فقد سبق السيف العذل وليبلغنّ الكتاب أجله . فلن يفلّ غضب الآلهة — آلهة الانتقام — صراخ ولا بكاء ولا قربان .

أما نحن الذين حرمتهم السن شرف المرافقة لهذا الجيش ، فقد بقينا هنا مسندين الى العصا ضعفنا الذي هو أشبه شيء بالطفولة ؛ فاذا كان الطفل تحييه قوة جديدة يشبه الشيخ فلا يستطيع أن يقوم بأعمال أورستيس ، فان الشيخ قد انحسر عنه شعره كأنه الشجرة اليابسة الجرداء لا يمشي الا منطويا على العصا ، ليس له ما يميزه من الطفل . انما هو طيف يهيم تحت الضوء .

أما انت يا ابنة تندار — أيتها الملكة ، ملكة ارجوس — فما يحملك على أن تأمري بهذه الضحايا الكثيرة ، ماحاجتك اليها ، مارغبتك فيها ، أي نبأ ذى خطب قد انتهى اليك ؟ ان العرف لينتشر على معابد الآلهة ؛ آلهة البيت ، وآلهة السماء والارض والجحيم ؛ ترتفع أضواء المصابيح الى السماء ، يمد ضوءها الهين زيت نقي ؟ وتحمل أنواع القربان من القصر . أعفينا من هذا القلق الذى يحملنا أحيانا على ألا ننتظر الا الشر ، وأحيانا على ان نستبشر فيذود الأمل عن نفوسنا اليأس والحزن .

اني لأستطيع ان اذكر الآن سفر جيشنا يملأه الوعيد وسوء النذير لنغن (ان ثقتي بالسماء لتدعوني الى ذلك ، وان سني لتمكنني منه) على أي طيرة فظيعة مضى الملكان وفي أيديهما سلاح الانتقام ، تتبعهما زهرة اليونان وزعماؤهم متحدين قد أزمعوا قهر تروادة .

لهذين الملكين ، ملكي السفن ظهر بالقرب من قصريهما الضخمين ملكان من ملوك الطير : أحدهما ابيض ، والآخر اسود ، قد أخذا

يمزقان بمخالبهما أرنباً حبلى لم يؤمنها الهرب ، وازدردا أجنتها . (لنتغنَّ ، لنتغن اشعارا ملؤها الشؤم . ولكن ليكذب ما اشتملت عليه من طيرة !)

عرف الكاهن الجليل [١] كاهن الجيش في هذين الصقرين المفترسين ، ابني اثرية وغيرهم من زعماء اليونان . فيملكه الطرب ؛ ويصيح : لتأخذن مدينة بريام بعد ان يطول حصارها ، ولتصبحن ثروتها المتراكمة منذ امد بعيد نهباً للظافر . فعسى ألا يحطم غضب الآلهة هذا الحديد قد اتخذ لقهر الترواديين ! ان ارتميس لساخطة على هذا البيت ؛ فان كلاب ابيها ذوات الأجنحة قد مزقت فيه اماً تعسة ومزقت اجنتها وقد كانت توشك أن تولد ، فمقصف هذين النسرين اليها بغيض ، (لنتغن ، لنتغن اشعاراً ملؤها الشؤم ، ولكن ليكذب ما اشتملت عليه من طيرة !)

ان ارتميس لتحمي ضعاف الطير لا تستطيع ان تنهض ، وسكان الغابات لم تفارق بعد ثدي أمهاتها . اجل ، ان نبأ هذين النسرين لسعيد ، ولكنه لا يخلو من خطر . ايها الاله ذو السهام ، اي ابلون ! امنع اختك ان تبعث الريح مضادة لسفن اليونان ، وان تضع العقاب لها في سبيل سفرها ؛ انها لشديدة الحرص على ان تظفر بضحية وحشية لا يصحبها لهو ولا قصف ؛ ضحية هي مصدر خلاف وانشقاق ، هي اهانة للطبيعة ، للزواج المقدس . في اعماق قصر من القصور يغلي بغض مخوف شديد الخطر ؛ فيه تذكر فتاة [٢] في حاجة الى الثأر . ذلك هو الحظ

(١) هو كالكاس اشتهر في الشعر القصصي ببعد النظر وحسن التنبؤ بالغيب

(٢) هي ايفيجينيا ابنة أجاممنون وكلوتيمنسترا ضحى بها ابوها لارتميس استرضاءً للالهة والتماساً للنصر وطلبا ورغبة في ان يتمكن الاسطول اليوناني من الاقلاع وكان أجاممنون قد صاد في غابة مقدسة موقوفة على ارتميس فغضبت لذلك وحبست الاسطول ولم تسمح بسفره الا بعد ان قدمت اليه هذه الضحية المنكرة

السعيد السيء في وقت واحد ؛ تنبأ به كالكاس لملكينا حين ظهر هذان النسران . فليملأنا رجاؤه وخوفه ، (لنتغن ، لنتغن اشعارا مملوؤها الشؤم ولكن ليكذب ما اشتملت عليه من طيرة !)

اى ذوس ! كائنا من كنت [١] إن يعجبك هذا الدعاء فانا داعيك به ! عبثا ابحث عمن يستنقذ نفسي من همومها ، فلن اجد غيرك لي ملجأ .

لقد كان المتكبر تملأه الجرأة يزدرى كل شيء . يظهر بعد ان لم يكن شيئا ، فما هي الا ان يظهر حتى يجد له قاهراً فيزول . ولكن من يتغنى نشيد النصر فرحا مبتهجا مشرفا به ذوس فهو ظافر بكل ما اراد .

ذوس هو الذى يسن للناس سنة الرشد والحذر ؛ يعاقبنا فيؤدبنا عقابه ، يعاقبنا ايقاظاً ورقوداً أليس ينبعث الندم في قلوبنا اثناء النوم . وسواء ارضينا أم كرهنا فان الحكمة بالغة الينا : هذه الحكمة يهديها الآلهة الى الناس فتثبت مشرفة علينا لا تضطرب ولا تزول .

كذلك اذعن رئيس السفن للقضاء ، غير متهم كاهنه ؛ بينما كانت الأحداث والمصائب تنوء بالاكويين على ساحل أوليس [٢] بأعين كالكاس . لقد كانت الريح تهب عنيفة من فم استرمون فتعوق السفن عن الاقلاع حاملة الى الجند الجوع والغرق والفرقة ، غير معفية اداة ولا سفينة جاهدة في إذبال زهرة اليونان ، مكرهة اياهم على راحة ما كانوا يعرفون لها امداً . فما هي الاان يعرض الكاهن باسم ارتميس ، دواء اشد شراً وانكر نكراً

---

(١) يريد بأي اسم تسميت وبأي وصف اتصفت فقد كان لذوس كغيره من الآلهة اسماء كثيرة يدل كل اسم منها على صفة خاصة من صفاته .

(٢) ثغر في بيوتيا منه اقلع اسطول اليونان الى آسيا في حرب طروادة

من هذه الزوبعة : سمعه الملكان فحطما صولجانهما وذرفا دموعاً غزاراً .
وأخذ كبيرهما يصيح : يا لك من قضاء شديد القسوة ! أأعصي ؟ أأنحر ابنتي ، زينة بيتي ، أؤدنس يد الاب بدم ابنتـه مسفوكا على المذبح ؟ الى اى الأمرين يجب المضي ؟ أأدع اسطولي واتخلف عن حلفائي ؟ انهم ليصيحون ، يطلبون ضحية تسكن الريح . واحسرتاه ! انهم ليستطيعون ان يفعلوا ذلك غير آثمين : انهم انما يطلبون النصر .

على أنه يذعن لحـكم القضاء ؛ قد غير قلبـه رأى فظيع مجرم ملوه الاثم ، كذلك يجرأ الانسان فيسرع الى ما يبعثه على النـدم ؛ كذلك تخدعه تلك المشيرة تشير بالخزي : جنون مشؤوم سيء العاقبة . يجرأ على ان يقتل ابنته بيده ليطير الى الحرب وليثأر لامرأة مخطوفة : تتخذ من هذه التضحية فألا لسفره ؛ والزعماء السفاحون لا تمسهم الرحمة لصلاة الأب وبكائه ، ولا ينالهم اشفاق على ابنته . يدعو الآلهة ؛ و يأمر القسس (وهو ابوها !) ان تحمل قهراً الى المذبح كما تحمل الضحايا ، مائلة الرأس تزينه (الشرائط) قد اقفل فمها العذب ؛ يخشون ما عسى ان يبعث من لعنات : فتخرسها كمامة ممقوتة . ولـكن بينما يروي دمها الارض ، تنبعث نظراتها فتخترق قلب ناحرها وتملأه اشفاقاً . حسناء كأنها آية من آيات الفن ، يخيل الى من رآها انها تتكلم ؛ تذكر بتلك المقاصف التي كانت تزينها بأغانيها العذاب ، حين كان صوت هذه العذراء الطاهرة يملأ حياة ابيها السعيد جمالاً وبهجة .

ليس من يعلم ليس من يستطيع ان يقول ، ماذا عسى أن تأتي به حوادث الدهر . إن فن كالـكاس ليس عبثاً ؛ وإن العدل ليحملنا على أن

تتنبأ بما هو كائن بعد الذي قد كان. ان اتقاء ما ليس إلى اتقائه سبيل لخطل؟ ان في ذلك لتعجلاً الى الحزن . ليصدقن مستقبل الامر كل التصديق ما جاء به الوحي . ليكن هذا المستقبل مملوءاً بالخير لهذه التي تدنو ! (تظهر كلوتيمنسترا) فهي وحدها التي تقوم الآن على هذه الدولة !

الفصل الثاني

المنظر الاول

تقدم كلوتيمنسترا فتسألها الجوقة عن أسباب سرورها وهذه الضحايا التي تقدمها الى الآلهة . فتعلن كلوتيمنسترا انتصار اليونان وسقوط ترِوادة فتشك الجوقة وتؤكد كلوتيمنسترا خبرها وتصف كيف وصل اليها . وتود لو قصد اليونان في انتصارهم ولم يسرفوا في اهانة المغلوبين وازدراء آلهتهم . ليأمنوا شر البطر والطغيان .

المنظر الثاني

ثم تتغنى الجوقة بانتصار اليونان وشكر الآلهة والنعي على باريس حين اختطف هيلانة ، وعلى هيلانة حين تبعته .

ان اريس الذي يحمل الناس على أن يستبدل الجثث من الذهب ، ويحمل ميزان النصر والهزيمة في الموقعة ، لايرد من تروادة على هذه الأسر المحزونة الا بقايا مؤلمة ، قد جمعت بعد التحريق : اناء يملأه التراب .

ان هذه الأسر لتئن ذا كرة مهارة ابنائها في الحرب وموتهم المجيد ، ولاجل من ماتوا ؟ — في سبيل امرأة اجنبية ، ومن يدري لعلهم يسرّون السخط والحنق ، ولكن ليس من شك في أن سخطهم واقع على أبناء أتريه . ان شباباً غضا قد وجد قبره تحت اسوار تروادة ؛ ان الارض المغلوبة لتدفن المنتصر . ان سخط الشعب لشديد الثقل ؛ وان اللعن الذي ينبعث من فمه لمستتبع أثره دائماً . ان شعوراً مظلماً يملأ قلبي وينذرني بسوء العاقبة . لن يفلت من ايدي الآلهة من اسرف في سفك الدماء .

وما يكاد يمضي الزمن حتى تمحو هذه الآلهة السود آلهة الانتقام . ذلك المجد المؤثل ، اقامه صاحبه على الظلم والجور . ليست الحياة الخاملة شيئاً يذكر ؛ ولكن المجد يلام فيه صاحبه : عبء ثقيل يدني ما بيننا وبين الصاعقة . ألا فلنؤثر الخير الذي لا يبعث على الحسد .

لا أريد أن أدمر المدن ، ولا أن اكون اسيراً يخضع لسيده .

ما اسرع ما انتشر هذا الخبر السعيد في ارجوس ، حملته الينا اضواء النار ، من يدري أنها حق ، من يدري : لعلّ الآلهة يخدعوننا ؟ أي طفل ، أي احمق يؤمن بنبأ علامة كهذه ، حتى اذا كذّب الخبر تعرض للخجل وتكلم لغة غير التي يتحدثها الآن ؟ لقد قضى علينا أن نذعن لامرأة ، فلنهنئها بظاهر هذا النبأ ؛ فان المرأة سريعة الى التصديق والاقتناع ؛ وما أسرع ما تزول هذه الانتصارات التي تتحدث بها .

الفصل الثالث

تعلن كاوتيمنسترا الى الجوقة انها ترى رسولاً مقدماً ، ولا تشك في انه يحمل النبأ السعيد ؛ ويقدم هذا الرسول فيحيي وطنه ويعلن انتصاره ، ويشكر الآلهة ، ثم تبتهج الجوقة وكاوتيمنسترا ، وتظهر هـذه حبها للملك وامانتها له وانها منصرفة الى اعداد استقباله بما هو اهل له من كرامة واجلال .

ثم ينكر الرسول على الملكة اعجابها بنفسها وتسأله الجوقة عن منلوس فينبئها بانه قد استخفى ؛ لان زوبعة عرضت للاسطول ففرقت سفنه .

وتتغنى الجوقة سوء حظ منلوس وما ألمَّ بتروادة من الشقاء وما يعرض للانسان في حياته من تبدل الحال وتقلبها .

الفصل الرابع

يقدم أجاممنون على عجلة ومعه اسيرته كسندرا . فتتلقاه الجوقة بالتهنئة ويحييها محيياً وطنه شاكراً آلهته معلنا انه مثبت ما وجد من خير ومستأصل ما وجد من شر .

المنظر الثاني

(الأشخاص السابقون وكلوتيمنسترا)

كلوتيمنسترا ، أي معشر المواطنين ؛ أي شيوخ ارجوس . لن يمنعني الحياء ان اظهر بين يديكم شدة ما يملأ قلبي من حب ؛ فان من الاوقات ما يتجاوز فيه الحياء عن قوانينه المألوفة . فاسمحوا لي أن اذكر بنفسي ما تحملت من ألم اثناء غيبة زوجي امام تروادة ، لا اذكر ذلك كبراً ولا افتخاراً . أي ألم ثقيل الحمل تعانيه امرأة قد غاب عنها زوجها تطرقها من حين الى حين انباء مشؤومة ، ثم لا تلبث أن تخلفها أنباء أشد منها شؤماً

والهفتاه ! فلو انه تلقى من الضربات والطعنات اثناء الحرب ما حملت الينا الانباء ؛ لما اصبح جسمه الآن الا جراحة .

ولو انه مات مرة كما حملت الينا الانباء ، لكان له أن يفخر بأنه ادَّرع اكثر من ثلاث ادراع قبل أن يهبط الى الجحيم ، كأنه جريون [١] ذو الاجسام الثلاثة . كثيراً ماحطمت أيد اجنبيـة (بالرغم مني) تلك الآلات : آلات الموت التي كنت اعدها لاتخلص بها من الحياة حينما كانت تبلغني هذه الانباء .

إن نبأ منها قد منعني أن احمل اليكم أورستيس : ثمرة حبنا كما كان يجب عليَّ أن افعل . لا تدهشوا لذلك ، فاني قد وكلته الى عناية ضيفكم الامين : استرفيوس الفوكي . وقد حملني على أن اتوقع خطراً مزدوجاً أثناء

---

(١) وحش خرافي ذو ثلاثة رؤوس

ما كنتم تتعرضون له من الحوادث امام تروادة . فان الشعب الثائر كان يستطيع أن يخلع طاعة شيوخه ، وقد الف الناس أن ينحوا بالألم والعذاب على التعسين ، أقول ذلك لا منتحلة له ولا متهمة فيه . أما انا فان دموعي قد نضبت الى آخر قطرة من قطراتها ، وان عينيّ لتحملان آثار تلكم الليالي الطوال ، قضيتها باكية ناحبة ، انتظر من غير غناء ما كان قد وعدني زوجي من علامة تنبئني بالنصر . فاذا أخذني النعاس ، فان حركة تأتيها أخف الحشرات كانت كافية لا يقاظي من نوم مثَّل لي الحلم فيه ، أشد واطول ما كان يستطيع تمثيله من خطر . أما الآن فقد نسيت كل هذه الآلام. انما مكان زوجي مني مكان الكلب الأمين من قطيعه : والبحار الماهر من سفينته ، والدعامة القوية من قصر مشيد تشده وتثبته ، والولد الوحيد من ابيه ، ومنظر الارض من الملاح اليائس ، أو ظهور النهار المضيء بعد الزوبعة المظلمة ، والينبوع العذب من المسافر اضناه الصدى . أي فرح يملكني حين اراه قد أفلت من كل هذه الاخطار ! أجل انه لخليق بكل ما قدمت من صفة : ليعفه الحسد ، فقد تألمت غير قليل . أما الآن أيها الزوج العزيز ! فانزل عن عجلتك ؛ ولكن أيها الملك لا تدنس بالتراب القدم التي سحقت تروادة .

أيها الخدم ، ما لكم تتريثون في تنفيذ امري ؟ ما لكم تتريثون في مد هذا البساط ؟ ليستر الارجوان موضع قدميه ؛ ليدخل محفوفا بالاجلال هذا القصر ، حيث لم نكن ننتظر أن نراه . فاما ما بقي بعد هذا . فان عنايتي تعينها عناية الآلهة . ستنفذ ما سبق به القضاء .

* * *

فيجيبها أجاممنون منكراً عليها كثرة هذا المدح كارهاً أن يمشي على الارجوان ؛ وتلح عليه في ذلك ، فيطيع ويوصيها باسيرته ، وتصلي كلوتيمنسترا الى ذوس ، تسأله ان يتم ما أراد

الفصل الثالث

وتتغنى الجوقة ما يملأ قلبها من خوفٍ وتوقع للشر برغم ما ترى من انتصار الجيش وعودته .

الفصل الخامس

المنظر الاول

تأتي كلوتيمنسترا فتدعو كسندرا ، أسيرة أجاممنون ، أن تنزل عن عجلتها وان تدخل القصر ، وتنصح لها بالرضى والطاعة ، وتعدها اللطف وحسن المثوى . وتنصح لها الجوقة ان تسمع وتطيع ، ولكن كسندرا لا تجيب . فتنصرف الملكة .

المنظر الثاني

ثم تدعو الجوقه كسندرا الى الطاعة ، فتصيح هذه مستصرخة أبلون ؛ ذاكرة ما وقع في هذا القصر من جريمة ، متنبئة مع شيء من الالغاز ، بما سيُقترفُ فيه من اثم . فلا تفهمها الجوقة .

كسندرا — يا للسماء ! يا للسماء ! ماذا أرى ؟ أهذه أشراك الجحيم ؟...
أي أشراك ؟ . . . القاتل ، هي الزوج بنفسها ! ...
اي آلهة الانتقام ، لا يرتوين من دماء پيلپس [١] تمتعن بهذه الضحية الدامية . —

الجوقة — ما هؤلاء الآلهة ، تدعينهنّ الى الفرح والمتعة ؟ ان حديثك ليملأني فزعاً . . . وان دمي ليضطرب ويتقلص من عروقي متجهاً وجه القلب كأنما أصابتني ضربة مهلكة ، وكأنما أغمضت عيناي أبد الدهر . اني لأرى نذير سوء قريب . —

كسندرا — انظروا . . . انظروا . . . حولوا بين الثور والبقرة . . . انها لتفجؤه وقد التف في ثوب مشؤوم . . . انها لتضربه . . . انه ليسقط في حمامه . . . في اناء المكر والموت . —

الجوقة — لا أزعم اني أحسن تأويل الوحي ؛ ولكن يخيل اليّ اني أرى شراً مستطيراً . ويلاه ! متى اعلن الوحي الى الناس خيراً ؟ ان هذا الفن القديم : فنَّ الكهنة ما استطاع أن يحمل الينا قط الا الفزع والهلع . —

كسندرا — يالك من شقي ! ماآخرتك التعسة ؟ فقد أستطيع أن امزج بها هنا شقائي . يا للآلهة ! الى أين تسوقون هذه التعسة كسندرا ؟ الى أين ؟ . . . اذا لم يكن الى الموت . —

الجوقة — اي إله ، وأي جنون ينقلك من حال الى حال ؟ انك لتتغنين على نفسك غناءً مضطرباً . كذلك تفعل فيلوميلا الحنون ،

---

(١) جد أجا ممنون

لا يرويها البكاء في شكاة محزنة ، تئن على إتيس ، وتغذو حياتها علقماً وصاباً . —

كسندرا — ان حظ فيلوميلا من القضاء لسعيد : لقد منحها الآلهة جناحين ؛ حياتها حلوة بريئة من الالم ؛ أما أنا فسيقطع حياتي خنجر حاد . —

الجوقة — أمن قِبل الآلهة جاءك هذا الفزع الفجائي ، وهذا الاضطراب غير النافع ؟ لم هذا الغناء ؟ وهذه الصيحات المخيفة ، غير المنتظمة ، وهذه الصرخات الحادة ؟ من ذا الذي يفتح لك باب التنبؤ بهذا الوحي المشؤوم ؟ —

كسندرا — أي زواج باريس ، زواج مشؤوم على أسرته جميعا ! أي نهر اسكمندر ، كان يروي وطنه ! لقد رأى شاطئاك طفولتي تنمو وتتقدم ؛ عما قريب سأعلن وحيي على شواطيء كوستيت (١) والاكرون (٢)

* * *

ثم تتغنى الجوقة بما فهمت من هذا الوحي وما تتوقع من سوء وتنبئها كسندرا بما سبق في أرجوس من الجرائم وبأنها قد كانت موضع حب أپلون كلف بها ففتنه فمنحها الوحي ، ثم أبت عليه . فهو عليها ساخط .

كسندرا — يا للسماء ! يا للألم ! . . . اني لأضطرب من جديد ، اني

---

(١) نهر من انهار الجحيم تجتمع مياهه من دموع الاشرار تهيم على شواطئه نفوس الموتى مائة سنة قبل ان تساق الى المحاكمة

(٢) نهر من انهار الجحيم لم يكن بد من ان يعبره الموتى ليقفوا موقف القضاء

لاشعر بهبوط الوحي . . . أترَونَ في هذا القصر هؤلاء الاطفال [١] كأنهم أشباح الليل ؟ . . يقتلون بايدي من يجب أن يكرموهم . . ان هؤلاء القتلة ليحملون في أيديهم لحمهم وقلوبهم وأمعاءهم ! . . . غذاء ممقوت . . . لقد ذاقه ابوهم . . . لقد قام ليثأر لهم أسد ، ولكنه أسد جبان ، لقد دنس سرير الزواج ، وما كان ينتظر بعد ذلك الا عودة سيدي (لا بد لي من أن أتعود هذا الاسم ما دام قد قضي عليّ بالرق) : ان زعيم اليونان ، ومدمر تروادة ليجهل ما يعد له هذا الوحش المستأنس ، يتلقاه بالملق والابتسام . . . ان امرأة لتجرأ عليه ; . . . تجرأ على ان تقتل رجلاً ! . . . كيف اسميها ؟ حيـة ذات رأسين ، أو سكولا [٢] تسكن الصخور ، وتلقى البحارة بكل شر ، أم من امهات الجحيم ، ماذا تنفخ في اسرتها من بغض لا يهدأ ! يا لها من فاجرة ! . . . انها لتصيح فرحاً كأنها انتصرت انتصـاراً عظيما ! يخيل اليّ انها تعود ظافرة . . . سواء عليَّ أصدقتموني أم كذبتموني ، إن ما انبأت به لواقع ، بهذا سبق القضاء ؛ وانكم له لشاهدون وعما قريب ستدعونني متولهين — النبية الصادقة — .

الجوقة — لقد عرفت هذا الغذاء الفظيع ، غذاء ثويستيس واني لاضطرب له . لقد ملكني الخوف حين سمعت قصتها الصادقة ؛ ولقد سمعت بقية ما قالت ولكني لم استطع فهمه .

كسندرا — سترون اني أعلن اليكم هذا ، سترون موت أجاممنون . —

(١) يشير الى ابناء ثويستيس قتلهم أتريوس ابو أجا ممنون وقدمهم الى ابيهم طعاما فينتقم لهم اخوهم ايجستوس بقتل اجا ممنون

(٢) وحش بحري كان في أول أمره عذراء ذات جمال بارع ثم مسخ الى كلب ذي رؤوس ستة وافواه ستة وبراثن ستة كذلك .

الجوقة — ماذا تقولين ايتها الشقية ؟ احبسي هذه الالفاظ . —

كسندرا — ليس لهذا الشقاء من دواء .

الجوقة — أجل ، حين يحم به القضاء ؛ ولكنها ترجوألا يكون .

كسندرا — انكم هنا لتتمنون . وانهم هناك ليعدون الموت .

الجوقة — ومن ذا الذي يهيء هذه الجريمة ؟

كسندرا — اذا لم تصغوا الى ما تنبأت به ؟

الجوقة — لم اهتد الى مقترف الجريمة .

كسندرا — ومع هذا فقد تحدثت اليكم لغتكم ...

الجوقة — ولكن لغات الوحي غامضة .

كسندرا — يا للآلهة ! أي نار تلتهمني ! يا لأپلون اله لوكييون[1] ! — أي كسندرا يا لك من شقية . لقد اقترنت اللبوءة الى ذئب في غيبة أسد كريم ، وهي الآن تريد أن تنحرني . انها لتتلمس لها من ذلك عذراً ؛ ستتخذني لغضبها علة ، تزعم وهي تحد خنجرها أنها انما تقتل زوجها ، لانه قادني الى هذا القصر . وماذا عسى ان اصنع بهذا الصولجان ، وهذا التاج أأكون ضحكة أعدائي ؟ ايتها الزينة الباطلة لتتحطمي قبل ان أموت ؛ هذا كل ما أنا مدينة لك به

اذهبي فزيني اشقياء آخرين . إليّ أپلون ، هلم فاسترد هذا الثوب ثوب النبوة . لقد رأيتني فيه موضع الهزء الظالم من العدو والصديق ؛ أعامل معاملة الساحرات ، وأدعي شقية ، مشعوذة غرثي ، لقد لقيت

---

(١) جبل مقدس في أركاديا من بلاد پولوپونيسوس

كل ألم . أما اليوم أيها الاله . إله الوحي ، فالى أي موت تسوق نبيتك ؟ لقد نحر أبي على مذبح الآلهة ، أما انا فسأذبح على أدنأ عرش . على أن الآلهة لن يتركوا موتي من غير أن يثأروا له . عما قريب سيعود ذلك الذي يوقع بها العقاب . إبن قاتل لأمه (١) ، منتقم لابيه ، يعاني الآن آلام النفي ، طريد في غير هذه الارض ، ولكنه سيعود ليتم شقاء هذه الاسرة : ليردنه الى داره ما يستنزل ابوه المحتضر على المجرمين من سخط . علام آسف هنا ، وانا غريبة نازح ؟ لقد رأيت ما كتب القضاء على تروادة ؛ وان الذي أعده القضاء لمن انتصر عليها لجور من السماء . ألا فلنستقبل الموت ، فقد أقسم به الآلهة علينا قسماً منكراً لا حنث فيه . أي ابواب الجحيم ، ألا فلتفتحي ، فاني ادعوك . لعل ضربة واحدة ترزقني الموت ! لعل دمي يسيل امواجاً ، ولعل عينيّ تغمضان من غير ألم .

* * *

ثم تعجب الجوقة بها وترثي لها وتستنزل هي السخط على قاتليها وتنبيء بقتل أجاممنون ، وتسرع الى القصر مقدمة نفسها الى القتلة لأنها قد وثقت بأن ليس لها مفر من الموت .

وتتغنى الجوقة شقاء الانسان وما يلقى ابناء اترية من سوء العاقبة .

وانها لفي ذلك ، اذ تسمع صوت أجاممنون ، وقد عمل فيه سلاح القتلة . فتفزع لذلك وتتساءل أتدعو الشعب الى الثورة ، ام تفزع لنصر الملك ؟ ولكنها تضيع الوقت بالتردد والاستشارة .

---

(١) أنظر القصتين الآتيتين

المنظر الخامس

الجوقة . كلوتيمنسترا:

كلوتيمنسترا — الى الآن لم أكن اتكلم الا لغة تناسب حالي ؛ اما الآن فلن اخجل من أن استبدل من هـذه اللغة ، لغة أخرى . لقد كنت اريد أن انتقم من عدو ، كنت ازعمه عليّ عزيزاً ، فوجب عليّ أن احتال ، لاوقعه في الشرك ، لم أعد هذا العمل اليوم . وانما هو قديم ، كبغضى لهذا العدو ، لقد حان حين الانتقام . لقد وصل العدو الى حيث كنت انتظره ؛ ولقد كان كل شيء مهيأ ، لا اجحد ما فعلت ، لقد كان من العجز بحيث لم يستطع أن يهرب ، أو ان يدافع عن نفسه ؛ لقد لففته في حلة فاخرة ، كما يؤخذ السمك في شبكة ليس له منها مخرج : لقد ضربته ضربتين ؛ ولقد أنَّ انتين ؛ ثم انحنت به ركبتاه ، فخرّ صريعاً ؛ ثم تقدمت الى آلهة الجحيم بضربة ثالثة ، قذفت به الى حيث تقيم الظلال . لقد لطخني دمه ؛ كأنه ندى الموت ، استمتعت به كما تستمتع الارض بقطر السماء ، حين توشك حباتها أن تنبت . هذا ما فعلت ، ليرضكم ذلكم أيها الشيوخ أو يسخطكم ، فانا به راضية فاخرة . وددت لو قدمت الى الآلهة القربان على جسمه ! اذاً لفعلت ولكنت عادلة . لقد شرب هذا الجبار القاسي عند عودته الى القصر ، هذه الكأس التي كان قد ملأها إثماً وجوراً .

تنكر عليها الجوقة ما عملت وما قالت فتجيبها فاخرة غير حافلة فتنذرها الجوقة بالنفي والسخط .

كلوتيمنسترا — تقضون عليَّ بالنفي ، وبلعن الارجيين ، وسخط الشعب ؛ من غير أن تنطقوا بكلمة قضاءاً على هذا المجرم ، الذي ضحى بابنتي وثمرة حبي ، ليهدئ الريح العاصفة ، غير مفرق بينها وبين أي ضحية تؤخذ من المرعى ؟ ألم يكن من الحق عليكم أن تقضوا عليه بالنفي لتعاقبوه على اثم كهذا ؟ ولكنكم انما تقضون عليَّ وحدي وتظلموتني . أنذروا ، فاني قابلة نذيركم . فاذا استطعتم أن تقهروني ، فانا خاضعة مطيعة ، وان أبت عليكم السماء ، فستعلمون ولكن بعد ان سبق السيف العذل ، كيف تقصدون وتأخذون انفسكم بالاعتدال .

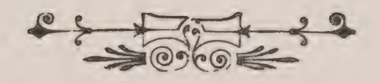
الجوقة — انك فيما تدبرين وفي ما تنطقين لتحقرين كل شيء لا تسعين الا الى القتل ، ان الدم لينبجس من عينيك الملتهبتين ، لتموتن عقاباً على ما جنيت من موت .

كلوتيمنسترا — لتسمعن هذا القسم : أقسم بهذا الانتقام ثارت به لابنتي ، أقسم بالجحيم وآلهة الانتقام ، الذين تقربت اليهم بهذا الوحشي لا سلكت سبيل الخوف ، ما حفظ لي الحب – ايجستوس – هذا النجم يضيء في قصري ؛ انه لدرقتي ، منه استمد شجاعتي .

اليكموه صريعاً في التراب ، هذا الذي ابكاني غير قليل ، عشيق كرزييس ، والى جانبه الاسيرة ، تلك النبية تلهمها الآلهة ، عشيقته الحنون ، كانت تقاسمه السرير في سفينته ، بأعين البحارة ! لقد لقيا ما كانا يستأهلان من جزاء ؛ أحبب اليَّ بأن اراه كما هو الآن ، وتحت قدميه تلك التي احبها اشد الحب ، هذه الاوزة ، التي تغنت موتها ، فأحسنت

التغني ، هذه التي قادها الى القصر لتتم له ما يمنحه سرير زوجه من لذة ناقصة !

ثم تتغنى الجوقة سوء عاقبة أجاممنون ، ويشتد الحوار بينها و بين كاوتيمنسترا ، تلك تلوم ، وهذه تتقي اللوم ، وتتنبأ الجوقة بأن المجرم لاقى جزاء ما صنع ، و يأتي إيجستوس فيشتد الجدال بينه و بين الجوقة حتى يهم أن يأمر بالقبض عليها ، ولكن كاوتيمنسترا تنصح لها بالانصراف ؛ وتشير على إيجستوس بالحلم والاناة



المتقربون

الاشخاص :

اورستيس

بولاديس

الجوقة : تتألف من آباء

الكترا

بواب

كلوتيمنسترا

جوليس : مرضع اورستيس

إيجستوس

ضابط من القصر

أرجيون

تقع القصة في ارجيوس بين قصر أجاممنون وقبره .

* * *

أورستيس واقف الى قبر ابيه يدعوه و يستعين الآلهة على الانتقام له فيرى نساء قد أقبلن يحملن انواعاً من القربان و يعرف فيهن اخته الكترا فيستخفى ومعه بلاد ، ليعلم علمهن .

المنظر الثاني

الجوقة والـكترا

الـكترا — قد امرني سادة هذا القصر ، فانا احمـل القربان ؛ تتوالى الضربات التي انال بها صدري ؛ تسيل الدماء من خدي وقد تركت اظافري فيهما آثار الخمش . تغذى الذفرات قلبي . وتعلن هذه الثياب الممزقة ، وهذا النقاب الممزق على صدري العاري ، ما يملأ نفسي من ألم .

لقد زارت آلهة الفزع — ابنة الحلم ذات الشعور المنتثرة — مستقر النساء من هذا القصر منذرة بالانتقام ، فملأته خوفاً وهولا ، وقطعت هـذا الصمت المطلق ، صمت الليـل بالصياح والعويل . واعلن الـكهنة عن الآلهة أن نفوس الموتى قد ملأها السخط ، فهي تحفز للايقاع بالقتلة .

أيتها الارض ، أيتها الارض ، انما تتقدم اليك هـذه الزوج (وهل استطيع أن انطق بهذا الاسم) انما تتقدم اليك هذه الزوج بما احمل من قربان لتتقي شر هذا النذير ! قربان لا نفع فيه . فكيف تغسل ما سفكت من دم ؟ يا لك من بيت تعس ! . . . ومستقر منكود ! لن تشرق لك الشمس ! ان الظلمة لتحيط بك منذ قضى سيدي .

لقد قضى هـذا الملك القوي لا يقهر ، تملك جلالته القلوب . ان الخوف اليوم لسائد متحكم .

ان السعيد في هذه الارض لإله او اكثر قوة من إله . ولـكن العدل لا يلبث أن يوقع بالمجرم . يوقع به عنوة ، في ضوء النهار ، أو في الاصيل .

أو دون أستار الليل . لقد شربت الارض الخصبة كثيراً من الدماء ، فما أسرع ما نبت فيها الانتقام ؛ وعما قريب ستتفتح ازهاره . ان الجريمة لمقترفها ينبوع آلام لا تقدر قسوتها ؛ لا رحمة لمن ازدرى هذا المكان المقدس ، مكان الزواج ، فلو اجتمعت انهار الارض كلها على أن تغسل هذا الدم المسفوك : دم الزوج الشهيد ، لما استطاعت أن تمحوه .

أما انا فقد قضى عليَّ الآلهة أن اعيش ، يحيط بي ما ألمّ بوطني من نكال ودمار ، بعد ان نزعت من قصر أبي وا كرهت على حياة الارقاء ، فعليّ أن اكظم ما يملأ قلبي من بغض ، وان احتمل ما يأمر به الطغاة من عدل أو جور . فاذا خلوت الى نفسي ، واستسلمت لما يملكني من حب الانتقام ، ملكتني هذه العبرات أذرفها على موت أبي .

الفصل الثاني

تستشير الكترا الجوقة فيما عسى أن تطلب الى ابيها والى الآلهة حين تقدم القربان . فتشير عليها بالدعاء لنفسها وأخيها واصدقائها واستنزال السخط على كلوتيمنسترا وايجستوس ، وطلب التعجيل في الانتقام .

الكترا — أي هرمس السفلى ، انى لضارعة اليك في أن تنبئني بأن دعائي قد تقبله آلهة الجحيم الذين يسودون حيث يقيم أبي ، قبولا حسناً ، وان قد قبلته الارض نفسها ، هذه التي تلد وتغذو ثم لا تلبث أن ترد كل شيء . أي ابتي اني ادعوك حين أصب هذا الشراب ، أقدمه الى

الموتى ؛ ألق عليَّ وعلى أورستيس نظرة رحمة واشفاق ؛ ردنا الى قصرك . فنحن الآن طريدان ، قد خانتنا تلك التي منحتنا الحياة .

لقد اعطت سريرك ايجستوس شريكها في قتلك . اني لأمة وان اورستيس لطريد معدم ، بينما يهنأ المجرم وحده بآثار مجدك وجهدك في لذة دائمة وصفو غير مقطوع . قد أورستيس الى هذا المكان وقدر له النصر . اسمع صوتي ، وا أبتاه ! هبني قلباً اعف من قلب أمي ، ويدين اطهر من يديها ؛ ذلك ما اسألك لولدك .

أما اعداؤك ، فاظهر لهم مسلحاً منتقماً . تعال . أذقهم الموت ، كما أذاقوك اياه . ذلك ما اتمناه عليك ، فتقبله واصغ اليه . ليعنك على ذلك آلهة الارض والانتقام . فتقبل مع هذه الدعوات ، ما أصب على قبرك من شراب .

ثم تسقي القبر وتلتفت الى الجوقة

اما انتن ، فأسمعن أنينكن ، كما جرت العادة .

فتتغنى الجوقة ألمها وتسقي القبر بدموعها ولا تلبث الكترا ان تلاحظ خصلة من الشعر تشبه شعرها فيتقسمها الخوف والرجاء لأنها ترى فيها شعر أورستيس

ثم يقبل اورستيس وبولاديس ويتعرف الى الكترا والجوقة فتعرفانه ، فيشكون جميعاً ويبكون وينذرون ويحذرون ويستنزلون سخط الآلهة والموتى على القتلة ، ويستعينونهم على الانتقام . ويسأل اورستيس عن مصدر هذا القربان فتنبئه الجوقة بأن امه رأت فيما يرى النائم ، كأنها ولدت

حيـة ، فلما أرادت ارضاعها ، رضعت لبناً ودماً ؛ فهي خائفة حذرة تتقي بهذا القربان ما ينذرها من شر . فيعلن اورستيس انه هـذه الحية وان هذا الحلم واقع من غير شك ثم يدبرون امرهم . فيوحي اورستيس الى أخته ان تذهب الى القصر فتخدع النـاس وتعلم علمهم ، والى الجوقة ان تصلي وتدعو الآلهة بينما يطرق هو وصاحبه باب القصر كأنهما غريبان يحملان الى كلوتيمنسترا موت ابنها .

ثم ينصرفون وتبقى الجوقة فتتغنى الحب وسوء آثاره . فهو الذي يحمل الانسان على اقتراف الجرائم وتضرب لذلك الامثال وتتعجل الانتقام .

الفصل الثالث

يطرق اورستيس باب القصر سائلا عن سيـده ، فتأتيه كلوتيمنسترا فيزعم لها انه غريب اقبل من فكيس ينبىء بموت اورستيس ويريد أن يعلم ، أيجب نقل رماده الى ارجوس ، ام تركه حيث هو ؟ فتظهر الكترا الجزع وتخفي كلوتيمنسترا السرور . ثم تأمر الخـدم ان يضيفوا الغريبين . وبينا تتغنى الجوقة راجيـة معونة الآلهة ممنية نفسها بالانتقام تقبل جوليس مرضع اورستيس فتنبىء بأنها قد ارسلت في طلب ايجستوس وتنصح لهـا الجوقة أن تحمل هذا الطاغية على أن يجيء وحيـداً لا حرس له . فتطيع وتتمنى الجوقة على الآلهة النصر والثأر للقتيل المظلوم .

الفصل الرابع

يقبل ايجستوس فيعلن ما بلغه من موت اورستيس ويدخل الى القصر، فما اسرع ما يسمع صراخه وقد ناله سيف اورستيس ويخرج من القصر عبد يتوجع معلنا موت سيده طارقا باب مستقر النساء، داعيا كلوتيمنسترا ومنذراً لها بالخطر.

كلوتيمنسترا — ماذا؟ ما مصدر هذا الصياح؟

العبد — ان الذين زعموا لنا موتهم، قد قتلوا الاحياء.

كلوتيمنسترا — يا للآلهة! اني لا أفهم هذا اللغز. ان المكر ليغتالنا بعد أن اعاننا قديماً... عليّ بالسلاح... ما دمت مضطرة للدفاع عن نفسي، فلنر لمن النصر.

المنظر الرابع

الجوقة، كلوتيمنسترا، اورستيس وفي يده السيف

اورستيس — اني لابحث عنك؛ فقد نال ايجستوس جزاءه.

كلوتيمنسترا — ويلاه! اني لشقية! أيها العزيز ايجستوس، هأنت ذا قد قضيت!

اورستيس — أ كنت تحبينه؟ اذاً فسيضمكما قبر واحد؛ ظلي امينة له الى الموت. (ثم يمسكها ويحاول قتلها).

كلوتيمنسترا — أمسك، يا بني! اذكر حرمة هذا الصدر الذي

استرحت اليه اكثر من مرة ، والذي تناولت منه غذاءك .

أورستيس وقد امسك والتفت الى پولاديس — أي پولاديس ماذا اصنع ؟ أأستطيع ان اقتل أمي من غير أن ترتعد فرائصي !

پولادبس — أين وحي پوثو [1] ! وأين ما قدمت من ايمان ! لاتخش عدواً الا الآلهة .

پولاديس بعد صمت — انك لظافر ، وان نصحك لرشيد . . .
(ثم يتحدث الى كلوتيمنسترا وقد اخذ بيدها) اتبعيني : لأنحرنك الى جانبه (ويشير الى حيث يظن أن اجستوس قد قتل) لقد آثرته حياً على أبي ، فليجمع الموت بينك وبينه ، أنت التى خادنت هذا الخائن ، وعادت زوجها ! . . .

كلوتيمنسترا — لقد غذوت طفولتك ، فاستبق شيخوختي .

اورستيس — لقد قتلت ابي ، افأستطيع ان أحيا الى جانبك ؟

كلوتيمنسترا — ان القضاء ، يا بني ، قد فعل كل شيء .

اورستيس — ان القضاء ايضا ، هو الذي سيعطيك الموت .

كلوتيمنسترا — يا بني احذر أن تلعنك أمك .

اورستيس — أمي ؟ . . . أنت التى تركتني نهب الشقاء .

كلوتيمنسترا — لم أتركك الا الى صديق امين .

اورستيس — لقد بعتني ، وانا ابن رجل حر .

كلوتيمنسترا — واين الثمن الذي تتقاضينه ؟

---

(١) موضع في اسفل برناس كانت تقوم فيه مدينة دلف . يريد أين وحي ابلون .

اورستيس — ألثمن ؛ يخجلني ان اذكره . . .

كلوتيمنسترا — اذكره ، ولكن اذكر ايضا خيانة ابيك .

اورستيس — أكان لك محبوبة في هذا القصر ، إن تتهمني بطلا بعدت بينك و بينه الشقة .

كلوتيمنسترا — أي بني ، ان غياب الرجل عن زوجه لمؤلم لها .

اورستيس — ولكن الزوج الغائب لا يعمل الا لها .

كلوتيمنسترا — أي بني ، اذاً فانت تريد أن تقتل أمك .

اورستيس — لست قاتلك ، وانما تقتلين نفسك .

كلوتيمنسترا — فكر في ذلك ، فان كلابا مفترسة ستنتقم لهذه الأم .

اورستيس — ألا تنتقم هذه الكلاب لهذا الاب ان نسيته ؟

كلوتيمنسترا — عبثاً ما أذرف من الدمع على حافة القبر . . .

اورستيس — ان آخرة أبي قد استتبعت آخرتك .

كلوتيمنسترا — ويلاه ! لقد ولدت وغذوت هذه الحية ! أيها الحلم ما كنت الا حقا !

اورستيس — لقد قتلت زوجا ، فسيقتلك ابنٌ .

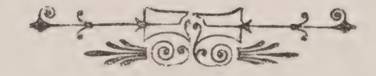
(ثم يجرها خارج المسرح) .

وتتغنى الجوقه اشفاقها على اورستيس من انتقام الآلهة .

(تفتح ابواب القصر ، و يظهر جسم كلوتيمنسترا واجستوس صريعين ، و يأتي اورستيس ويحضر الخدم الثوب الذى ظهر فيه أجاممنون قتيلا) .

الفصل الخامس

تتغنى الجوقة الظفر والانتصار، ويعلن اورستيس سروره ثم يأمر أن يبسط ثوب أجاممنون فيألم الناس له وينظر هو مرة الى الثوب ومرة الى أمه فيأخذه الاضطراب ويشعر بشيء من الذهول، وانه ليتساءل أأحسن في الانتقام لابيه، أم اساء في قتل أمه اذ يأخذه الجنون. فيرى كلابا مفترسة تطوقها الحيّات، قد اقبلت عليه، وهي آلهة الانتقام فيخرج هائما على وجهه.



الأومينيديس

(الصافحات)

الاشخاص :

كاهنة دلف

أپلون

اورستيس

الجوقة : تتألف من آلهة الانتقام .

روح كاوتيمنسترا

اتينا

اعضاء الاريوپاجيتيس (١)

واهل اتينا ، نساء وشيوخاً واطفالاً .

يقع الفصل الاول والثاني من القصة في دلف ، ثم تقع بقية القصة في اتينا بمعبد اتينا اولا ثم على تل أريس

* * *

يمثل المسرح مدخل دلف

في المنظر الاول تظهر كاهنـة ايلون مصلية متقدمة بالدعاء الى الآلهة

---

(١) هي جماعة كان يتألف منها مجلس حاكم القتلة في اول امره ثم اصبحت ذا سلطة سياسية وانما سميت كذلك لانهـا كان تجتمع في الاريوس پاجوس أي تل اريس اله الحرب

جميعاً والى ابلون خاصة ذاكرة مزاياه وفضائله؛ ثم تدخل المعبد لتستشير الاله، ولا تلبث أن تخرج منه فزعة مضطربة، لأنها رأت اورستيس قد لزم المذبح مستجيراً، ومن حوله آلهة الانتقام في اشكال نساء سود مريعات، قد اخذهنّ النوم

المنظر الثاني

اورستيس وآلهة الانتقام نائمات وابلون .

ابلون الى اورستيس — لن أتركك ابداً، لأحمينك، قربت مني أو بعدت، وليشعرنّ أعداؤك آثار غضبي. اترى الى هؤلاء الجريئات، قد غلبهنّ النوم وكدهن الاعياء؛ هؤلاء النساء المتقدمات في السن بنات بغيضات لايقربهن الناس ولا الآلهة ولاالحيوان، ولدن ليكن مصدر الشر، مقتهن الارض والسماء فهن يسكن الظلم وأعماق ترتاد، اهرب وانتهز الفرصة، والا طاردتك في كل مكان، في الارض والسماء، وعلى امواج البحر؛ أسرع فاتق هذا العذاب. أسرع الى مدينة بلاس[١] والتزم هذه الصورة القديمة، صورة الآلهة. هناك نجد قضاة، وهناك ادافع عنك فانقذك ابد الدهر من هذه الآلام. عليّ ذلك فانا الذي امرك ان تقتل امك .

اورستيس — اي ابلون القوي، انك لتعلم ان يدي حين ضربت لم تكن جائرة؛ فكر اذاً في أن لاتتركني، فلي في سلطانك ومعونتك الكفاية .

ابلون — اذكر ما قلت لك ولا تخش شيئاً. وأنت، ايها الاخ،

---

(١) اسم الآلهة اتينا

ابن ذوس ، فتول حراسته . كن عنـد ما يدل عليه اسمك ، هرمس القائد ، وفدّ هذا الجار الذي لجأ اليّ . ان ذوس نفسه ليعرف حق المستجيرين ، هذا الحق الذي اقامه القدر حماية للناس .

(ثم يخرجون)

الفصل الثاني

المنظر الاول

ظل كلوتيمنسترا — قـد ظهرت فيه آثار الضربات التي نالتها من اورستيس . وآلهة الانتقام نائمات .

الظل — أتنمن ، أي آلة الانتقام ؟ اهـذا عملكن ؟ اتنمن ! بينما أهيم على وجهي بين الموتى أعير ما اقترفت من قتل وقـد اعرضتن عن الثأر لي . ثقن بانهم يعاقبونني على ذلـكن عقاباً قاسياً ؛ اما انا فقد عوملت اقصى معاملة من اعزّ الناس عليّ ، فلم اجد من الناس ولا من الآلهة من يغضب لي . لتنظر ارواحكم الى هذه الجراحات : فان الروح مبصرٌ اثناء النوم ، أعمى اثنـاء اليقظة . كم سقيتكن شراباً لا نبيذ فيه ، قرباناً ليس بالفخم، ولـكنه محبب اليكن ؟ ولم دعوتكن الى مقاصف ليلية بالقرب من ناري المقدسة حين لا تدعى الهة اخرى ؟ انكن لتطأنّ بالاقدام اليوم ما قـدمت اليكن من كرامة . يفوتكن المجرم هارباً كما يفلت الظبي من صائده ؛ لقد فرّ من الشرك وهو الآن يزدريكن . اسمعن الى هذه الشكاة

يرفعها اليكن ظلي ، ايتها الآلهة ، آلهة الجحيم ، استيقظن . ان التي تدعوكن في الحلم . هي كاوتيمنسترا . . . (وهنا يسمع غطيط) . اتنمن ؟ . . . ومع هذا فهو يبتعد . وآلهة كاوتيمنسترا وحدهن لا يصغين الى جارتهن ! (يسمع غطيط من جديد) .

آه ! ما اكثر ما تنمن ، وما اقل ما تعطفن عليّ ، أيفلت من أيديكن قاتل أمه اورستيس . (وهنا تصيح الجوقة صيحات مختلفة) .

انكن لتصحن نائمات . أما آن لكن أن تستيقظن ؟ أقضي عليكن ألا تعملن الا شراً ؟ (تصيح الجوقة من جديد) ان النوم والاعياء قد اتفقا على أن يخمدا حياتكن المهلكة .

الجوقة وهي لا تزال نائمة — قف ! قف ! قف ! . . . احذر

الظل — انكن لتتبعنه في الحلم ، كحيوان الصيد ، قد شغلته فريسته ، انكن لتصحن صيحات غير متمايزة . ماذا تعملن ؟ أهببن . واقهرن التعب . واعرفن ما سيكلفكن النوم . ليخترق هذا اللوم العدل الى انفسكن : فان اللوم محرض الحكيم . . . لا تبعثن في الهواء من غير نفع ولا جدوى انفاسكن الدموية ، وهذه النيران الملتهبة تتصاعد من احشائكن . . . اتبعن المجرم ؟ ليستهلكه عذاب جديد !

(تستيقظ الجوقة ويستخفى الظل)

ثم تستيقظ الجوقة فتأسف وتندم وتلقي على أبلون تبعة ما كان من افلات اورستيس . ويأتي أبلون فيطردهن من معبده مدافعاً عن اورستيس ويشتد بينه وبينهن الحوار حتى ينصرفن .

الفصل الثالث

يتغير المسرح فيمثل من جهة معبد أتينا ومن الجهة الاخرى الاريوپاج وتل أريس .

يظهر أورستيس معانقاً تمثال الآلهة لاجئاً اليها ، وتأتي آلهة الانتقام ، فتنذره وتهدده ، فيدافع عن نفسه ويعتصم بأپلون وأتينا . وتتغنى الجوقة حرصها على الانتقام وقدرتها عليه وان ليس من الجناة والمجرمين مَن يستطيع أن يفلت منها .

الفصل الرابع

الجوقة وأورستيس بحيث كان في الفصل الماضي . وتأتي أتينا على عجلة تمشي في الهواء . فتسأل عن هذا الجمع وهذا الغريب يعانق تمثالها . فتذكر الجوقة لها القصة وانها تريد الانتقام لـكلوتيمنسترا وانها ترضى بالآلهة حَكَمَـة فتسأل أتينا أورستيس عن شأنه ؛ فيقصه عليها ويزعم انه لم يقتل أمه الا انتقاماً لابيه على انه قد قدم من الضحايا ما يغسل يده من هذا الدم .

فتشعر الآلهة صعوبة القضية ، وانها وحدها لا تستطيع الفصل فيها اذ هي لا تريد أن تسلم جارها الى من يريد به الشر ، ولا أن ترد رجاء المنتقمات ، فيملأن الارض شراً ووباء . فتعلن أنها مؤلفة من اهل أتينا

مجلسا يحكم في هذه القضية حكما عدلاً . وتطلب الى كلا الخصمين أن يعد أدلته وشهوده . وتتغنى الجوقة حرصها على الانتقام وخوفها أن يفلت منه المجرمون ، فتفسد الارض وتنقطع الصلات بين الناس .

الفصل الخامس

المسرح على تل أريس حيث كان يجتمع الاريوپاج ، وتعود أتينا يتبعها الشيوخ الذين يؤلفون مجلس الحكم ويتبعها شعب الاتينيين رجالا ونساء . والصائح الذي يقوم في المجالس العامة

المنظر الاول

اتينا ، اعضاء الاريوپاج ، الاومينيديس ، أورستيس ، الشعب ، الصائح العام .

(يجلس القضاة وترأسهم أتينا)

تأمر أتينا الصائح أن يحتفظ بالنظام ويدعو الشعب الى حضور النجوى ويأتي أپلون فتسأله الجوقة فيما جاء ؛ فينبئ بانه اقبل يحمي جاره ويطلب الى اتينا البدء في المقاضاة .

اتينا — عليَّ بالقضية . (الى الاومينيديس) لكنَّ الكلمة . فللمدعي أن يبدأ بالكلام وأن يعلن دعواه .

الجوقة — نحن كثيرات ؛ ولكننا سنوجز في القول . (الى أورستيس)

أما أنت فاجب على ما يلقى عليك من مسألة . أحق انك قتلت أمك ؟
أورستيس — قتلتها ، لا انكر ذلك ولا اجحده .
الجوقة — انا لننتصر . هذا مصارعنا قد خرّ لاول مرة .
أورستيس — انكن لتسرعن الى الفخر ، قبل أن يدركه الاعياء .
الجوقة — أجب ايضاً : كيف قتلتها ؟ . . .
أورستيس — طعنتها هذه اليد بخنجر في صدرها .
الجوقة — من نصح لك بذلك ؟ ومن الذي حثك عليه ؟ . . .
أورستيس — وحي أپلون : هذا الذي استشهده .
الجوقة — وحي أپلون ! . . . أيأمر الاله النبي قتل الامهات !
أورستيس — أجل ، وما ليَ ان اتهم في ذلكن الحظ .
الجوقه — لتغيرن لهجتك ، حين ينالك عدل هؤلاء القضاة .
أورستيس — أنا آمن مطمئن ، فان أبي يدافع عني من اعماق قبره .
الجوقة — أي قاتل أمه ، اتعتمد على الموتى !
أورستيس — لقد دنست نفسها بجريمتين .
الجوقة — كيف اثبت ذلك امام القضاة .
أورستيس — لقد قتلت زوجها وابي .
الجوقة — لقد كفر موتها عن كل شيء ، اما انت فلا زلت حيا .
أورستيس — فهل تبغننها بالانتقام اثناء حياتها ؟
الجوقة — ان الذي قتلته لم يكن من دمها .
أورستيس — وهل أنا اذاً من دم أمي ؟
الجوقة — ماذا ؟ ألست من دم تلك التي غذتك احشاءها أيها

المجرم ؟ اتجحد دم أمك !

أورستيس — أي أبلون ، اشهد ، وأعلن الى القضاء ، ألم اقتلها عدلا . لا استطيع أن انكر ، اني قاتلها . ولكن اترى هذا عدلا أم جوراً ؟ أجب فان جوابك يكون دفاعا عني .

ابلون — أيها المجلس المقدس ، مجلس الحكم ، ترأسه اتينا ، لاعلنن اليك الحق وما كان الاله النبي ليكذب .

ما أوحيت قط من عرشي الى رجل أو امرأة أو مدينة الا ما ألهمني إياه كبير الآلهة : فانظروا مقدار شهادتي . اطيعوا ارادة أبي : فليس من قسم ما يفوقه أو يعلو عليه .

الجوقة — اذاً فانت تزعم أن ذوس قد أوحى اليك أن تأمر أورستيس بأن لا يحفل بحقوق أمه ؟

ابلون — من غير شك : وهل يقرن قتل امرأة الى اغتيال بطل لم ينل صولجانه الا من يد ذوس ، قد نحرته امرأته ، لم تضر به ضربات شريفة كضربات الامزون (فان من الحق أن تعرف ذلك اتينا والقضاة الذين اختارتهم !) وانما اغتالته عائداً من الحرب حيث انتصر اكثر من مرة ، اغتالته بعد أن تلتقه لقاء ملؤه المكر والخديعة ، اغتالته في حمامه ، متورطاً في هذا الثوب ـ لا منفذ فيه ـ الذي كانت اعدته لذلك خصيصاً هذه آخرة هذا الرجل العظيم الذي قاد الف سفينة . انما قصصتها لتمتلىء قلوب القضاة سخطاً على قاتله .

الجوقة — اذاً فانت تزعم أن ذوس يؤثر تشريف الآباء . ومع هذا فقد غل اباه كرنوس . اليست سيرته تناقض قولك ؟ ايها القضاة الذين

يسمعون لنا ، انما اشهدكم . —

ابلون — ايتها الوحوش البغيضة تمقتها الآلهة ! . . . ان من اليسير ان يخرج المرء من اغلاله الف طريقة تسلك الى هذا ، ولكن الرجل اذا هلك وشربت الارض دمه ، فليس استرجاعه بميسور . ان ابي لم يخلق شيئاً يقي شر الموت ، وهو مع هذا كله ، يملك أمر هذا العالم ، فيستطيع أن يقلبه رأساً على عقب .

الجوقة — انظر الى جورك حين تدافع عن هذا المجرم .

أيسكن في ارجوس : منزل ابيه ، بعد ان سفك دم أمه ، هذا الدم الذي احياه ؟ من أي معبد عام يستطيع ان يقترب ؟ وأي جماعة تسمح له أن يشاركها في التقريب الى الآلهة ؟

أبلون — اسمعوا لما سأقول واعرفوا ما فيه من حق . ليست المرأة خالقة ابنها ، وانما هي تغذو الحبة تبذر في احشائها .

ان الاب هو الذي يخلق : أما المرأة فانما تقبل الثمرة كأنها مؤتمن غريب ، وهي تحتفظ بها ان رضي بذلك الآلهة . فأما دليل ما ازعم ؛ فهو ان الرجل يستطيع أن يكون ابا من غير أن تكون هناك صلة بينه وبين امرأة ؛ وآية هذا ابنة إله ألمبوس ، هذه التي لم تنشأ في ظلمة الرحم . وأي إلهة كانت تستطيع أن تأتي بولد يدانيها كمالاً ؟ أي بلاس ، لابذلن ما استطعت من قوة في تعظيم شعبك ومدينتك . لقد بعثت الى معبدك هذا الضارع المستجير ليكون أبد الدهر لمدينتك صديقا وفيا . أيتها الالهة ، اتخذي منه ومن ذريته حلفاء مخلصين . . ليكن هذا الاتحاد ابديا ولتعرف حقه الاجيال المقبلة .

اتينا — حسب الخصمين كلاماً . ليعط كل قاضٍ صوته بما يوحى به اليه العدل .

الجوقة — لقد استخدمت كل ما املك من سلاح ؛ فلننظر ما عاقبة المعركة .

اتينا — كيف استطيع هنا أن ابرأ من كل لوم ؟

الجوقة — يا معشر الأتينيين ، لقد سمعتم كل شيء؛ فارعوا أيمانكم حين تقضون .

ثم تأمر اتينا ان يكون هذا المجلس الذي انشأته خالداً في اتينا ، يعدل في عقاب المجرمين . ثم تدعو الى أن يعطيَ كل صوته ، عادلاً منصفاً .

الجوقة — احذروا أن تخالفوا أمر آلهة الجحيم؛ هذه نصيحتي لكم .

أبلون ـ أما انا فآمركم أن تجلُّوا وحيَ ذوس وابلون وألا تجعلوه عبثاً .

ثم يشتد الحوار بين الجوقة وابلون ، كل ينذر صاحبه حتى تعلن الجوقة أنها تنتظر الحكم . فان لم يرضها فويلٌ للاتينيين من غضبها .

فتعلن أتينا انها لا تحفل بهذا الوعيد وانها ترى براءة أورستيس فاذا استوت اصوات القضاة رجحت صوت مبرئيه ، ذلك لأنها ليس لها أم ، فهي تؤثر اكرام الآباء ولا تحفل بالامهات .

وتأمر بعدّ الاصوات ، فتتساوى ويبرأ أورستيس فيعلن شكره للآلهة وشعبها وان الحرب والعداء لن يسودا بين أتينا وارجوس ، ثم ينصرف .

فيطول الحوار بين الجوقة وبين اتينا . تألم الجوقة وتنذر ، فتتلطف

لها أتينا وترغبها ، فلا تزداد الا سخطاً . هنالك تنصح لها أتينا أن تعدل عما ازمعت من الكيد للاتينيين ، على أن تقام لها معابد الاجلال والكرامة فترضى . ويتغنى النساء مجد أتينا واسترضاء آلهة الانتقام



حياة سوفوكليس

— ١ —

ليست الصورة الادبية التي حفظها التاريخ لسوفوكليس بمباينة كل المباينة ،ولا بموافقة كل الموافقة ، لماقدمنا من صورة ايسكولوس فبين الرجلين من التشابه في بعض الصفات ما يخيل اليك ان ليس بينهما من فرق ؛ و بينهما من التباعد ما يخيل اليك أن ليس بينهما من صلة . وحياة الرجلين والظروف الخاصة التي احاطت بهما هي مصدر هذا الاختلاف والاتفاق الشديدين كما سيظهر لك بعد حين .

وُلد سوفوكليس بن سوفيلوس في قرية (كولونا) بالقرب من اثينا سنة سبع أو خمس وتسعين واربعمائة قبل المسيح . ولسنا نعرف من حياته الاولى شيئاً كثيرا ولكن إلمامنا بما كان يسلك الاتينيون الى تربية ابنائهم في هذا العصر من طريق ، ونصوصاً قليلة حفظها التاريخ يدلنا بعض الدلالة على نشأة سوفوكليس، وقد روى مؤرخوه انه كان حسن الصورة جميل الخلق رشيق الحركة خفيفها ظريفاً متأنقاً في كل شيء وتدلنا آثاره الادبية على انه قد جمع الى هذه الصفات رجاحة العقل وشدة التؤدة والرزانة وشيئاً غير قليل من الاحتفاظ بالعادات الموروثة والآثار الدينية ، فكان محباً للآلهة يجلهم و يتقيهم و ينزلهم من نفسه منزلة ملؤها الكرامة، فاذا اردنا أن نعرف مصدر هذه الحياة التي التأمت فيها هذه الصفات المتباينة والخصال المتناقضة عرفنا أن سوفوكليس قد خضع منذ طفولته لمؤثرين مختلفين كل

الاختلاف : الاول حياة القرى والثاني حياة المدينة فقد وُلد في (كولونا) وهي قرية كان لها ما لغيرها من قرى اتيكا في هذا العصر من التمسك بالقديم والحرص على العادات الموروثة وعدم الكلف بالحياة اللينة والعيش السهل فنشأ في اول امره نشأة قروية خشنة بعض الخشونة ، ولكنه لم يلبث ان انتقل الى المدينة فتأثر بما فيها من لين العيش ونعومته ومن خفض الحياة وسهولتها ولا سيما في هذا الوقت الذي كانت قد وصلت فيه اتينا الى شيء من الرقي المادي والمعنوي لم تعهده من قبل .

فهذان النوعان المختلفان من حياة القرية والمدينة تعاونا على أن يكسباه جسماً قوياً متين البنية ولكنه رشيق الحركة وعقلاً رجحاً ولكنه مع ذلك سريع التنقل الى الموضوعات المختلفة لا يكاد يلم بموضوع حتى يأخذ منه خلاصته كالنحلة تتنقل في الرياض من زهرة الى زهرة فتجتني رحيقها عذباً سائغاً ومن هنا جمع سوفوكليس في حياته المادية بين القوة والرشاقة ، وفي حياته المعنوية بين الجد والفكاهة ، فأصبح أحسن مثال لهذه الارستقراطية الادبية التي عاشت في اتينا إبان القرن الخامس قبل المسيح فصورت الحياة اليونانية صورة خاصة عرفت في اصطلاح العلماء والادباء باسم التأتك أو الحياة الاتيكية .

هذه الحياة الاتيكية هي المثل الأعلى لحياة الامة اليونانية في كل شيء نقول لحياة الامة اليونانية لانها لم تقتصر على اهل أتيكا بل تجاوزتهم الى غيرهم من يونان أوروبا وآسيا وأفريقيا ونقول انها كانت المثل الأعلى للحياة اليونانية في كل شيء ، لانها لم تتناول لوناً واحداً من الوان الحياة ؛ بل تناولت الحياة في جميع فروعها ، سواء في ذلك الفلسفة والسياسة والعلم والادب والفن

والاجتماع ، فقد كانت أتيكا في القرن الخامس مركزاً ينبعث منه الضوء فيشرق على جميع اجزاء العالم اليوناني ومعملاً (ان صحت هذه العبارة) تأخذ فيه نتائج العقل والشعور اليونانيين صورها الحقيقية . فما كان يظهر في جزء من اجزاء البلاد اليونانية عالم أو فيلسوف أو أديب الا أحس الحاجة الى أن يرحل الى أتينا ؛ ليعرض بضاعته على اهلها وينال رضاهم واعجابهم وما هي الا أن ينزل هذه المدينة حتى يتأثر بها ويصطبغ بصبغتها ويصبح أتينيّ العقل والشعور واللغة بل أتينيا في زيه ونظام حياته الخاصة ولعل أصح تعبير عن هذه الاستحالة التي تناله انما هو التعبير اليوناني فقد كانوا يقولون أتك فلان أي اتخذ ما لبلاد أتيكا من عادة ونظام

تأثر ايسكولوس بما كان لدميتير في اولوزيس من اثر ديني، فنشأ ورعا دياناً كما قدمنا. اما سوفوكليس فلم تكن القرية التي ولد فيها من شدة التمسك بالدين والحرص على الاحتفاظ به بمكان أولوزيس ، ولكنها لم تكن من التهاون به والاعراض عنه بمكان المدن المتحضرة فنشأ سوفوكليس مقتصداً في دينه، لا معرضا عنه ، ولا مسرفا فيه، وسنرى أثر ذلك في حياته الشعرية

كان ايسكولوس سليل أسرة ارستقراطية تكره الديموقراطية وتنفر منها وان لم تجهد في ممانعتها واشهار الحرب عليها . فتأثر بما لهذه الاسرة من عقيدة وخطة سياسيتين، ولم نعرف انه عني بالامور السياسية أو اشترك في أعمال الجمهورية ذات الخطر . أما سوفوكليس فلم يكن ارستقراطيا ولم يكن من سفلة الناس، وانما نشأ في أسرة من أسر هذه الطبقات الوسطى التي تقوم بين الارستقراطية والدهماء ، مقام الصلة فتجمع اليها ما لهتين الطبقتين من فضيلة . لذلك لم يكن سوفوكليس متشدداً ولا متعصباً لرأي سياسي

انما كان معتدلا في السياسة ؛ ليس بالديموقراطي المسرف ولا بالارستقراطي المتعنت . ولئن كان فنه قد استأثر باكثر وقته فذلك لم يمنعه من أن يبذل فضل ذكائه وحياته العملية للجمهورية فقد انتخب مرتين (ستراتيجوس) أي قائداً من قواد الجيش فقبل الانتخاب ولم يسخط عليه مواطنوه . لم يكن سوفوكليس ذا مطامع سياسية ولكنه لم يكن يهمل السياسة كل الاهمال ، ولقد فشل الجيش الاثيني في حملته على سقليا فشلاً منكراً حمل الاتينيين على أن يحاولوا تغيير نظامهم السياسي ، فانتخب سوفوكليس عضواً في الجماعة التي وُكل اليها هذا التغيير ، ولكنه لم يلبث ان استقال حين رأى ميل هذه الجماعة الى الاستبداد بالحكم دون الشعب ؛ فهذا يبين لنا مقدار ما كان عليه من توسط في الرأي و بعد عن الاسراف والافراط .

كان ايسكولوس من هذه الجماعة الأتيكية التي كانت تشهد استحالة اتيكا ساخطة غير راضية ، والتي كانت معجبة كل الاعجاب بالقديم قاصدة كل القصد في الرضى عن الحديث ، والتي حاربت الفرس فقهرتهم وكانت تود بعد ذلك لو أعاد لها هذا الانتصار ما كان لها من عزة وسلطان ؛ ولكنها لم تظفر بما كانت تريد فظلت هادئة تتربص الفرص وتتريث مترقبة حوادث الايام . اما سوفوكليس فقد نشأ ابان هذه الاستحالة فلم يتأثر تأثراً شديداً باراء شيوخ اتيكا ومحافظيها وانما كان شاباً يملأه مجد امته اعجاباً وفخراً فيضيف هذا كله الى هذه الحياة الجديدة التي تناولت كل شيء فغيرته و بدلته ودانت ما بينه و بين الكمال. اتراه بعد انتصار اتينا في (سلامين) شاباً لم يتجاوز السابعة عشرة قد رأس طائفة من الشباب يتغنون و يوقعون في حفل أقامه الأتينيون شكراً للآلهة على ما منحوهم من فوز ، فهو يتيه و يختال و يظهر من براعته

في التوقيع ، ورشاقته في الحركة ، ومن حسن زيه وجمال منظره ما ينبىء بمكانته في الحياة الاثينية بعد حين ، أترى بعد ذلك انه يمكن أن يميل عن نصر هـذا الحديث الذى ملأ شبابه كبراً واعجاباً والذي استبقى له في شيخوخته من الذكرى ما لم يكن لينساه .

لم نعرف كيف نشأ ايسكولوس، لان نُـظُـم التربيـة في القرن السادس ليست بالواضحة ولا الجلية ، ولـكننا نعرف ان سوفوكليس لم يكد يتجاوز سن الطفولة حتى روى الشعر القصصي والغنائي وتعرف ما فيهما من جمال وحتى اختلف الى اساتذة الموسيقي فأحسن الأخذ عنهم ، وأظهر براعته الفنية اكثر من مرة وانه تردد الى أماكن الألعاب الرياضية واشترك فيها ؛ فأكسبته من قوة الجسم وجمال الخلق ورشاقة الحركة ما أشرنا اليه آنفاً . فهو اذاً مدين بحياته المعنوية للأدب والموسيقى وبحياته المادية للألعاب الرياضية . لم يختلف سوفوكليس الى دروس الفلاسفة ولم يعن بحل المعضلات الفلسفية ، ومع ذلك فقد كان فيلسوفاً أي انه يفهم الحياة الانسانية فهماً خاصاً معقولا لا ءم فيه بين ارادة الانسان وارادة القضاء ، ولـكن هذه الفلسفة ليس لها مصدر الا الذوق الذي اكتسبه من درس الشعر القديم والاّ تجربته الشخصية التي كانت تجد من الحياة العامة والخاصة في اتينا حينئذ موضوعاً حسناً للبحث والتمرين . هناك شيء لا بد من الإشارة اليه اذا أردنا أن نستقصى المؤثرات التي عملت في تكوين الآثار التمثيلية لسوفوكليس؛ هو هذه الجماعة الأثينية التي عاشرها الشاعر في جميع أطوار حياته منذ بلغ رشده ولم يظفر بمعاشرتها ايسكولوس الا بعد ان تقدمت سنه . كانت هـذه الجماعة تمثل أرقى طبقة مفكرة في

العالم اليوناني ؛ بل في العالم كله حينئذ ؛ وماذا ترى في جماعة كانت تتألف من (سيمون و پيركليس وهيرودوت وفيدياس وألكمين) وغيرهم من زعماء السياسة والأدب والفن. أولئك الذين ازدانت بهم اتينا و بلغت بهم أقصى ما قدر لها أن تبلغ من مجد ورقي في كل شيء . كانت هذه الجماعة محبة للحياة كلفة بلذاتها تستمتع بها غير مسرفة ولا مغرقة. وكان أحب شيء إليها أن تجتمع الى الطعام والشراب متجاذبة أعذب الحديث وأطيبه متنقلة من جدٍ الى هزل متحاورة متناظرة في أطرف الموضوعات وأظرفها ، وفي أشدها للنفوس استهواءً وأحسنها في القلوب موقعاً ، فما أشد تأثير هذه الاجتماعات في ترقية الحوار وتهذيبه وجعله من الرقة والدقة بحيث يلائم هذه العقول التي كانت تفهم فتسرع في الفهم ، وتتعمق فيه ، وتعبر عما تريد فتنتقي أشد العبارات دلالة عليه ، مجتزئة في كثير من الأحيان بالايماء والاشارة ، محملة للجملة الصغيرة أكبر المعاني وأدقها ، متفننة في ذلك التفنن كله .

كل هذا تراه واضحا جلياً فيما اشتملت عليه قصص سوفوكليس من حوار أو جدال . أضف الى هذا انمدينة اتينا في القرن الخامس كانت ملتقى الوفود اليونانية من كل أوب ، وان جماعتها السياسية والقضائية كانت تدرس أجل الموضوعات خطراً مقلبة اياها على جميع وجوهها يتناظر فيها الخطباء وزعماء القول لا يريدون اظهار مهارتهم أو الاعجاب بما كان لهم من قدرة أو تفوق ؛ انما يريدون المنفعة والإصلاح . فكانت هذه الحركة البرلمانية والقضائيــة من أشد الاشياء تأثيراً في تحسين المنطق وترقيته من جهة وفي اخذ الخطباء والمحاورين بالقصد والأناة فيما يقولون ويفكرون من جهة أخرى . واضف الى هــذا وذاك أن العين لم تكن تقع من أتينا

إلا على ما يملأها جمالا وبهجة ، فكما أن الخطباء والفلاسفة كانوا يتسابقون الى الإجادة والاستئثار بنفوس الجمهور ، وكما ان القواد وزعماء السياسة كانوا يتنافسون في رفع شأن المدينة وبسط سلطانها ؛ فقد كان زعماء الفن الجميل يبذلون أقصى ما يملكون من جهد في تزيين المدينة وتجميلها والملاءمة بين منظرها المادي وجلالها الأدبي والسياسي . فاستحالت المدينة الى معرض من معارض الفن الجميل لا تخطو فيها خطوة الا رأيت بناء فخماً أو تمثالاً جميلاً ، وكانت أثينا في ذلك الوقت غنية موسرة وزعماؤها أجواداً لا يبخلون بفضل ما لها بل بصميم مالهم على تشجيع المهرة من الفنيين ، فقام في هذا العصر (البرتينون) وغيره من المعابد ذات الصوت الطائر وصنع فيه هذا التمثال المشهور ، تمثال أثينا أقامه (فيدياس) من الذهب والعاج الى غير ذلك مما لسنا في حاجة الى ذكره الآن .

فاذا كان الشاعر من ذكاء القلب ورقة الطبع ونفاذ البصيرة بمكان (سوفوكليس) ثم عاش في عصر كهذا العصر لا تسمع الاذن فيه إلا جميلاً ولا تقع العين فيه الا على جميل ، ولا تستشعر النفس فيه الا مجداً وعظمة والا رفعة وفخاراً ؛ فليس من شك في أنه بالغ من النبوغ في شعره والوصول بفنه من الكمال درجة رفيعة الى حيث بلغ سوفوكليس .

يذكر المؤرخون أن سوفوكليس كان هين الاخلاق حسن العشرة لطيف الحديث ، متحبباً الى الناس متألفاً لهم وانه لم يكن يبخل على نفسه بشيء من اللهو والدعابة فقد كان يرى أن يستمتع بما في الحياة من لذة وان يأخذ ما أعطته الأيام من طيبة من غير أن يسترسل في ذلك فيفسد نفسه ويضيع وقته .

على أن هذه الحياة لم تخل من سحابة هم غشيتها فنغصت صفوها بعض التنغيص، وعملت في تكوين الرجل وتكميل خلقه . فمثل الحياة تملؤها اللذة لا يشوبها ألم، والفرح لا يعترضه حزن مثل الطعام لا ملح فيه تعافه النفس وتنفر منه .

لم يكتف سوفوكليس بالحياة المنزلية المشروعة فمع انه كان زوجا ناصحا وابا شفيقا كاف بامرأة من (سيكيون) وعاشرها فكان له منها ابن سماه (ارستون) وكان لارستون هذا ابن هو سوفوكليس الشاب ، مثل قصة لجده بعد موته .

بين هذا الولد غير المشروع واخوته ، كانت خطوب وإحن تألم لها الشاعر ويقال انها وقفته بين أيدي القضاة ، ومهما يكن من شيء فان ما امتلأت به حياة سوفوكليس من لذة وألم، ومن خير وشر، لم تشغله عن فنه ولم تمنعه من اتقانه والاجادة فيه، فيروي المؤرخون انه كان يقدم الى المسابقة اربع قصص في كل سنتين . بدأ في ذلك قبل أن يتجاوز الثامنة والعشرين فانتصر على ايسكولوس سنة ثمان وستين واربعمائة، ويقول الرواة انه انتصر عشرين مرة أي ان ثمانين قصة من قصصه قد راقت الجمهور ويقولون انه لم ينهزم قط فكان اما سابقا أو لاحقا فاما الصف الثالث فلم يعرف مرارة الانحطاط اليه . ظل كذلك لا يبطره الانتصار ولا تؤيسه الهزيمة ولا تناله الغيرة اذا تفوق عليه أحد من خصومه الى أن مات سنة خمس واربعمائة من غير أن يفارق وطنه الا جادًّا في خدمته ، فقد طلب اليه كثير من طغاة المدن اليونانية أن يرحل اليه فابى ذلك لانه كان يحب أثينا، ولأن أثينا كانت تحبه . فاما حبه اياها فكل ما قدمناه يدل عليه دلالة واضحة ، وأما

حبها اياه فحسبك دليلا عليه انه لم يكد يفارق هوى الحياة حتى اتخذت له المدينة معبداً وعبدته وقدمت اليه الضحايا والقربان في كل سنة ، كما كان يفعل اليونان بابطالهم .

فلننظر الآن الى آثاره الادبية لنرى ما بينها وبين هذه الحياة من صلة .

— ٢ —

كان التمثيل قد بلغ من الرقي درجة عظيمة كما قدمنا قبل أن يحاوله سوفوكليس ، فقد رأينا كيف نشأ وكيف منحه (تسبيس) صورته الاولى وكيف اكمل ايسكولوس هذه الصورة ، ورأينا معظم ما اخترع ايسكولوس في التراجيديا من اختراعات مادية أو معنوية وصلت بها من الرقي الى حيث نراها فيما ترجمنا ولخصنا من آثار هذا الشاعر . اذاً فقد وجد سوفوكليس امامه طريقا ممهداً وخططا مرسومة لم يكن له أن يتجاوزها أو يعدل عنها . فلم ينفق من نبوغه شيئا كثيراً في هذه المعدات التي ليس منها بد ليوجد فن من الفنون ، والتي تحرم صاحبها في كثير من الاحيان لذة الاستمتاع بآثاره والشعور بان الناس يضيفون اليه ما اشتملت عليه من جمال . فمهما أتقن البناء ووضع الاساس واقام الدعائم لقصر ضخم بديع فان اعجاب الجمهور منصرف عنه الى هذا الذي اتم بناءه ومنحه من الزينة والتحسين ما يملأ النفوس بهجة والقلوب روعة .

لم ينفق سوفوكليس شيئاً من نبوغه في وضع أساس التمثيل واقامة دعائمه وانما انفقه كله في ترقيته وتحسينه وسلك به طريق الاستحالة والانتقال من طور الى طور ومع هذا فقد أبى مؤرخوه الا أن يضيفوا اليه

اختراعات أساسية لا شك في أن حظ الاسراف منها كثير .

فقد زعموا انه أول من عدل عن الرباعية المتصلة ، فقدم الى المسابقة رباعية منفصلة ، وفي الحق انا لا نعرف لسوفوكليس رباعيـة متصلة كما نعرف لأيسكولوس ، ولكن مما لا شك فيه انه ليس مبتدع الرباعية المنفصلة فقد سبقه اليها ايسكولوس كما قدمنا وانما رأى سوفوكليس أمامه طريقين من طرق التمثيل ، طريق الوصل بين القصص والفصل بينها فآثر أن يسلك أيسرهما وهي الثانية وأحسن كل الاحسان لأنه حرر الفن من قيود كانت تقف الشاعر مواقف لا تخلو من حرج كثير .

وزعموا انه أول من جعل عدد الممثلين ثلاثة وكان أيسكولوس قد جعله اثنين ولا شك في ان هذا أيضاً متكلف مبالغ فيه فقد رأينا ان ايسكولوس قد قسم غير قصة بين ثلاثة من الممثلين ، وانما عدل سوفوكليس كل العدول عن القصة الثنائية التي لا يلعبها الا اثنان . وكان ايسكولوس يشعر بشيء من الضيق والوحشة في تقسيم قصته بين الممثلين الثلاثة أما سوفوكليس فقد أحسن الانتفاع بهذه البدعة واستخدمها في ترقية الحوار ووضع أشخاص القصة مواضع ثابتة رحبة ليست بالضيقة ولا بالمضطربة فاستطاع كل شخص من أشخاص القصة أن يحسن الاعراب عما في نفسه وان يجلي أخلاق البطل واضحة لا يشوبها الغموض ولا يحول بينها وبين الوضوح الشديد ضيق المقام .

وزعموا وربما كان هذا حقاً انه زاد عدد الجوقة ، فجعل أعضاءها خمسة عشر وقد كانوا اثني عشر . وانه مع ذلك قد جعل خطرها في التراجيديا غير جليل فاصبحت التراجيديا أقرب الى التمثيل منها الى الغناء . ولكنا

قدقدمنا ان طبيعة الفن كانت تستلزم هذه الاستحالة، وان عمل الجوقة أخذ يقل و يتضاءل شيئاً فشيئاً منذ أيام تسپيس ورأينا هذه الاستحالة ظاهرة في قصص ايسكولوس ، فالمستجيرات وهي أقدم ما بقي لنا من آثاره توشك ألا تكون الا غناء؛ والفرس وهي أحدث منها يعظم فيها حظ الغناء ولكن حظ التمثيل فيها غير قليل ، ثم ما يزال التمثيل ينمو والغناء يتضاءل حتى اذا نشأ سوفوكليس وجد هذا القانون قد أصبح لا سبيل الى تغييره فاحسن الأخذ به والاستفادة منه كما سنرى .

يظهر أن ليس من شك في أن سوفوكليس قد أحدث في التمثيل شيئاً مادياً لم يكن مألوفاً من قبل، ولكنه كان شديد الإفادة لأنه أعان الجمهور على الفهم وقارب بين التمثيل و بين الحقيقة الواقعة، وهو انه صور على الحائط الذي كان يقوم دون المسرح كل ما كانت تشتمل عليه القصة من منظر . فهذه هي الاختراعات التي تنسب الى سوفوكليس وسواء أصحت هذه النسبة أم لم تصح فلا شك في أن سوفوكليس قد كان أمهر في استعمال هذه البدع من ايسكولوس وانه قد أحسن الانتفاع بها في ترقية التمثيل

— ٣ —

على أن نبوغ سوفوكليس لم يظهر اثره في هذه الترقية المادية للتمثيل وانما ظهر واضحا جليا في ترقيته المعنوية فليس من سبيل الى الشك في أن سوفوكليس قد غير معنى التراجيديا وغايتها تغييراً باعد ما بينها و بين الصورة التي كانت في نفس ايسكولوس .

وأول ما نشهده من ذلك هو الفرق بين القاعدة التي اتخذها سوفوكليس والتي اتخذها ايسكولوس للتمثيل . فبينما كان ايسكولوس يرمي دائماً الى

تمثيل ضعف الانسان أمام قوة الآلهة أو قوة القضاء ، وبينما كان يحاول أن يظهر ارادة الانسان ضئيلة واهنة سيئة النظر في المستقبل يملكها الغرور فيحملها على ممانعة القوة القاهرة واعتراض الارادة التي ليس الى اعتراضها من سبيل ، فتنفعل ثم لا تلبث أن تلقى جزاء هذا التهور والاسراف اللذين ليس لهما مصدر إلا الغرور ، وبينما كان هذا التصور نفسه للحياة الانسانية يحمله على أن يجعل للآلهة أو للقضاء في القصة مركزاً ذا خطر ، وأن يجعل مركز الانسان دونه بحيث تصبح القصة كأن الغرض الحقيقي منها انما هو تمثيل هذه القوة القاهرة وعبثها بالانسان ؛ نقول بينما كانت هذه حال ايسكولوس كان سوفوكليس قد اتخذ من الناس والآلهة صورة أخرى فما كاد يلاحظ هذه الصورة في انشاء قصصه التمثيلية حتى ظهر الفرق جلياً بين الرجلين ، وأصبحنا نرى أن كلاً منهما انما يمثل عصراً خاصاً ، له ما ليس لصاحبه من حياة العقل والشعور .

كان سوفوكليس ابن هذا العصر الحديث الذي رقي فيه العقل اليوناني والشعور اليوناني ، واصبح فيه الانسان يشعر أشد الشعور بوجوده ويعترف أشد الاعتراف بشخصيته ويود لو اكره كل شيء على أن يعترف بهذه الشخصية ويشعر بذلك الوجود .

نشأ هذا كله عما كان من الاستحالة الاجتماعية والاقتصادية اللتين غيرتا ما كان لليونان من نظام سياسي ، وجعلتا الحرية حظا شائعا بين افراد الشعب جميعاً سواء منهم الفقير المعدم والغني المثري وسواء منهم الشريف الرفيع والسوقي الوضيع .

فكَّر كل انسان وعمل كل انسان وأحس كل انسان بأن لتفكيره

ثمرة ولعمله نتيجة فعرف انه شيء يذكر واعتقد انه موجود لا ينبغي لاحد أن يهمله أو يفكر ما لوجوده من خطر أو قيمة ، ونشأ عن ذلك اعتقاده أن له ارادة حرة تستطيع أن تمانع فتفوز في الممانعة ، وأن تنازع فتنتصر في النزاع .

على هذا الاصل الذي هو الى السياسة أقرب منه الى الفلسفة قامت قصص سوفوكليس ، فهو يرى أن الارادة الانسانية تملك من الحرية ما يمكنها من العمل ، ومن هنا كانت آثاره الفنية اعترافاً بالشخصية الانسانية وتحريراً لها من ربقة القضاء الذي كان قد سيطر على الامة اليونانية منذ عصورها الاولى ، فقد رأينا في حياة ايسكولوس أن الشعر القصصي يدلنا على أن اليونان كانوا يرون الآلهة الخالدين لعبة في يد قوة قاهرة لا مرد لما امرت به ولا محيد عما قصدت اليه ، وهي قوة القضاء وان ما كان يعتقد الانسان لنفسه من قوة أو حرية انما هو غرور باطل وانخداع بظواهر الاشياء ، ورأينا أن ايسكولوس لم يجحد هذه القضية بل آمن بها وأصر عليها ، ولكنه لطفها بعض التلطيف فمثل الانسان عاملاً بعض العمل ، مريداً بعض الارادة ، ولم يحاول التوفيق بين هذه الحرية الانسانية وبين قوة القضاء لانه لم يسأل نفسه عن معنى هذه الحرية ولا عن ما يمكنه أن يكون بينها وبين قوة القضاء من توفيق .

أما سوفوكليس فانه لم يحاول التوفيق ايضاً ولم يجرأ على أن يظهر الانسان ممانعاً للآلهة متفوقا عليهم لانه لم يكن يعتقد ذلك من جهة ولانه لو اجترأ عليه لأسخط الجمهور من جهة أخرى . ولكنه جعل التمثيل انسانيا أي أن ما تشتمل عليه القصة التمثيلية ليس حربا بين هذه الارادة الالهية وبين

ارادة الانسان وانما هي حرب بين ارادتين انسانيتين . ومن هنـا أصبح مكان الآلهة في قصص سوفوكليس غير ذي خطر فقد كنا نراهم في الشعر القصصي يخالطون الناس و يداخلونهم في كل شيء ، ثم رأيناهم في شعر ايسكولوس يشرفون على اعمالهم من كثب ثم نراهم في شعر سوفوكليس يدبرون الحياة الانسانية من بعيد .

ليست لذة تمثيل سوفوكليس فيما نرى من عظمة الآلهة وشدة بطشهم وافتنانهم في ارغام الانسان على أن يذعن له ، وانما هي فيما نشهد من الممانعة الشديدة والحرب العنيفة بين ارادتين انسانيتين قد أصرت كل منهما على ما عزمت فهي لا تعدل عنه ولا تميل ، وما تزالان تتمانعان وتتشادان حتى يبلغ النزاع أقصاه ، وهنا يفصل بينهما الآلهة فصلا يظهر ما لهم من قوة و بأس .

انظر اليـه في أنتيجونا كيف مثل ارادتها قوية شديدة الحرص على ما صممت عليه من دفن پولينيس لا يصرفها عن ذلك صارف ، تلح عليها اختها فتردها رداً عنيفا وتنصح لها الجوقة فلا تحفل بنصحها ، و ينذرها الملك فتحتقره وتزدريه ، ثم يقضي عليها بالموت فتلقى ذلك ثابتة غير مضطربة في رأيها ولا متحولة عنه . وكيف مثل كريون معتزاً بسلطان الملك والقانون يريد أن يأمر فيطاع ، فقد ازمع ألا يدفن پولينيس وأعلن أن دافنـه مقتول ، ثم يظهر له أن پولينيس قد دفن وأن بنت أوديپوس هي التي دفنته وان اهل المدينة كلهم لها انصار وان ابنه يحبها و يكلف بها ولا يستطيع أن يستمتع بعدها بالحياة فلا يحوله ذلك عما أصدر من أمر . بل انظر اليـه يزدري الجوقة حين تنصح له بالقصد و يهين الـكاهن حين يعلن اليه أمر

الآلهة . كلا الخصمين مُصرّ عنيد وكلاهما يلقى ثمرة إصراره وعناده .

يخيل الى الجمهور أن الآلهة هم الذين عاقبوا كريون على ما قدم اليهم من إهانة، ولكن المتأمل في القصة يرى ان هذه العقوبة لم تكن الا نتيجة منطقية لما كان من اصراره وأعراضه عن اللين . يعلن اليه ابنه انه قاتل نفسه إن قتلت انتيجونا ، فلا يحفل بذلك ، ويمضي ابنه يائساً قد ازمع الموت . ثم يندم كريون لانه لم يسمع لنصيحة الكاهن، فيحاول ان يخلص انتيجونا ولكن (سبق السيف العذل) قد ماتت انتيجونا والتزمها ابنه يعانقها مرة و يقبلها مرة اخرى، ثم يقتل نفسه فيمتزج دمه بدم من أحب، وابوه شاهد قد ملكه الذهول وكاد يجن جنونا . حتى اذا عاد الى القصر وجد الخبر قد سبقه اليه و وجد زوجه قد قتلت نفسها يأساً لموت ابنها ، فينوء به الحزن ويتركه سوفوكليس أمامنا متولها أبله لا يعرف ماذا يصنع ولا يدري كيف يقول

تغيير معنى التراجيديا ووجهتها ، غير اللذة التي يشعر بها النظارة او القارىء . فقد كان الحوار عند ايسكولوس يبهرنا بما اشتمل عليه من جلال وضخامة ، اما عند سوفوكليس فهو يخلبنا لدقته ولطف مأخذه .

شعورنا وحده هو الذي كان يتأثر في اكثر الاحيان بحوار ايسكولوس. كنا نحس كأن شيئاً ضخماً يبهظنا . اما عند سوفوكليس فلم يفقد الشعور شيئاً من لذته ، وقد اخذ العقل من هذه اللذة بنصيب . ليس من سبيل الى ان ننكر حين نقرأ سوفوكليس ان الكاتب قد كان يتأثر بحياة هذا العصر الذي اخذت تظهر فيه الفلسفة ، ولاسيما فلسفة السوفسطائيين. هذه الفلسفة التي كان قوامها الافتنان في المحاورة والاجتهاد في الأخذ بتلابيب المحاور

والتضييق عليه من غير أن يظهر في ذلك تعنت أو تكلف .

يشعر قارئ سوفوكليس بأنه يعيش في عصر سقراط ، حوار مَرن مقنع دقيق، مع انه يخيل اليك ان الذين يتجاذبونه لا يجهدون انفسهم ولا يتعمقون في البحث . كل ما بين سقراط وسوفوكليس من الفرق هو أن سوفوكليس لم يكن يتخذ الفلسفة لحواره موضوعاً ولم يكن يتكلف لغة الفلاسفة. انما كان يتخذ موضوعاً لحواره ما للنفس الانسانية من خلق أو هوى، وكان يتكلم هذه اللغة الذي ألفها الجمهور باختلافه الى ملاعب التمثيل .

اخذت التراجيديا بفضل سوفوكليس صورة جديدة . فقدت شيئاً من هذا الجلال الذي كان يميز قصص ايسكولوس ، ولكنها بذلك نفسه قرب ما بينها و بين الناس، واكتسبت شيئاً — من الدقة والتلطف في تحليل العواطف والميول — لم يكن لها من قبل. وليس من الغلو القول بان سوفوكليس هو أول من وضع التمثيل البسوكولوجي .

فلم يقصد إلى اظهار سلطان الآلهة وضعف الانسان ، وانما أراد قبل كل شيء أن يظهر النفس الانسانية واضحة جلية ابان ما يعترضها في الحياة من خطوب ، فتراها مطمأنة هادئة ثم تراها وقد أخذت تضطرب وتجيش ، ثم تراها وقد لقيت الخطب ثابتة مزمعة احتماله ، وهي في جميع هذه المواطن تحسن الاعراب عما ينبعث فيها من عاطفة ، أو يبعثها على العمل من ميل وهوى

— ٤ —

يمكن أن نقول ان اشخاص سوفوكليس يمثلون عصره ، و يمكن أن نقول أنهم لا يمثلونه . فقد تأثر سوفوكليس بشيئين متباينين : الاول الشعر القصصي الذي استعار منه موضوعاته والذي كان يمثل عصر الابطال ،

والثاني هذه الحياة الحديثة ، حياة القرن الخامس قبل المسيح .

وقد عمل هذان المؤثران معاً في تكوين قصصه • ففي اشخاصه شيء غير قليل من جلال الابطال ، ولـكنهم خاضعون لما امتاز به اتيني القرن الخامس، من رشاقة الحركة وخفة الروح ، وشيء من الهزء والسخرية حتى بأشد الاشياء جلالا وأقربها من الدين منزلة .كأن سوفوكليس قد أراد ان يمثل أبناءعصره منزهين من نقائصهم ، تزينهم فضائل الابطال أو كأنه اراد ان يمثل الابطال تزينهم خصال عصورهم الاولى من غير أن يبعد ما بينهم وبين الناس .

في اشخاصه قوة وعزة وفيهم صلابة وعنف ولـكنهم مع ذلك يلينون ويضعفون وينالهم الالم والاعياء .

لم يحسن ايسكولوس كما قدمنا تمثيل المرأة ، لانه كان لا يميل الا الى القوة ولا يعجب الا بالقوة ، ولان الضعف وما امتاز به النساء من سرعة الحركة والانتقال من طور الى طور ، ومن شدة التأثر بالاشياء لم يكن لينال نفسه القوية الخشنة . اما سوفوكليس فقد كان حضريا مترفا، وكان غزلا يحب المداعبة وكان قد عاش في عصر لين ويسر ، واستمتع من لذات الحياة بشيء غير قليل فبلا اخلاق الناس ، ولم يقف في تمثيله عند ما رسم الشعر القصصي ، وانما استعان الحيـاة الواقعة على تصوير اشخاصه . فكانوا الى الحقيقة اقرب منهم الى الخيال .

اصرت انتيجونا على دفن أخيها ورضيت الموت ، ولـكن ذلك لم يمنعها ان تجزع وان تبكي شبابها وان يمتلىء قلبها حسرة لهذا الموت يتعجلها قبل أن تبلو الحياة وتذوق لذة الزواج .

ازمع أياس قتل نفسه ، وعدل عن كل ما قدمت اليه زوجه من نصح

واستعطاف ، وارهف السيف واثبته في الارض ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يذكر وطنه وامه واباه ، وان يحيي الشمس والبحر والهواء .

ذلك دأب الشاعر في جميع اشخاصه يصفهم من الفضيلة بما يحتمله النوع الانساني لا يداني بينهم وبين الآلهة ، وقد قدمنا انه فشل حين اراد أن يمثل هيراقل لانه حين جعل هيراقل انساناً كغيره من الناس ، أفسد صورته الجميلة التي كان قد صوره بها الشعر القصصي .

هناك أشخاص آخرون يملأونك اعجاباً بهم ورضى عنهم. هم الاشخاص الذين ليس لهم في القصة أثر عظيم . لم يتكلف سوفوكليس ان يحليهم بصفات الابطال وانما مد يده فتناولهم من حوله وأتى بهم في الملعب فهم يمثلون أبناء اتينا أحسن تمثيل .

انظر الى هذا الحارس اقبل يخبر كريون بأن پولينيس قد دفن ، فهو يسلك الى ذلك طرقا معوجة كثيرة الثنايا ، يريد أن يشوق الملك الى ما سيقص عليه من غير أن يحرم نفسه شيئاً من الهزء به .

« مولاي ! لا أقول لك اني قد طرت الى هذا المكان سريع الخطا ؛ فان الخواطر المختلفة التي كانت تملأ نفسي في هذه الطريق قد اضطرتني الى ان أرجع ادراجي ! كثر من مرة . فقد كان قلبي يحدثني مرة قائلاً : ايها الشقي ! ما بالك تسرع الى ما ينتظرك من العقاب ؟ — ومرة اخرى : أيها التعس ! ماذا يقف بك ؟ — لو ان كريون علم هذا النبأ من غيرك فاي عذاب قد قدر لك ؟ وانا في هذا الاضطراب والتردد لم اكن اتقدم الا بطيئاً . فان أقصر الطرق يطيله مثل هذا التردد . وبعد فقد اكرهت نفسي واقدمت . سأتكلم وان كنت لا استطيع ان أشرح لك شيئاً فاني قد جئت ، وانا واثق

انى لن القى الا ما قدره لي القضاء .

كريون — ما مصدر هذا الاضطراب الذي أراك فيه ؟ —

الحارس — سأتكلم عما يتعلق بي ، فلست انا مقترف الذنب . ومن الجور ان اعاقب على ما لا اقترف .

كريون — انك لحسن السعي الى غايتك ، وانك لتحسن الحيطة والاحتراس ، ولكن يخيل الي انك تحمل الي نبأ جديداً .

الحارس — ليس من اليسير ان يسرع المخبر اذا كان يحمل نبأ سيئاً

كريون — و بعد فادل بما عندك ثم انصرف اذا أديت رسالتك .

الحارس — لك الطاعة ، قد دفنت الجثة ، ووُريت في التراب ، واقيمت الواجبات العادية ، واستخفى من اقامها »

* * *

اقرأ ذلك وتعرف صورة الرجل او الشاب من عامة اتينا فى القرن الخامس تجدها مطابقة كل المطابقة لما قرأت . هؤلاء الاشخاص كثيرون فى قصص سوفوكليس ، ومع انهم يكسبون هذه القصص فائدة تاريخية فقد كانت لهم فائدة اخرى هي انهم كانوا ينفسون عن الجمهور ويريحونه وقتاً ما من تتبع القصة وما فيها من جد .

فقد رأينا في هذا الفصل الموجز ما بين سوفوكليس وايسكولوس من وجوه التشابه والافتراق ، وكل ما قدمناه ينتهي بنا الى نتيجة واحدة هي ان الفرق بين الرجلين ليس الا فرقاً بين عصرين مختلفين لأمة واحدة ، ثانيهما استمرار لأولهما وان امتاز منه بخصال خاصة وصفات اقتضتها الاستحالة والانتقال .

— ٥ —

أشرنا الى ان حياة سوفوكليس كانت خصبة منتجة، فكثرت آثاره التمثيلية وقد رأينا انه قد فاز في ثمانين قصة ، ويذكر المؤرخون الاسكندريون ان مجموع قصصه تبلغ ثلاثاً وعشرين ومائة قصة ، ويرى المحدثون ان ليس في هذا شيء من المبالغة كثير . ومهما يكن من شيء فلم يبق لنا من آثاره الا قصص سبع أقدمها أياس ، مثل فيها الشاعر قتل أياس نفسه ، بعد ما أصابه من الجنون الذي مثل له قطعان الغنم والبقر كأنها جيش اليونان فأنحى عليها ضرباً بالسيف. وهذه القصة على قدم عهدها ، وعلى انها تمثل الشاعر مبتدئاً لم يتوثق من الفن ولم تثبت قدمه فيه ، تشتمل على آيات من البلاغة خليقة بالاعجاب .

ثم مثل « انتيجونا » وهي ما كان من دفن انتيجونا لاخيها پولينيس برغم أمر الملك وما كان من القضاء عليها ان تدفن حية . وليس من شك في انه قد تأثر فيها بأيسكولوس ، ولكنه فاقه في تصوير عواطف المرأة والتقريب بينها وبين الحقيقة .

ذلك شأنه في « الكترا » التي تمثل ما كان من انتقام اورستيس لابيه وقتله امه كاوتيمنسترا، ولكن الشخص الاول في هذه القصة انما هو الكترا لانها هي التي كانت تشهد فجور أمها وانتصار قاتل ابيها ، فتألم لذلك ويشتد حرصها على الانتقام .

واعظم قصص سوفوكليس حظاً من الجمال انما هي « اوديبوس ملكا » وقد قدمنا تلخيص موضوعه في مقدمة « السبعة يهاجمون طيبة » .

واشدها ضعفاً هي « التراكينيات » مثل فيها غيرة ديجانيرا لان زوجها هيراقل أحب غيرها ، واهداءها اليه ثوباً مسموماً لبسه فمات بعد ألم شديد .

ثم مثل « فيلوكتيتيس » وهو بطل من ابطال الالياس . كان يملك سهام هيراقل فأصابه سهم منها في ساقه وعجز اليونان عن مداواته، فتركوه في جزيرة مقفرة ، ثم يحتاجون اليه فيحتالون في رده الى معسكرهم امام تروادة .

وآخر قصة من قصصه هي « اوديپوس في كولونا » لعبها الممثلون بعد موته ، وهي تمثل اوديپوس بائساً يعيش من المسألة ، بالقرب من اثينا وما كان من تضييف هذه المدينة له .

ولنأخذ الآن في تلخيص قصصه وترجمة ما نختاره منها ، فذلك اوضح طريق تنتهي بنا الى ما كان له من نبوغ



اياس

كان أياس بن تيلامون ملك سلامين بطلاً من أبطال اليونان أمام تراوده حارب فأحسن البلاء وظفر على الترواديين في مشاهد عظيمة، وحمى اليونانيين جميعاً بعد أن انهزم زعماؤهم وأبطالهم فما زال يدافع عنهم حتى أقبل أخيل فرد اعداءهم منهزمين . فلما كان مقتل اخيل جعل اليونان سلاحه جائزة لأعظم ابطالهم شأناً وأجلهم خطراً ففاز بها أوديسيوس، وغضب لذلك أياس، فذهب عقله وأنحى بسيفه على ما كان في حظائر اليونان من ماشية، فلما عاد اليه صوابه استخزى لما فعل فقتل نفسه، وقد رويت هذه الاسطورة في قصيدة قصصية انشئت تكملة للالياس واسمها الالياس الصغيرة .

الاشخاص :

أياس

اتينا

اوديسيوس

توكروس اخو أياس

تكمسا زوج اياس

مينيلاووس

أجا ممنون

رسول

الجوقة تتألف من أهل سلامين

تقع القصة في معسكر اليونان بازاء ترواده أمام خيمة أياس

الفصل الاول

اوديسيوس واقف بازاء خيمة أياس كأنه يرقبه ويبحث عما أحدث من عمل، فتظهر له الإلهة اتيناوتنبئه بأنها عالمة بما هو فيه ، وان أياس قد كان يريد اغتيال رؤساء الجيش فحالت هي بينه وبين ذلك بان سلبته عقله وخيلت له الماشية كأنها ملوك اليونان وأبطالهم ، فأعمل فيها السيف وقاد طائفة منها الى خيمته فهو يعذبها ضرباً بالسوط . ثم تأمر اوديسيوس ان ينتظر غير خائف ولا وجل ، لأنها مظهرة له أياس أبله مجنونا، وتدعوه فيظهر و يعلن انه قتل جماعة اليونان وقاد بعضهم الى العذاب ، وانه لم يقتل اوديسيوس وانما شده الى احد أعمدة الخيمة ليمزق جسمه بالسياط . ثم يعود الى خيمته .

المنظر الثالث

اتينا واوديسيوس

اتينا — أي اوديسيوس ، أرأيت الى أي حد تبلغ قوة الآلهة . وأي رجل بين اليونان كان يستطيع ان يدبر الأمر على خير مما دبرته ؟ وأي رجل كان يستطيع أن ينفذ الأمر في ابانه .

اوديسيوس — والهفتاه ! ما عرفت هذا الرجل قط ، ان أياس لعدوي ولكني آسي لشقائه ، وأحزن لما أصابه من ذل. واني حين أرى آخرته لأفكر في آخرتي ، فأرى أنا جميعا اثناء هذه الحياة لسنا الا أشباحاً وظلالا باطلة .

اتينا — اذاً فلتملأ قلوبكم هذه الحقيقة ، ولتحذروا ان تهينوا الآلهة بألفاظ ملؤها الكبر والغطرسة ، وان يأخذكم الاعجاب والتيه لما يهبكم الحظ

من قوة وثروة . إن يوما واحداً ليكفي ليهدم الآلهة ويقيموا ما عمل الناس .
إن الفضيلة لترضي الآلهة وان الفجور ليملأهم سخطاً .

* * *

ثم تتغنى الجوقة ما شاع من أمر أياس ، وأن ذلك قد ساء اثره في جيش اليونان ، وتدعو أياس الى ان يظهر فينفى هذا الزور ويقطع ألسنة المرجفين .

الفصل الثاني

تأتي تكمسًا فتقص على الجوقة ما قدمنا من جنون أياس ، وما كان من قتله الماشية. فتثق الجوقة بأن الخبر صحيح وتشفق من سخط اليونان ، وتود لو استطاعت أن تنجو الى وطنهـا لتأمن شرهم ، ثم تخبرها تكمسا بان أياس قد استرد رشده ، فتهدأ وتطمأن ، ولـكنها تجزع حين تعلم ان أثر الندم في نفس البطل شديد ، وانه يضمر امراً منكراً ، وانهم لفي ذلك اذ يسمع صوت أياس متولها يدعو ابنه وأخاه .

المنظر الثاني

أياس . تكمسا . الجوقة

أياس — ايها الاصدقاء الاعزاء ، الذين صحبوني فيما ابليت من بلاء ، ووفوا لمودتي ، انظروا الى هذه الامواج من الدم تحيط بي وتحصرني من كل وجه

الجوقة — ويحك ! أيتها الاميرة ما أنبأتنا الا بالحق : ان كل ما نراه ليثبت لنا جنونه

أياس — أي هؤلاء الذين أحسنوا إعمال المقاذيف واعانوني على كل ما حاولت، ما ارى غيركم قادراً على معونتي . اضربوا واسلبوني الحياة .

الجوقة — قف : واكفف عن هذه الالفاظ يملأها الشر ، لا تضف شقاء الى شقاء ، ولا تبلغ بسوء حالنا أقصاه .

أياس — اترون الى هذا المقاتل الجرىء الكريم حسن البلاء في الموقعة ألم يثبت شجاعته وشدة بأسه حين أعمل سيفه في تلك الماشية البريئة ! لأي احتقار ولأي سخرية مهينة قد عرض نفسه منذ اليوم ؟ .

تكمسا — أيها الزوج العزيز، اي اياس ، اني لضارعة اليك في ان تكف عن هذا الحديث .

أياس — اهربوا ، دعوا هذا المكان . . . آه ! يا للالهة ! آه ! آه !

الجوقة — اني لأعزم عليك باسم الالهة ألا تبلغ بك الصلابة اقصاها وان تعود الى رشدك .

أياس — اني لشقي ؟ لقد اعملت هذا السيف الخائن . فاظهرت قوة ذراعيه في البقر والكباش ، وسفكت دماً يزرى بي أبد الدهر .

الجوقة — لِمَ يملأك اليأس على شيء مضى ؟ ليس من سبيل الى استدراك ما فات .

اياس — اي هذا الذي ليس يخفى على مكره شيء ، اي مصدر كل شقاء اي عار الجيش اي آبن لاهرتيس ، باي ضحك مهين تعلن فرحك !

الجوقة — ان الالهة وحدهم هم الذين يتصرفون في ضحكنا و بكائنا

اياس — ما له لا يعرض لي في هذه الحال التي انا فيها ! اقسم . . . .

الجوقة — دع هذا النذير يملأه الـكبر ، ألا ترى الى ما أنت فيـه من شقاء ؟ .

اياس — اي أبا أجدادي ، اي ذوس ، وددت لو هلـكت بعد ان نحرت هذا الخائن ونحرت معه ابناء أتريوس ! .

تـكمسا — اذا كنت تتمنى هلاكك فتمن هلاكي ايضاً . فهل من سبيل الى ان أحيي بعدك ؟ .

أياس — ايتها الظلمة الحالـكة التي هي ضوئي ، أي ظلمة الجحيم ، استقبلي ساكناً جديداً ، استقبليني . لقد اصبحت منذ اليوم غير أهل لأن أرى الناس والآلهة ، لقد اصبحت حياتي غير نافعة . ان هذه الإلهة المخوفة ابنة ذوس لتتبعني بسخطها ، وان غضبها لينوء بي . اين أهرب ؟ اين استخفى ؟ اين استقر . وقد ذهب مجدي كما تذهب حياة الحيوانات الدنيئة ، وقد اصبحت ضحية تضاف الى هـذه الضحايا التى ضحى بها الجنون ، وقد تأهب جيش اليونان لينقض عليّ بأسره .

* * *

ثم يطول الحوار بينه و بين الجوقة وتكمسا ، تريدان أن تحولا بينه و بين الموت و يأبى الا ان يفارق الحياة ، فيوصي بان يطلب الى أخيه توكروس حماية زوجه وابنه وردهما الى وطنه .

* * *

الجوقه — اني لأضطرب لهـذا الشعور العنيف ، وان هذه الالفاظ يملأها الخطر لتملأ قلبي فزعاً .

تكمسا — ايها العزيز أياس ، أي مولاي ، على أي عمل ذي خطر أنت مقدم .

أياس — لا تحاولي ان تتعرفيه ، لا تسأليني ان الصمت لفضيلة .

تكمسا — يا لليأس، اني لأعزم عليك بحق الآلهة وبحق ابنك ألاتتركنا

أياس — ان صلواتك عليّ لثقيلة ، الا تعلمين اني اصبحت غير مدين للآلهة بشيء ؟

تكمسا — دع هذا الحديث المهلك .

أياس — لن اسمع لشيء .

تكمسا — ماذا ! ألا استطيع ان أمس قلبك !

اياس — لقد اسرفت .

تكمسا — انظر الى ما يملأ قلبي من خوف ايها الزوج العزيز .

اياس — نحّوها عني .

تكمسا — باسم الآلهة دع قلبك يلين .

اياس — ابلغت اذاً من الحمق ان تمني نفسك بتغيير خلقي ؟

* * *

ثم تتغنى الجوقة سوء حالها وسوء حال اياس ، وما سيصيب اباه من الحزن حين يصل اليه هذا النبأ السيء ، وانها لكذلك اذ يأتي اياس ومعه زوجه فيعلن أنه قد عدل عن رأيه ، وانه لن يقتل نفسه ولن يصر على خلاف أجاممنون ، وانه ذاهب الى البحر ليستحم وباحث عن عزلة يستريح فيها ويخفي فيها سيفه الذي اهداه اليه هكتور فكان مصدر شقائه ومحنته . ويطلب الى الجوقة ان تكلف أخاه توكروس العناية به وبها مشيرا بذلك من طرف خفي

لى أنه لا يذهب ليستحم ، وانما يذهب ليبحث عن الموت . ولكن الجوقة لا تفهم ، فتتغنى ما نالها من سرور و بهجة، ويخيل اليها ان قد منحها الفرح اجنحة فهي توشك ان تطير وترقص داعية (پان وابلون) ليعيناها على ذلك و يشاركاها فيه .

الفصل الثالث

يأتي رسول من قبل توكروس ينبىء بانه قد عاد من غارة كان يشنها على العدو ، وانه أرسله ليمسك أخاه في خيمته ، فقد أعلن الـكاهن كالـكاس ان أياس ان خرج اليوم من خيمته فهو قاتل نفسه ، وتأمر تكمسا الجوقة ان تتفرق فيذهب بعضها الى الشرق ، و بعضها الى الغرب باحثاً عن أياس ، وتعلن أنها ذاهبة من جهة أخرى و يتفرقون .

الفصل الرابع

المنظر الاول

أياس وحده

اذا لم اكن قد اخطأت فان هذا السيف القاطع قد رق حدّاه وأصبح لا يصيب إلا قتلـاً . يا لك من هدية مهلـكة أهداها اليَّ هكتور هذا التروادي الذي كنت اختصه من بين اعدائنا بأشد المقت والبغض . هذا هو

سيفه المحتوم قد أرهفت حـدّيه ، وغرزته في ارض ترواده . لقد اثبته في الارض ، فهو الآن قادر على ان يمنحني من غير عناء هذا الموت السريع الذي أطلبه وارغب فيه . لقد فعلت كل ما كنت استطيع ان افعل . اما الآن فان عليك يا ذوس ان تتم ما بقي وان تمنحني معونتك . لا اطلب اليك شيئاً ذا خطر أوصل الى توكروس هذا النبأ المحزن ، فنبأ موتي وليكن هو اول من يأتي ليواري جسم صديق قد ألقى بنفسه على سيفه الدامي . ليحذر كل الحذر ان يسبقه الى هذا الجسم أحد الأعداء فيطرحه طعمة للكلاب وسباع الطير : أي ذوس ، هذي هي صلاتي . ولكني انما اضرع الى هرميس هـذا الذي يقود الموتى في دار الجحيم ، ألا يكاد هذا السيف يخترق جسمي حتى يمهد لي الى الجحيم مهبطا سهلا هيناً . انما أدعو هؤلاء العذارى المعينات لا تغمض أعينهن عن البائسين ، ادعو آلهة الانتقام القاسيات المسرعات لينظرن الى هذا الموت الذي ألقاه في شقاء وسوء حال ، بيد ابني أتريوس . لعلهن ينلن هذين الرجلين الشريرين بسخطهن فيعدلن بين اثمهما وما يلقيان من عقاب !

انهن ليرينني أسلب نفسي الحياة بيدي ، فلعل هذين الرجلين يسلكان هذه الطريق التي أسلكها ، فيمزق كل منهما صدره ويجود بنفسه أمام أعز الناس عليه وأحبهم اليه . أقبلن اذا ايتها الآلهة المنتقمة ، أسرعن لا تبقين على شيء ، سلطن غضبكن على هذا الجيش كله . وانت ايتها الشمس تقود عجلتها على قبة السماء ، اذا بلغت مسقط رأسي حيث رأيت الضوء لأول مرة فأمسكي لجامك الذهبي ، والقي الى ابي الذي قد اثقلته السن والى امي التعسة ما لقيت من بؤس وما ادخر لي القضاء . يا لهـا من شقية ! بأي أنين سيمتلىء بيتها حين يبلغها هذ النبأ ! ولـكن ماذا أصنع ؟ لندع هذا البكاء لا يجدي شيئاً

ولنسرع الى اتمام ما بدأنا . يا للموت ! ياالموت ! أقبل الآن ، زرني ! لأساكننك هنا ولأ حادثنك عما قليل . ايها الضوء اللامع ، ضوء النهار ، ايها النور المشرق ، ايتها الشمس ، اني لأراك ، اني لأناجيك لآخر مرة ! ايتها الاسوار المقدسة ، أسوار سلامين وطني ؛ ايتها المنازل العزيزة ، منازل أجدادي ؛ ايتها المدينة الكريمة مدينة اثينا ؛ ايها الاصدقاء الذين قاسموني الغذاء ؛ ايتها العيون والأنهار والحقول تحيط بترواده ، اليكم أهدى التحية أي هذان اللذان منحاني الحياة ، في ذمة الآلهة : هذه آخر كلمة يوجهها اليكما أياس ، فلن ينطق بعدها في دار الجحيم .

(ثم يقتل نفسه)

* * *

ثم يقبل نصف الجوقة من جهة ونصفها من جهة أخرى آسفاً لما لقى من عناء من غير أن يستكشف شيئاً . وتقبل تكمسا فترى زوجها صريعاً فتصيح وتجيبها الجوقة ، وتبكيان أياس وتعولان لسوء حالهما . ويأتي توكروس فيتفجع ويتوجع ناعياً أخاه متخوفاً أباه ساخطاً على هذا السيف الذي أهداه هكتور الى اياس فاهدى اليه به الموت ، كما أن أياس اهدى الى هكتور حمالة واتخذها أخيل آلة لتعذيبه شده بها الى عجلته ، واخذ يجره جريحاً حتى مات ، وانه ليألم ويشكو اذ يقبل منيلاووس .

* * *

المنظر الخامس

مينيلاووس ـ توكروس ـ الجوقة .

منيلاووس ـ اليك أسوق الحديث . دع هـذا الجسم ولا تقدم اليه كرامة ما .

توكروس ـ ومن ذا الذي ألهمك هذا الحديث الباطل ؟

مينيلاووس ـ ألهمتني اياه ارادتى وارادة زعيم الجيش .

توكروس ـ أليس يمكنني أن أعرف لهذا مصدراً .

مينيلاووس ـ لقد كنا نخدع انفسنا بانا قد اصطحبنا الى هذا المكان صديقاً يدافع عن اليونان ويحمي حوزتهم ، فلم نجد فيه الا عدواً أشد علينا خطراً من أهل ترواده ، عدواً قد اقسم ليهلكن الجيش كله ودب اليه يوقع به في ظلمه الليل وينحره تهدئة لغضبه ، ولولا ان أحد الآلهة قد أخمد سخطه للقينا هذا الحتف الذي لقيه الآن . اذاً لهلكنا جميعاً وتمتع هو بالحياة . ولكن الهاً قد حول عنا ضرباته وأصاب بها القطعان والرعاة . فليس هنا من رجل مهما بلغت قوته يستطيع أن يمنحه القبر بعد هذه الجريمة المنكرة ، ليظلن جسمه طريحا بالساحل نهباً لطير هذه البحار . فكفكف اذاً من هذا الكبر ، تظهره وتباهي به ، فلئن عجزنا عن أن نخضعه حياً فنحن الآن قادرون على ان نحتكم فيه ميتاً . ولتكرهنك أيدينا على أن تنزل لنا عنه . ما اذكر انه أذعن في حياته لامر وجهته اليه ، وكذلك خلق الاشرار ، يأبون الطاعة لمن له عليهم السلطان وعلو المكانة . وكيف تضمن سلطة القوانين وسيطرتها

اذا لم يحملها الخوف ؟ وكيف تحسن قيادة الجيش إذا لم يكن زعيمه موضع المهابة والاجلال ؟ كل امرىء مهما نَبُهَ شأنه وعزت مكانته يجب أن يعرف ان أقل هفوة يهفوها ربما أهلكته . تعلم أن لا أمن لمن قادته الرهبة والإجلال . تعلم أن دولة يستطيع كل امرىء فيها أن يعلن كبريائه وصلفه من غير أن يخشى عقوبة ، هاوية من رفعتها لا محالة . فلنحتفظ اذاً بشيء من الخوف ليس منه بد لسلامتنا وعافية الدولة . ولا يمن أحد نفسه بأن يلذ و يسعد ظالماً من غير أن يلقى جزاء هذا الظلم من ألم وعذاب . فان الجريمة والعقوبة متوازنتان دائماً ، كلتاهما تعدل الاخرى . لقد كان أياس عنيفاً تياها ، فقد آن لي الآن أن اتكبر ، واني لأحظر عليك أن تتخذ له قبراً مخافة ان تهوي أنت الى قبرك ،

الجوقة — أي مينيلاووس ! انك لتضع قواعد ، ملؤها الحكمة فلا تكن فاجراً ولا تجحد حقوق الموتى .

توكروس — يا أهل سلامين ، لن يدهشني منذ اليوم أن ارى رجلاً خاملاً ليس بالنبيل ولا بذي النسب يخطىء أو يسقط في الاسراف ، حين أرى الآن من يزعمون لانفسهم النبالة والشرف ينطقون بمثل هذا الحديث . و لكن لنبدأ حيث بدأت . تزعم انك انما قدت هذا البطل ليكون مدافعاً عن اليونان ! ألم يكن اذاً مالكاً لامره حين أبحر معكم ؟ وكيف تزعم لنفسك السلطان على جيش قد جمعه من بلاده ؟ لقد اقبلت الى هذا المكان وأنت ملك سبرتا لا ملكنا . وما كان لك من الحق عليه شيء كما انه لم يكن له عليك من الحق شيء . انك لتطيع زعيما ، وان لك لطائفة من الجيش تذعن لامرك ، وما أرى أن الجيش كله خاضع لك ، وما أرى أن أياس مدين لك

بالطاعة . فأعلن سلطانك على الذين يعترفون به ، أعلنه فيما شئت من عبارة وقحة ، فاما أياس فمهما أبرقت وأرعدت ، ومهما شاركك في ذلك من زعماء الجيش ، فانا أعلم كيف اواريه وكيف أقوم له بالواجب الديني ، لاأخشى وعيداً ولا نذيراً فما حمل السلاح لينتقم لزوجك كغيره من مأجوريكم وانما اصطلى نار الحرب ليبر بيمين كان قد حلفها . ما عمل شيئاً من أجلك ، لقد كان يعتقد أن الناس ليسوا بذوي خطر ، والآن فاسرع الى القائد والى أبطاله فادعهم فمهما كنت ومهما فعلت فلن تظفر مني بشيء .

مينيلاووس — ما أشد بغضي لهذه الجرأة الشديدة ، تخالطها هذه الدناءة الشديدة .

توكروس — ربما ظهرت الصراحة مظهر الاهانة ، وان كان العدل يعينها و يؤيدها .

مينيلاووس — ان هذا لكبر عظيم لا يحسن بمن لا يجيد الحرب الا بالقوس .

توكروس — ليست اجادة الرمى فناً دنيئاً

مينيلاووس — الى أي حد تصل بك الغطرسة لو احسنت حمل الدرقة

توكروس — اني لأستطيع على خفة سلاحي أن أثبت لك وان ثقل سلاحك .

مينيلاووس — ان لسانك ليحسن التعبير عما يملأ قلبك من كبرياء .

توكرس — لنا أن نكبر اذا كان العدل لنا نصيراً .

مينيلاووس — أمن العدل ان ينتصر قاتلي .

توكروس — قاتلك ! ان هـذا لعجيب . أنت ميت ومع ذلك فما زلت حياً .

مينيلاووس — لقـد حفظ حياتي أحد الآلهة حين كدت أقضي بيد اياس .

توكروس — حسن ! فاشكر ذلك للآلهة الذين انت مدين لهم بالحياة .

مينيلاووس ـ وكيف استطيع ان ازدري قوانين الآلهة الخالدين .

توكروس ـ حين تعترض دون القيام بواجب الموتى .

مينيلاووس — لقد كان هؤلاء الموتى أعدائي ، فمن الحق على أن أحول بينهم و بين التكريم .

توكروس — ومتى كان اياس عدواً لك !

مينيلاووس — كان يضمر لي من البغض ما يعدل حقدي عليه ، انك لتعلم ذلك .

توكروس — لقد علم الناس جميعاً أنك اختلست فوزه .

مينيلاووس — ذلك خطأ القضاة ، لا خطئي .

توكروس — ان هناك لخيانات أخرى تستطيع أن تقوم بها سراً .

مينيلاووس — ربما كلفت هذه الالفاظ بعض الناس ثمناً غالياً .

توكروس — لئن استلزمت بعض الشر فمن الهين أن يجزي بمثله .

مينيلاووس — ليس لي الا كلمة واحدة : احذر أن تواري أياس .

توكروس — ليس لي الا جواب واحد: لأوارينه .

مينيلاووس — لقد رأيت رجلا عضب اللسان ، يشجع البحارة على أن يقلعوا أثناء العاصفة ، فما هي الا ان اشتد قصف الزوبعة حتى خفت صوته .

وحتى التف ّ في ثو به ، واستلقى على ظهره ، فالبحارة يطؤونه بأقدامهم ، ذلك شأنك ، لغط كثير ، وسفه عظيم ، وجرأة لاحد لهـا ، ولـكن هذا كله ، سيخمد حين تناله أيسر ريح تبعثها سحابة هينة .

توكروس — اما انا فقد رأيت مجنوناً يهين جيرانه في آلامهم ، فيقول له رجل يشبهني ، حظه من الشجاعة قليل كحظي : أيها الرجل ، إحذر أن تهين الموتى ، والا فثق أن العقوبة نازلة بك . هذه هي النصيحة كان يهديها الى هذا الرجل الدنىء الذي تراه عيناي الآن ، والذي يخيـل اليَّ انه ليس الا إياك . أترى في هذا شيئاً من الخفاء ؟

مينيلاووس — لأمضين فاني استخزى أن يراني الناس ، أعاتب باللسان حين استطيع أن أستخدم القوة .

توكروس — إمض اذاً فأشد من ذلك خزياً ان اسمع المجنون ينفق وقته في لغو الحديث .

* * *

ثم تحث الجوقة توكروس على أن يسرع بمواراة أخيه قبل أن تحول قوة اليونان بينه و بين ذلك . ويأتي ابن اياس وزوجه فيأمرهما توكروس أن يلتزما الجثة ، و يأمر الجوقة أن تحرسها حتى يعود . ويمضي باحثاً عما لا بد منه لدفن أياس . وتتغنى الجوقة سخطها على الحرب ومن اخترعها ، وأسفها على ما تعاني من بعد عن الوطن وفراق لما فيه من لذة .

الفصل الخامس

يأتي توكروس وأجا ممنون ، فيشتد بينهما حوار كالذي ترجمناه آنفاً ، ثم يأتي أودسيوس فينصح لأجا ممنون ان يسمح بدفن اياس ، و يعترف بانه بعد أخيل اشجع اليونان وأكرمهم ، وان حرمانه شرف القبر انتهاك لحرمة الآلهة .

* * *

أجا ممنون — ماذا ! أأنت الذي يعينه عليَّ !

أودسيوس — لقد كنت ابغضه حين كنت استطيع البغض .

أجا ممنون — أليس من الحق عليك أن تهينه ميتاً كما افعل ؟

اودسيوس — يا اتريوس ، لا يغرنك ما لك عليه الآن من فضل غير مشرف .

أجا ممنون — ليس من اليسير على الملوك أن يتبعوا العدل دائماً .

أودسيوس — من اليسير عليهم أن يسمعوا لنصح الأصدقاء .

أجا ممنون — ان من حق الرعية المخلصة أن تطيع ذا السلطان .

أودسيوس — قف . أليس من الحكم ان تذعن لنصيحة الأصدقاء ؟

أجا ممنون — أتذكر حال هذا الذي تريد أن تكرمه الآن .

أودسيوس — لقد كان عدوي ، ولكنه كان كريماً .

أجا ممنون — ماذا تزعم ؟ اتزعم إجلال عدو قد مات !

أودسيوس — ان فضيلته لأشد قوة من بغضي .

أجا ممنون — لقد رأيت رجلا شديد الميل الى أن يتغير رأيه .

اودسيوس — إن من الناس مَن هم اصدقاؤك اليوم واعداؤك غداً .

أجا ممنون — أتود ان يكون لك مثل هؤلاء الأصدقاء ؟

اودسيوس — لا اريد أن يكون لي صديق لا يلين .

أجا ممنون — لتكونن سبباً في أن ينظر الينا اليونان نظرهم الى الجبناء .

اودسيوس — كلا . بل نظرهم الى من يؤثر العدل .

أجا ممنون — اذاً فانت تريد ان أدع هذا الجسم يوارى .

اودسيوس — من غير شك ، ما دام يجب أن اهبط انا الى القبر .

أجا ممنون — كذلك لا يعمل الانسان الا ذاكراً منفعته .

أودسيوس — وأي منفعة يجب أن اذكر اذا لم اذكر منفعتي اولا ؟

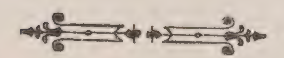
أجا ممنون ـ سيقولون إن مواراته اثر من آثارك لا من آثاري .

اودسيوس ـ لتنالان من الشرف بمقدار عملك .

أجا ممنون ـ اذاً . فثق بأن ليس هناك ما لا تستطيع أن تناله مني . ولكن اياس سيظل لي عدواً في الجحيم كما كان على الارض . لك أن تفعل ما تريد .

❊ ❊ ❊

ثم تشكر الجوقة وتوكروس اودسيوس على صنيعه ، و يود هذا لو شاركهم في إقامة القبر لاياس ولكن توكروس يأبى مخافة أن يؤذي أخاه . فينصرف أودسيوس و يأخذ توكروس و من معه في مواراة القتيل .



انتيجونا

الاشخاص :

انتيجونا } ابنتا اوديبوس
اسمينا }

كريون ــ ملك طيبة

اوروديس ــ زوج كريون

هيمون ــ ابن كريون

تيريزياس ــ الكاهن

رسول

حارس

عبد

الجوقة ــ تتألف من شيوخ طيبة

تقع القصة في طيبة ، في مدخل القصر

الفصل الاول

المنظر الاول

انتيجونا واسمينا

انتيجونا — ايتها العزيزة اسمينا ، ايتها الأخت العزيزة ، تعرفين عدد الآلام ومقدار الشقاء الذي اورثناه أويدبيوس، والذي اراد ذوس ان ينغص به حياتنا كلها . لقد كان يخيل ان لم يكن من الآلام والمصائب ما يبلغ مبلغ ما لقينا قسوةً وخزياً ، ولكن أتعلمين أن الملك قد نشر في المدينة كلها أمراً جديداً ؟ أسمعت به أم لا تزالين تجهلين المخازى التي يعدها أعداؤنا لمن هم علينا أعزاء ؟

اسمينا — والهفتاه ! ايتها العزيزة انتيجونا لم يصل اليّ عن احبائنا وما أضمر لهم القضاء خبر حسن أو سيء منذ حرمنا في يوم واحد أخوينا ، وقد جادا بنفسهما معاً في أثر ضربتين تبادلاهما ؛ ولم اعلم بخير ولا بشر منذ استخفى جيش الارجيين في ظلمة الليلة البارحة .

انتيجونا — لقد كنت اعلم ذلك ، ولأجل أن أنبئك النبأ ولأتحدث معك بمعزل عن راءٍ أو سامع دعوتك الى الخروج من القصر .

اسمينا — ماذا تريدين أن تنبئيني ؟ يخيل اليّ أن أمراً ذا بال قد شغلك واستولى عليك .

انتيجونا ـ ماذا ؟ ألم يمنح كريون أحد اخوينا ما حرمه على الآخر من شرف القبر ؟ لقد وفي بحق العدل والقانون (كما يذيعه أبناء طيبة) فامر أن

يوارى ايثيوكليس في التراب ، وأن يؤدى اليه من الواجبات الدينية ما يسر نفوس الموتى ؛ بينما أعلن الامر ألا يدفن الشقي پولينيس ولا يبكى ، وأن يترك من غير أن يقبر أو تؤدي اليه فروض الدين نهباً لسباع الطير التي تتأهب لافتراسه . هذا ما أنبئتُ أن كريون ذا القلب الكريم سيعلنه اليك والي أجل الي انا . سيأتي هنـا ليثبت امره أمام من يجهله ، وهو أمر ليس بذي الخطر القليل ، فان من خالفه أو حاول الخروج عليه فهو واثق بانه سيلقى أقصى انواع العذاب وسط المدينة و بمشهد من مواطنيه . هذا ما يعدون لك وعما قريب ستظهرين أفك خليقة بهذا الدم الطاهر الذي منحك نعمة الوجود .

اسمينا ـ واحسرتاه ! اني لشقية تعسة ! ماذا عسى أن أوثر بعـد أمرٍ كهذا ؟ أأذعن له أم أنبو عليه .

انتيجونا — روّي ؛ اتريدين أن نعمل معاً .

اسمينا — الى أي خطر تريدين ان تلقي بنفسك ، وماذا تديرين في خلدك .

انتيجونا ـ روّي ؛ اتعينينني على ان ندفن هذه الجثة .

اسمينا — اتزعمين مواراة من قد حظر على النـاس هنا ان يخصوه برحمة أو اشفاق ؟

انتيجونا — اريد ان اواري اخي وأخاك ، أجل هو اخوك وان جحدت ذلك وانكرته، وكذلك لن يلومني الناس لاني تركته غير مقبور .

اسمينا — ماذا ! أي انتيجونا التعسة ! اتقـدمين على ذلك رغم أمر كريون !

انتيجونا — ألهُ الحق ان يقطع ما يصل بيني و بين ذويَّ

اسمينا — آه ! تدبري ايتها الأخت ، ان ابانا وقد اثقله العار والبغض قد قضى ان فقأ عينيه بيده معاقباً نفسه على ما اقترف من اثم حين عرفه ؛ وانه لم يكد يفعل ذلك حتى استعافت هذه الملكة التي قضى عليها الشقاء المضاعف ان ترى نفسها فى وقت واحد اماً وزوجاً حبلاً مشؤوماً يستنقذها من آلام الحياة ، ثم ان اخوين تعسين قد قتل كل منهما صاحبه وقضى عليهما موت واحد في يوم واحد . والان وقد مكثنا وحيدتين في اسرتنا فانظري اي آخرة سيئة تنتظرنا ، اذا اجترأنا خارجتين على القانون أن نخالف أمر السلطان ذى القوة والبأس . فكري في انه ليس للنساء ان ينصبن الحرب للرجال ، وان الذين يأمرون اشد منا قوة وان علينا ان نذعن لما يريدون ولو انه كان أشق علينا وأعظم في نفوسنا اثراً . اما انا فسأتوسل ما استطعت الى الموتى ان يغفروا خطيئتي ولئن خنعت للقوة فانا مطيعة لمن بيدهم السلطان ، فان من الخطل ان يعرض الانسان لما لا يستطيع انفاذه .

انتيجونا — لن الح عليك بعد ، ولئن اردت الآن ان تشاركيني فيما اريد ان افعل فانا لهذه الشركة رافضة ، افعلي ما تؤثرين . اما انا فمُوارية اخي فاذا اديت هذا الواجب فما أجمل بي أن اموت ولئن مت فانما انا صديقة لحقت بصديقها سأؤدي واجباً عدلا ملؤه التقوى لان الوقت الذي سأروق فيه الى الموتى ، أطول من الوقت الذي سأروق فيه الى الاحياء ، فسأكون قرينته أبد الدهر أما انت فان شئت فازدري ما يجل الآلهة .

اسمينا — بعيد ما بيني وبين هذا الازدراء ، ولكني أضعف قوة من ان خرج على الدولة .

انتيجونا — اتخذي لك من هذه المعذرة وقاية ، بينما أحاول انا تأدية

الواجب ، واقامة القبر لهذا الأخ العزيز .

اسمينا — لهف نفسي عليك ايتها الأخت الشقية ! ان فرائصي لترتعد اشفاقاً عليك !

انتيجونا — لا تشفقي على حياتي ، واجتهدي في المحافظة على حياتك .

اسمينا — ولـكن على أقل تقدير لا تبيحي سرك لأحد ، اكتميه على الناس كما سأ كتمه انا ايضاً .

انتيجونا — كلا ، كلا ، سارعي الى افشائه . انك لتسيئين اليّ بكتمانه اكثر مما تسيئين اليّ باذاعته .

اسمينا — انك لتسرفين في العناية بجسم هامد .

انتيجونا — ولـكني اعلم ان ذلك يروق من اريد ان ارضيهم .

اسمينا — نعم ، اذا استطعت تنفيذ ماتريدين ، ولكنك تحاولين محالا .

انتيجونا — لا بأس . سأقف حيث تنتهي قواي .

اسمينا — خير لك ان تبدأى بأن لا تحاولي ما لا تستطعين .

انتيجونا — كلما حاولت سلوك هـذه الطريق بعثت سخطي عليك واستوجبت من اخيك عداءه العدل . دعيني وما احاول ، الق ما يضمر لي القدر . فليس من المصائب والآلام ما يحول بيني و بين ما اطاب من موت ماجد .

اسمينا — دونك وما تريدين ما دمت عليه حريصة ولـكن لا تنسي حين تقدمين على هذا الخطل انك لا تزالين عزيزة على اصدقائك .

المنظر الثاني

الجوقة وقد دخلت الملعب

أي أشعة الشمس النقية ، وعين النهار المبصرة ، ها أنت تلك تعودين الى الاشراق يجلوك ضوء شديد البهجة والرواء ، على طيبة ذات الابواب السبعة . تمشين فوق ينابيع ديركا وتحملين على الهرب والفرار في ضجيج وعجيج ، هذا الارجى تحميه درقة لامعة . أدرستوس هذا الذي اقبل في عدد وعدة يحصر اسوارنا . لقد كان يشتعل غيرة وحماسة منتصراً لمزاعم بولينيس ، لقد طار يمشي ممزقاً الهواء بصراخه كالنسر ينقضُّ على فريسته ، وقد بسط جناحيه يجلوهما بياض البرد . يتبعه جمعٌ ضخم من السلاح والخوذ . وقف الى اسوارنا وقد احاطت به أسنته عطاشاً الى دمائنا . لقد كان يخيل الى من يراه انه يوشك أن يلتهم ابواب المدينة . ولكنه اختفى قبل ان تنقع دماؤنا غلته ، وقبل أن تحيط نيرانه الملتهبة ببروجنا ومعاقلنا ، لان اريس صديق الثعبان الذي كان يهاجمه هذا العدو قد ملأ اذنيه بما أحدث من ضوضاء . ان ذوس ليمقت الغطرسة والكبرياء ، لقد رأى امواج الارجيين تسعى اليها حثيثة وقد زهاهم صرير اسلحتهم الذهبية . فارسل على احدهم صاعقته الملتهبة حين كان يمني نفسه أن يتغنى على اسوارنا نشيد الانتصار . انظر الى هذا البطل في يده جذوة من النار وقد خرّ صعقاً ، هذا الذي قد كان منذ حين مقداما شديد الجرأة كأنه الزوبعة القاصفة . ما اسرع ما تغير كل شيء ، وما اسرع ما القى أريس ذو القوة والبطش مقاتلا في ميمنتنا على صفوف اعدائنا ما كانوا قد اعدوا من شر ووبال .

لقد ترك الزعماء السبعة الذين كانوا يحاربون مثلهم من زعماء طيبة لنا اسلحتهم اللامعة ، لنرفعها آية مجد وعز الى ذوس منتصراً ولم يبق الا هذان الشقيان منحهما الحياة دم واحد فامضى كل منهما رمحه في صدر صاحبه ، وكان لهما من الموت مورد واحد . ولكن النصر الذي يخلد الاسماء قد زار طيبة فانزل فيها الفرح والسرور ، منزل الحزن والالم . اذاً فدعوا عنكم ذكرى الحرب يا معشر ابناء طيبة ! ولنذهب الى معابد الآلهة فنقبلها طوال الليل وليقم دين ذوس بعد ان امدنا جميعاً بنشوته من العابنا مقام الرئيس . ولكن هذا كريون بن مينيوكيوس ملكنا الجديد الذي دولته أمورنا نعمة الالهة انه ليقبل وكأنه يدير في خلده امراً ذا خطر فان امراً منه قد جمعنا الآن ليؤلف منا مجلس شوراه من جماعة الشيوخ .

المنظر الثالث

كريون والجوقة

كريون — أيها الشيوخ ، لقد انقذ الآلهة من الغرق هذه المدينة التي كانت تكتنفها زوبعة قاصفة ؛ وقد اردت أن اجمعكم هنا خاصة دون بقية المواطنين لاني اعلم مقدار ما تضمرون وتعلنون من الاجلال لصولجان لايوس ؟ واعلم ايضا مقدار ما احتفظتم به من الوفاء لاويديبوس في حياته ولابنائه من بعده . أما الآن وقد قضى كل من الغالب والمغلوب على صاحبه فقتل الرجلان وقضى عليهما قضاء واحد فانا صاحب الملك بحق الوراثة .

ليس من سبيل الى أن تعرف نفس الرجل وذكاؤه واخلاقه اذا لم يجلس

مجلس الحكم ، ولم يوكل اليه تدبير الدولة وحماية قوانينها . أما انا فاعتقد وقد اعتقدت دائما أن ذلك الرجل الذي يكلف الحكومة وحماية القوانين فلا يقف نفسه على النصح للدولة وتضحية كل شيء في سبيلها بل يمنعه الخوف من ذلكم ، أعتقد أن هذا الرجل شرير ممقوت ؛ ولا استطيع الا أن ازدري ذلكم الذي يؤثر منفعة الصديق على منفعة الوطن . يشهد عليَّ بذلكم ذوس الذي يحيط بكل شيء ، لن أخفي ما يحدق بالمدينة من خطر أو يهدد راحة مواطني ، ولن يكون صديقا لي من هو للدولة عدو ، فاني واثق كل الثقة أن سلامتنا في سلامة الدولة ، وأن وجود الاصدقاء ميسور اذا جرت سفينة المدينة آمنة هادئة .

على هذه القاعدة اريد أن ارفع شأن الدولة وأوفر عليها أسباب النعيم ومن هذه القاعدة نشأ ما أصدرت من الامر في شأن ابني أوديبوس أريد ان يقبر ايثيوكليس الذي امتاز بالشجاعة والاقدام و وقف بيننا موقف المدافع عن وطنه ، وان تقام له الواجبات الدينية التي تؤدى الى نفوس عظماء الرجال ، أما پولينيس الذي خرج من وطنه طريداً فعاد اليه ومعه جيش من العدو ليدمره ويحرق اسواره وآلهته ، وليجعلنا ارقاء ولينقع غلته من دمائنا فقد امرت ان لا يدفن ولا يبكى . وان يكون جسمه بالعراء فريسة للكلاب وسباع الطير ، ذلكم ما اريد وما آمر به . فلن تنال الجرائم مني من المكافأة والجزاء ما هو موقوف على الفضيلة ، فمن أبلى في خدمة وطنه بلاء حسناً فله مني الشرف وحسن المكافأة حيا وميتا .

الجوقة — يا ابن مينيوكيوس ! ما احسن ما ادخرت لعدو الدولة وصديقها

من جزاء انك لتملك تدبير القوانين وانا على اختلاف طبقاتنا لخاضعون لها اثناء الحياة و بعد الموت .

كريون — اذاً فاحرصوا على تنفيذ ما امرت به .

الجوقة — كاف هذا الواجب من هم اشد منا قوة وا كثر شباباً .

كريون — قد كلفت من يجب عليهم حراسة جسم پوليبنيس وهم الآن يقومون بعملهم

الجوقة — اذاً فماذا تريد منا ؟

كريون — أن لا ترقوا ولا تلينوا لمن يخرج عن امري .

الجوقة — ليس بين الناس من فقد الرشد ، الى حيث يسعى الى الموت

كريون — هذا في الحق جزاء المخالفين ، ولكن الأمل يذكيه حب المال كثيراً ما ساق الناس الى الموت .



المنظر الرابع

كريون . حارس والجوقة

الحارس — لا اقول لك اني قد طرت الى هذا المكان سريع الخطى ، فان الخواطر المختلفة التي كانت تملأ نفسي في هذه الطريق قد اضطرتني الى ان ارجع ادراجي اكثر من مرة .

فقد كان قلبي يحدثني مرة قائلاً : ايها الشقي ! ما بالك تسرع الى ما ينتظرك من العقاب ؟ ومرة أخرى : ايها التعس ! ماذا يقف بك ؟ لو ان كريون علم هذا النبأ من غيرك ، فاي عذاب قد قدر لك ؟ وانا في هذا الاضطراب والتردد لم اكن اتقدم الا بطيئاً . فان اقصر الطرق يطيله مثل هذا التردد . وبعد فقد اكرهت نفسي وأتيت .

سأتكلم وان كنت لا أستطيع ان اشرح لك شيئاً ، فاني قد جئت وانا واثق اني لن القى إلا ما قدره لي القضاء .

كريون — ما مصدر هذا الاضطراب الذي اراك فيه .

الحارس — سأتكلم عما يتعلق بي فلست انا مقترف الذنب . ومن الجور ان أعاقب على ما لم أقترف .

كريون — انك لحسن السعي الى غايتك ، وانك لتحسن الحيطة والاحتراس ، ولكن يخيل لي انك تحمل اليّ نبأً جديداً .

الحارس — ليس من اليسير أن يسرع المخبر اذا كان يحمل نبأً سيئاً

كريون — وبعد فأدل بما عندك ثم انصرف اذا اديت رسالتك .

الحارس — لك الطاعة . قد دُفنت الجثة ، ووُوريت في التراب ، واقيمت الواجبات العادية ، واستخفى من أقامها .

كريون — ماذا تقول ؟ وأي الناس استطاع أن يجرأ على هذا ؟

الحارس — لا ادري ، فلم يظهر لنا ان الارض في هذا المكان قد احتفرت أو عملت فيها الفؤوس ، لقد كانت كما هي مستوية يابسة . ويخيل الينا انها لم تتأثر بمرور وعجلة ما . وعلى كل حال فلم نجد أثراً ما يدل على مقترف الجريمة . لم يكد ينبئنا بذلك الحارس الذي كانت عليه النوبة مطلع الفجر ، حتى رأينا فيه معجزةً ليس الى تصورها من سبيل . قد اختفى الجسم ولم يكن مدفوناً انما كان يواريه بعض التراب ، كأنما اراد المجرم ان يتقي الخطيئة ليس غير . ولم يكن يظهر من الآثار ما يدل على ان الكلاب الجياع أو السباع المفترسة قد اقبلت تتخذ هذا الجسم نهباً . لم نكد نعلم بذلك حتى أخذ بعضنا يهين الآخر ، كل يتهم صاحبه . لقد كدنا نقتتل ، ولم يكن بيننا من يستطيع ان يمنعنا من ذلك ، كلنا كان مجرماً ، ومع ذلك فليس منا من يظهر انه مجرم ، أو من كان يمكن اتهامه بذلك من غير شك . لقد كنا جميعا مستعدين لأن نأخذ الحديد الملتهب بين أيدينا ، وان نمشي على النار وان نقسم بالآلهة ، انا لا نعرف من أمر هذه الجريمة شيئاً ، لم نشعر باعدادها ، ولم نشهد تنفيذها . فلما أيسنا من استكشاف أي شيء عرض احدنا علينا رأيه جمدت له الدماء في عروقنا هلعا وغضت له أبصارنا ، فقد كنا لا نستطيع انكاره ولا نستطيع تنفيذه من غير أن نتعرض للهلكة . كان هذا الرأي ألا نخفى عليك شيئا وان نفضي اليك بكل ما جرى . أجمعنا على قبول هـذا الرأي ، ووقع اختيار الحظ عليّ انا الشقي التعس ، لأحمل اليك هذا النبأ السعيد . كذلك أجدني

هنا الآن على كره مني وعلى كره منك ايضا ، فليس مما يبعث على الرضى والاستبشار حمل الانباء السيئة .

الجوقة — مولاي ! اني لاسأل نفسي حائراً، أليس هذا الامر عمل الآلهة

كريون للجوقة — دعوا هذا اللغو الذي يثير غضبي ، ولا يدل الا على تقدم سنكم وضعف قواكم العقلية . ومن ذا الذي يستطيع ان يسمعكم تقولون ان الآلهة قد نزلوا الى العناية بهذا الميت ؟ اتظنون اذاً ان الآلهة قد حرصوا على أن يشرفوا تشريف الاخيار، فواروه وهو الشقي الآثم الذي جاء ليحرق صورهم وتماثيلهم، ويدمر أرضهم وقوانينهم ؟ أرأيتم قط ان الآلهة شرفوا مجرماً؟ كلا كلا ، ولكن هذا عمل الساخطين الذين يهزون رؤوسهم سراً وينالونني بالذم، والذين لا يذعنون لحكمي الا كارهين، ولا يضمرون لي الا العداوة والبغضاء . هؤلاء هم الذين واروا هذا المجرم رغبة في المكافأة . ذلك شيء لا اشك فيه، فان المال أشد ما اخترعه الانسان خطراً . المال يدمر المدن ويفني الدول ، ويفسد الطبائع الخيرة فيجعلها شريرة آثمة ، هو الذي ألهم الناس كل خيانة ، وحملهم على كل جور ولكن الذين باعوا انفسهم واقترفوا هذا الاثم انما أعدوا لانفسهم عذاباً اليماً عهدهم به غير بعيد .

أجل اذا كان من الحق اني لا أزال أكبر ذوس وأجله فثقوا (وانا مقسم لكم بهذا) انكم اذا لم تستكشفوا المجرم ولم تقودوه بين يدي ، فالموت وحده لا يكفي لعقابكم . يجب أن تصلحوا ما قدمتم اليَّ من الاساءة معلقين في الهواء احياءً ،

سترون الى أي حد يجب ان تمتدَّ منافعكم، والى اي حد يجب ان ينتهي شرهكم ، فقد أرى ان المنفعة غير المشروعة تضيع اكثر الناس .

الحارس — أيتاح لي ان اتكلم ايضاً ؟ ام يجب عليَّ ان أعود ادراجي؟

كريون — ألم تعلم بعد ان كلامك يؤذيني أشد الايذاء ؟

الحارس — أيؤذي كلامي أذنك أم قلبك ؟

كريون — ماذا ! أتسأل أين مقر حزني ؟

الحارس — قد جرح المجرم قلبك ، أما انا فلم أسئ إلا إلى أذنيك .

كريون — إنك لراغٍ ثقيل .

الحارس — ولكني بريء من الاثم .

كريون — انك لتستطيع أن تبذل حياتك في سبيل المال .

الحارس — ان الظن لاثم عظيم اذا لم يتم على أساس متين .

كريون — انثر بيننا الآن فرائد الحكم ، ولكن ثق بانكم اذا لم تقودوا الي المجرم فستعلمون أن الربح غير المشروع يستتبع العذاب الشديد .

الحارس — لعل الآلهة تمكننا من استكشافه ! (يكلم نفسه) ولكن سواء استكشف أم لم يستكشف (فان المصادفة وحدها صاحبة الكلمة في ذلك) فلست اخشى أن تراني هنا . لقد نجوت رغم مخاوفي، وما كنت آمل النجاة فلأشكر ذلك للآلهة .

الجوقة — لقد ملئ العالم بالمعجزات، ولكن لا أشد اعجازاً من الانسان . هو الذي يستعين الهواء القاصف على أن يطير بعد ان اتخذ للسفن أجنحة فيعبر البحر الملتطم وهو يبيض من حوله . هو الذي يستخدم الخيل والمحراث ليمزق في كل سنة جوف الارض . هذه الإلـهة الجليلة التي لا تعيى ولا ينالها الفساد . هو الانسان حوَّلٌ يوقع في ثنايا شباكه انواع الطير الهوج وانواع الحيوان المفترس ، و بنات البحر . يذلل بمهارته أشد سكان الغابات وحشية

ويستخدم اسلطانه السوابق ذات الأعراف العراض، وثيرة الجبال تأبى على من يريد تذليلها . تعلم المنطق ، وعرف مذاهب الريح ، أدرك سلطان القوانين على المدن ؛ عرف كيف يقي مساكنه سهام البرد والرطوبة ؛ سبر كل شيء بتجربته . ووجد من الحيل ما يتقي به احداث الزمان ؛ واستكشف ما يحول بينه وبين أشد العلل قسوة واعظمها فتكا : الموت وحده هو العلة التي لم يستطع أن يجد عنها محيصاً . على ان مهارته وافتنانه في الحيلة لا تطيعان أمله دائماً ، فهما ان اعانتاه على ادراك الخير ، فقد توقعانه في الشر . خليق بالشرف والكرامة في وطنه هذا الرجل وحده الذي يجل قوانين بلده وعدل الآلهة المقدس : فمن جرأ على مخالفتها والخروج عليها فليس من وطنه في شيء . وددت لو لم تجمع بيني وبينه دار ، ولم تصل بيني وبينه صلة ، ولكن أي معجزة أشهد ! كيف استطيع أن اناقض عيني ولا اعرف انتيجونا ؟ فتاة شقية لأب منكود ! ماذا ! أأنت التى خالفت عن امر الملك ! أنت التي جنيت هذه الجناية الحمقاء ! أنت التى تقاد !

الفصل الثاني

المنظر الاول

انتيجونا ، الحارس والجوقة

يبتدأ الفصل الثاني وقد اقبل الحارس يقود انتيجونا ، وجاء كريون فسأله عن امرها فينبئه الحارس أنها هي التى اقترفت الاثم ، وانها قد اقترفته

مرتين، فقد كان الحرس قد نبشوا عن جسم پولينيس ما كان يواريه من التراب، فاعادت انتيجونا مواراته ، وأخذت وهي تصب عليه بعض الخمر (كما يقضي به الواجب الديني) . فيدور بين كريون وانتيجونا هذا الحديث :

كريون — ماذا ! أتظلين مطرقة الى الارض من غير أن تنكري ما ما تؤخذين به !

انتيجونا — كلا ، بل انا اعترف به وانا ابعد الناس من انكاره

كريون (الى الحارس) — انصرف واذهب حيث شئت فلا بأس عليك . (الى انتيجونا) أما انتِ فأجيبيني من غير محاولة ؛ أتعلمين اني قد كنت حظرت مواراة پولينيس

انتيجونا — نعم ، اعلم ذلك : وهل كان يمكن أن اجهله ؟ وقد أعلن الى الناس كافة .

كريون — وكيف جرأت على مخالفة هذا الامر ؟

انتيجونا — ذلك لانه لم يصدر عن ذوس، ولا عن العدل مواطن آلهة الجحيم، ولا عن غيرهما من الآلهة الذين يشرعون للناس قوانينهم ؛ وما أرى أن أوامرك قد بلغت من القوة بحيث تجعل القوانين التي تصدر عن رجل أحق بالطاعة والاذعان، من القوانين التي تصدر عن الآلهة الخالدين، تلك القوانين التي لم تكتب والتي ليس الى محوها من سبيل.

لم توجد هذه القوانين منذ اليوم ، ولا منذ أمس، هي خالدة أبدية وليس من يستطيع أن يعلم متى وجدت . ألم يكن من الحق عليَّ اذاً أن أذعن لامر الآلهة من غير أن اخشى احداً من الناس ؟ قد كنت أعلم انى ميتة وهل

كان يمكن أن اجهل ذلك حتى لو لم تنطق به ؟ لئن كان موتي سابقاً لاوانه فما أرى في ذلك الا خيراً .

ومَن ذا الذي يعيش من الآلام في مثل هذه الهوة التي أعيش فيها ثم لا يرى الموت سعادة وخيراً . فانت ترى أني لا ارى هذه الآخرة كأنها عقوبة ؟ ولقد كنت اتعرض لما هو أشد لنفسي إيذاء لو اني تركت بالعراء أخاً حملته الاحشاء التي حملتني .

ذلك وحده هو الذي كان يجعلني نهب اليأس والقنوط ، أما ما دونه فما كان ليحزنني أو يؤثر فيّ . فاذا قضيت بعد ذلك على ما فعلت بأنه نتيجة جنون ، فمثل هذا القضاء لا يصدر الا عن احمق مأفون .

الجوقة — ان اخلاق أوديپوس لتظهر واضحة في هذه الاخلاق شدة لا تعرف اللين وعزة لا ينال منها الشقاء .

كريون للجوقة — ثقوا بان هذه الانفس الانفة سريعة الانكسار . ألا ترون إلى الحديد على شدته وصلابته كيف تعمل فيه النار فتلينه وتثنيه . أليست أقل شكيمة تكفي لتذليل أشد الجياد إباء وشموساً ؟ مثل هذا الكبر لا يحسن بمن كان عبداً لذوي قرابته . قليل ما فعلت من مخالفة القانون فهي تجرأ على معارضتي وتضيف الى هذه الاهانة اهانة أخرى فتعجب بما فعلت . اذاً فمن الحق عليّ أن لا اكون رجلا وان تكونه هي لو اني تركتها تستمتع بما انتحلت من السلطان من غير أن تلقى في ذلك ما هي اهل له من العقاب . . . نعم ستلقى ما هي اهل له من العذاب ولو وصلت بينها وبين إلهنا المقدس (ذوس حامي الأسرة) أوثق الصلات ، ستلقاه هي واختها ، فلا شك في أن اختها قد قاسمتها ما اقترفت من اثم . فعليّ بها . لقد رأيتها منذ حين وانها لتكاد تفقد

الرشد . ان قلباً يدبر الجريمة في الخفاء ، ينمّ على نفسه من غير عناء . ما أشد بغضي لهؤلاء الذين يؤخذون وهم يقترفون الاثم فيحاولون تزيينه وتنميقه .

انتيجونا — أتتمنى اكثر من موتي .

كريون — لا ! تقر عيني حين أشهد مفارقتك لهذه الحياة .

انتيجونا — فما يمنعك من أن تأمر بها ، وما ينفعك هذا الكلام الذي لا طائل فيه ، والذي يزيد سخطي ، كما ان كلامي لا يستطيع ان يرضيك ؟ وأي مجد احب اليَّ من اني قد واريت اخي ؟ وأي مدح لا يهديه اليَّ السامعون لو لم يعقد ألسنتهم الخوف ؟ ألا ان اكبر مزايا الظلم ان يستطيع ان يقول ويفعل ما يريد من غير ان يخشى عقوبة .

كريون — اتظنين انك ابعد نظراً من اهل طيبة جميعاً ؟

انتيجونا — انهم يرون رأيي ، ولكنهم يلتزمون الصمت بين يديك

كريون — ألا يخزيك اذاً أن تسلكي سبيلاً غير التي سلكوها ؟

انتيجونا — ليس هناك ما يحمل على الخزي اذا شرف الانسان من يصل الدم بينهم وبينه .

كريون — ماذا ! أليس أخاك ايضاً هذا الذى مات في سبيل وطنه !

انتيجونا — هو أخي لابي وأمي .

كريون — فاي شرف آثم قدمت اليه ؟

انتيجونا — ليست هذه الشهادة هي التي انتظرها منه .

كريون — انك تسوّين بينه وبين المجرم .

انتيجونا — ان پولينيس اخو ايثيوكليس لا عبده .

كريون — لقد جاء يدمر وطنه بينما قاتل الآخر للدفاع عنه .

انتيجونا ـ سواء عليّ ذلك ، فاز أديس هو الذي يأمرني بتشريفهما جميعاً.

كريون — ماذا ! أيأمرك أديس بالتسوية بين الجريمة والفضيلة ؟

انتيجونا — ومن يدري ، أيقبل الموتى تمييزك بين الاشياء !

كريون — ان اعداءنا لن يصبحوا اصدقاءنا بعد الموت ؟

انتيجونا — ولدت لاحب لا لأبغض .

كريون — هذا حسن ، اذهبي الى الجحيم فاحبي من شئت . اما أنا فلن اذعن لسلطان امرأة ما حييت .

الجوقة — أرى اسمينا الحنون مشفقة على اختها ، قد انهمرت دموعها امام باب القصر ، قد ستر عينيها سحاب من الالم فغير وجهها فهو مصبوغ بالدم تنهل دموعها على خديها الاسيلين

المنظر الثالث

اسمينا والاشخاص السابقون

كريون — أقبلي ، انت التي تزحف كالثعبان محاولة من وراء ستار ان تنقع غلتها بدمي . ما كنت أعلم أني اطعم في بيتي عَـدُوَّيْن خطرين على دولتي : أقبلي ونبئيني : أشاطرت اختك دفن بولينيس أم تقسمين أنك لم تعلمي بهذا الامر ؟

اسمينا — هذا الامر ! لقد اخذت بحظي منه ولئن سمحت لي أختي بان اقول الحق ، فعليّ أن آخذ نصيبي من الذنب .

انتيجونا — العدل يحظره عليك ؛ لقد سألتك المعونة فابيتها ، وقمتُ بما قمت به منفردة .

اسمينا — ولكنني حين اراك شقيةً لا أتردد في أن اشاركك في الشقاء .

انتيجونا — لقد علم الجحيم وسكانه من قام بهذا العمل ، لا استطيع ان أحب من لا تتجاوز محبته الكلام .

اسمينا — لا تحرميني أيتها الاخت شرف الموت معك . واني قد قمت لأفي بالواجب الديني .

انتيجونا — اياك أن تموتي معي ، وأن تنتحلي لنفسك شرفاً لم تأخذي منه بنصيب . موتي وحدي يجب أن يكفي .

اسمينا — كيف أن استطيع أن أحب الحياة اذا فرَّق الدهر بيني وبينك .

انتيجونا — اطلبي ذلك الى كريون : فانت له شديدة الاخلاص !

اسمينا — لم تؤذينني بهذه السخرية المرة ؟ وما نفعها ؟

انتيجونا — لم اسمح لنفسي بذلك إلا راغمة متألمة .

اسمينا — ماذا عسى أن افعل الآن لانفعك ؟

انتيجونا — احتفظي بحياتك فلست احسدك عليها .

اسمينا — اني لشقية تعسة ! ماذا ! أليس لي أن اقاسمك ما قدره القضاء .

انتيجونا — قد آثرتِ الحياة وآثرتُ أنا الموت .

اسمينا — لقد كنت أنبأتك بهذا كله .

انتيجونا — تعجبين بما في كلامك من حكمة وأنا اعجب بما في كلامى من غناء .

اسمينا ــ آه ! لقد استوى حظنا من الجريمة .

انتيجونا ــ طيبي نفساً بالحياة . لقد ماتت نفسي منذ أمد بعيد واصبحت لا تنفع الا الموتى .

كريون — لست أخشى أن أقول ان هاتين الاختين لمأفونتان . إحداهما كانته دائماً والاخرى قد بدأت تكونه منذ الآن .

الفصل الثالث

المنظر الاول

كانت انتيجونا خطيبة هيمون بن كريون فلما علم هيمون بما اصاب خطيبته اقبل الى ابيه فيتلقاه هذا بشيء من اللطف والبشاشة ، وبكثير من النصح يدعوه الى أن يعدل عن حب انتيجونا لانها منذ خالفت القانون قد أصبحت غير اهل لان تكون زوجاً . وترى الجوقة ان الملك قد تكلم فاحسن الكلام ثم يجيب هيمون أباه فينصحه بالعدول عن قتل انتيجونا لان الشعب يرى رأيها وان كان يخشى أن يجهر بذلك وترى الجوقة أن هيمون قد أحسن النصيحة ايضاً وتدعو الاب وابنه الى أن يتفقا وأن يذعن كلاهما لرأي صاحبه ان ظهرت فيه الحكمة .

كريون ــ كيف ! الآن وقد بلغتُ هذه السن يجب أن اتلقى دروس الحكمة من هذا الغلام الحدث !

هيمون — ما شبابي ؟ لا تنظر الى سني ، ولكن انظر الى نصيحتي .

كريون — بم تنصح لي ! بأن اشرف من يخرج عن القانون !

هيمون — لم ادعك الى تشريف الاشرار .

كريون — أليست انتيجونا اهلا لهذا الوصف ؟

هيمون — ليس هذا ما يقوله اهل طيبة .

كريون — ألِأهل طيبة أن يملوا عليّ ما اصدر من أمر ؟

هيمون — لا تنس انك بعرشك حديث العهد .

كريون — وأي الناس غيري يستطيع أن يملك في هذه المدينة ؟

هيمون — ولكن الدولة لم تخلق لرجل واحد .

كريون — أليست الدولة لِمن يحكم ؟

هيمون — نعم ، هذا حسن ، ولكن البلد اذا كان خالياً مقفراً فعلى مَن تحكم ؟

كريون — أرى انه يجاهد في سبيل امرأة .

هيمون — ان اعجبك هذا الاسم ؟ فاني انما أجاهد في سبيل منفعتك .

كريون — شقي ! أتجرأ على ان تتهم أباك !

هيمون — حين اراه يقترف الظلم .

كريون — أمن الظلم أن احتفظ بحقي ؟

هيمون — ان من سوء الاحتفاظ بالحق أن توطأ بالاقدام قوانين الآلهة .

كريون — أي خائن ! يصلح لان تملكه امرأة !

هيمون — لئن تراني على الاقل وقد قهرتني شهوة مخجلة .

كريون — لا تتكلم الا دفاعاً عنها .

هيمون — بل دفاعاً عنك وعن نفسي وعن آلهة الجحيم .

كريون — لن اسمح عوض بأن تكون لك زوجاً . انها ستموت .

هيمون — لئن ماتت ، فليتبعن موتها موت آخر .

كريون — كيف ! أتبلغ بك الجرأة أن تهددني !

هيمون — أأهددك حين احارب فيك عواطف ظالمة ؟

كريون — سأعلمك أن تكون أشد عدلا في عواطفك وميولك

هيمون — لو لم تكن أبي لقلت ان عواطفك تضاد العقل .

كريون — ايها العبد الدنيء تملكه امرأة ، لا تثقل علي بلغطك .

هيمون — تريد ان تتكلم من غير ان تسمع شيئاً .

كريون — قد يكون ذلك ولكني أقسم بأولمبوس انك لن تثقل عليّ بانكارك من غير ان تلقى في سبيل ذلك ما تستحق من جزاء . (الى حرسه) لتقد هذه المرأة البغيضة واتجد بنفسها في اسرع وقت بأعين حبيبها .

هيمون — لن تجود بنفسها بين يديّ ، لا تظن ذلك ؛ ولكن عينيك لن ترياني بعد : لأتركنك نهباً لما يملكك من غيظ مع اصدقائك الذين يتملقون لك .

وينصرف هيمون مغضباً حنقاً . فتحذر الجوقة كريون عاقبة هذا السخط ، ولكن هذا لا يعبأ بالتحذير . ويعلن انه قد قضى بان تقبر انتيجونا حية في غار بعيد عن المدينة حتى لا يقع إثم موتها على طيبة ثم تتغنى الجوقة بما للحب على الناس والآلهة من سلطان ، وتعلن اسفها على ما أعدّ لانتيجونا من العذاب .

المنظر الرابع

الجوقة وانتيجونا

انتيجونا — أي مواطنيّ ! انظروا الى انتيجونا تبدأ سفرها الاخير وتلقي على كوكب النهار آخر نظرة من نظراتها : ويلاه لن أرى هذا الكوكب منذ الآن !

ان إله الجحيم الذي يقبر كل شيء سيقودني حية الى شاطئ الاكرون قبل ان اخضع لقوانين الزواج ، وقبل أن أسمع اناشيد الزفاف تغنى لي ؛ ويلاه ، انما الى الاكرون سيكون زفافي .

الجوقة — أي ثناء وأي مجد ستحملين حين تلجين دار الموتى ، أنت التي تهبط الى دار أديس حية حرة لم تصبها علة مهلكة ولم يقض عليها حد الحسام .

انتيجونا — أعلم كيف احتملت ابنة تنتلوس شر ما قدر لها القضاء ، اذ اكتنفتها في ارجاء فريجيا وعلى قمة جبل سيبيل صخرة شاهقة تلين من حولها لين اللبلاب . وان البرد الابدي فيما يزعمون يتوّج رأسها الذي يخيل الى من رآه انه ينهل انهلال السيل ، وقد تنهمر على وجهها عبرات لن ترقأ . لقد ادّخر ليَ القضاء ما ادّخر لها ، ولقد أعدّ لي سريرٌ كسريرها الأبدي .

ثم يستمر الحوار بينها وبين الجوقة فهي تعزيها ، وهي تلج في البكاء والعويل ذاكرة أباها وأمها واخويها وما ألمَّ بهم جميعاً من الخطوب ، حتى يأتي كريون فيحث الحرس على التعجيل بدفنها حية .

المنظر الخامس

كريون ، انتيجونا والجوقة

انتيجونا — يا للقبر ! يا لسرير العرس ! يا لك من منزل تحت الارض لن أبرحه أبد الدهر ، فيك سألقى من استقبلتهم يرسفوني في مقر الموتى من أسرتي . سأهبط الى الجحيم قبل أن يحل الاجل الذي كتبه لي القضاء ، واني لآخر أسرتي واشقاها ؛ ولكني اهبط واني لمملوءة املاً أن يكون محضري مصدر سرور لابي وقرة عين لك يا أماه ! ولك أيها الاخ العزيز ايضاً ؛ فان يدي لم تهمل بعد موتك ما كان يجب من عناية بك وسقي لثراك ، وتقريب الى نفسك . فانظر أي پولينيس العزيز ! ماذا القى من جزاء على القيام بواجبي ؛ ولكن قلوب اصحاب الفضيلة لن تبخل عليّ باعجابها بي ورضاها عني . وفي الحق أني لو كنت أماً فقدت ولدها ، أو كنت زوجاً فقدت زوجها ، لما فعلت ما فعلت مخالفة ارادة الوطن ! ولوجدت من العزاء ما يحول بيني وبين اقتراف هذا الاثم ؛ فان الزوج اذا فقد سهل أن يخلفه غيره ؛ وان المولود قد يعزى عن المفقود ، ولكن اذا استأثر القبر بمن منحنا الحياة فليس من الميسور التعزي عن الاخوان .

لذلك ايها العزيز پولينيس آثرتك على كل شيء ، جرأت على كل شيء ، ولم أخشَ أن اقف من كريون موقف العاصية . أدن اذاً ، وضمني اليك ، تقبل اختك التي تهبط الى مقر الموتى وحيدة لا صديق لها ، لم تبلُ حلاوة الزواج ، ولا حنان الزوج ، ولا لذة الامومة . أي ذنب جنيت اذاً على الآلهة ؟ ولكن وا حسرتاه ! انى لتعسة شقية ، ما ينفعني ان ارفع نظري الى السماء ؟

وأي معونة استطيع ان اسأل ، وقد لقيت على ما قدمت من التقوى جزاء الآثمين ؟ لئن رضي الالهة عن من قضوا عليّ بهذا العقاب، فانا معترفة بأني مجرمة غافرة لهم ما سألقى من عذاب . ولكن اذا كانوا ظالمين مجرمين فليصرف الالهة عنهم كل سوء ، وليكن ما احتمل من ألم مكفراً عن سيئاتهم .

الجوقة لكريون — ما زالت انتيجونا تهب ما يملأ نفسها من الغضب .

كريون — وَيلٌ للذين يقودونها مع هذا البطء

انتيجونا — ويلتاه ! اذاً فهذا آخر قضاء عليّ بالموت .

كريون — لا تخدعي نفسك بالافلات منه .

انتيجونا يقودها الحرس — يالأسوار طيبة ! يالوطني ! يالآلهة مدينتي ! لقد نفذ القضاء انهم ليقودونني : انظروا الى ملكتكم وحيدةً مخذولة ، ماذا يثقلها من اهانة ! ومن اي يدٍ ينالها السوء ، لانها قامت بما يجب عليها من التقوى !

الفصل الرابع

يأتي برزياس كاهن طيبة فينصح لكريون أن يعدل عن عقاب انتيجونا ويحذره سوء العاقبة وينذره بما أنبأته به كهانته من الوبال ان لم يسمع كريون . ولكن هذا يسخر منه ثم ينكر عليه ثم يهدده . فينصرف برزياس مغضباً وقد انذر واعذر .

فيتشاور كريون والجوقة ، ويقر الرأي على أن يسمع الملك لامر الكاهن فينصرف كريون ليستنقذ انتيجونا ولكن (سبق السيف العذل) .

الفصل الخامس

المنظر الاول

يقبل رسول فينبىء الجوقة بأن هيمون قد مات وانه ليقص عليها ذلك اذ تخرج أوروديس زوج كريون من القصر

المنظر الثاني

اوروديس . الرسول والجوقة

اوروديس — أي مواطني ، لقد سمعت صوتكم واني لخارجة من القصر احمل صلواتي الى معبد پلاس : افتح الباب فاذا النبأ السيىء — بان بعض الشقاء قد ألم بمنزلي — يمس أذني ؛ يملكني الخوف فاسقط بين وصائفي ، كأنما أغمي عليّ . ماذا كنتم تقولون ؟ أعيدوه عليَّ . قد احتملت من الآلام ما يجعلني من القوة بحيث استطيع أن أستمع .

الرسول — أي سيدتي العزيزة ، سأقص عليك ما شهدت غير مخف للحقيقة . وما ينفعني أن اخفف من وقعها ، فلئن فعلت فما أسرع ما يظهر كذبي : ان الحقيقة خالدة . لقد تبعت الملك الى وسط الحقل ، حيث كانت جثة پولينيس نهباً للكلاب . نتقدم بالصلاة الى پرسفونية وأديس ، نتوسل اليهما ان يرفعا عنا سخطهما ، نصب على پولينيس الماء المقدس ؛ نجمع ما بقي من جثته على بعض الاغصان الحديثة العهد باصولها ، ونستخدم ارض هذا الحقل ، لنتخذ له قبراً في شكل الهرم ؛ فلما فرغنا من ذلك مضينا نحو الصخرة التي اتخذ فيها للأميرة سرير العرس يقودها الى الموت وما هي الا أن يسمع أحدنا من هذا القبر المهمل صدى انين يتردد عن بعد ، فيقص ذلك

على الملك ، الذي لا يكاد يقترب من القبر حتى يتميز بنفسه صوت هذه الشكاة من غير ان يعرف لها مصدرا . ثم يصرخ صرخةً مؤلمة : شقي ! أحقٌّ ما كنت أتوقع من شر ؟ ألست أسعى الى شر الالآم وأشقها احتمالا ؟ لقد سمعت صوت ابني. أسرعوا ، طيروا الى قبر انتيجونا ، ارفعوا الحجر الذي يسده ، ادخلوا فوجته ، انبئوني ، أأسمع صوت ابني حقاً ام خدعني بعض الآلهة »

فنفذ أمر سيدنا الواله : نرى انتيجونا معلقةً في قبة هذا الغار ، وقد اتخذت من منطقتها حبلا ادارته حول عنقها . وكان هيمون يضمها بين ذراعيه ، باكياً حبه ، منكراً قسوة ابيه ، ناعياً حبيبته . فيقبل كريون وقد هاله هذا المنظر ، فهو يصرخ صراخاً مزعجاً ، ويبعث من صدره انيناً اليماً : « ولداه ! ماذا تصنع ؟ أين تترك عقلك يهيم ؟ في أي يأس تسترسل ؟ أخرج يا بني ، اخرج فانا الذي يتضرع اليك . ولكن هيمون يستل سيفه ذا الحدين ، وقد القى على أبيه نظرة ملؤها الغضب والحنق ، من غير ان يجيبه . فيهرب كريون ويتقي ضربته .. ثم يحول الشقي غضبه الى نفسه ، فيغمد سيفه في صدره وقد احتفظ بحبه ، فهو يضم انتيجونا بين ذراعيه يتمشى فيهما الفناء ، يلقى آخر أنفاسه ، ويصبغ بدمه الذي يخرج مع زفراته خدي حبيبته الممتقعين .

وكذلك اجتمع هذان الزوجان في مقر الموتى ، قد اضطجع كل منهما الى جانب صاحبه ليعلما بني الانسان ان الحمق أشد الرذائل عليهم خطراً .

تنصرف اوروديس من غير ان تنطق بكلمة فتخشى الجوقة والرسول عاقبة هذا الصمت ، ثم يقبل كريون وهو يحمل جثة ابنه ، وانه ليتفجع ويتوجع اذ يقبل من القصر عبد فينبئه بأن زوجه قد قتلت نفسها . وتنتهي القصة بما ينطق به كريون من شكاة وأسى ، ومن حزن وألم .

الكترا

الاشخاص :

اورستيس — ابن أجاممنون

پولاديس

مربي اورستيس

الكترا — بنت أجاممنون

كروزوتيميس — بنت أجاممنون

كلوتيمنسترا — زوج أجاممنون

ايجستوس — عشيق كلوتيمنسترا

والجوقة مؤلفة من بنات موكينا

تقع القصة امام قصر الملك في موكينا

عاد أجاممنون من حرب تروادة ظافراً منتصراً ، فأتمرت به زوجه كلوتيمنسترا وعشيقها ايجستوس وقتلاه في حفل أقيم لاستقباله في عقر بيته وامام النار المقدسة ، وتمكنت ابنته الكترا من انقاذ اخيها الطفل أورستيس فهرب به مربيه ، وما زال يتعهده و يعني بصباه وشبابه ، حتى بلغ أشده وعاد ليثأر لابيه .

الفصل الاول

المنظر الاول

الفجر بازغ يبعث اضواءه قليلا قليلا فيمحو بها ظلمة الليل شيئاً فشيئاً ، وقد أخذ اورستيس و پولاديس ومربيه يديرون أمرهم بينهم ، ويدبرون ما ازمعوا من الانتقام . فيأمر اورستيس مربيه ان يذهب الى القصر فيخالط أهله ، و يداخلهم ويبلو من أمرهم ما هم في حاجة الى بلائه ، بينما يذهب هو وصديقه الى قبر أبيه فيقدمان اليه الضحية والقربان ، ثم يعودان بعد ذلك وقد حملا علبة من النحاس يزعمان انها تشتمل ما بقي من رماد اورستيس الذي صرع في حفلة سباق ؛ فاحرق جسمه وحملت بقيته الى أهله ، وانهم ليتأهبون للمضي في ما دبروا اذ تقبل الكترا ولكنها لا تراهم فيحاول اورستيس ان يقف ليسمع شيئاً من حديثها ، ولكن مربيه يأبى عليه ذلك ، فينصرفون

المنظر الثالث

الكترا وحدها

أي ضوء النهار النقي ، ايها الفضاء الواسع من الهواء يحيط بالارض ، كم سمعتماني أبعث الصراخ المحزن ، والعويل المؤلم ، وأضرب بيدي صدري الدامي حين تنجلي ظلمة الليل ! وكم رآني سريري ترويه دموعي اثناء الليل في هذا المنزل النكد أبكي ما اعد القضاء لهذا الاب الشقي ، الذى أعفاه أريس هذا الإلـه السفاح في ميدان القتال ، وغالته أمي يعينها عشيقها ايجستوس ، فقضت

عليه بفأس دامٍ كما ينحي الحاطب في الغابة على شجرة البلوط ! انا وحدي يا أبتاه في هذا المكان ، أئنُّ لموتك هذا الموت الشنيع الوحشي ! على أني لن أضع حداً لما ابعث من أنين، ولا لما اسكب من دموع ، ما رأيت نجوم الليل تجري في افلاكها، وضوء النهار يلمع في آفاق السماء ، سيتردد صدى آلامي أمام قصر أبي كشكاة فيلوميلا ، لم تنقطع منذ حرمت اطفالها .

أي مقام برسفونيه وأديس ، أي هرمس السفلي وأنتنّ يا بنات الآلهة ايتها الموكلات بتعذيب الاشقياء ، ايتها الآلهة المخوفة ، آلهة اللعن والسخط ألقوا أعينكم على هذه الضحايا التي سفكت دماؤها مع هذه القسوة . انظروا الى هذه الجريمة المشتركة مصدرها الحب الفاجر ، أقبلوا ، اعينونا ؛ إثأروا لموت أب شقي . إبعثوا اليّ أخي ؛ فلن أستطيع منذ اليوم ان أحمل وحدي ثقل هذه الآلام التي تنوء بي .

ثم تقبل الجوقة مؤلفة من فتيات موكينا ، فيدور بينها و بين الكترا حوار طويل تحاول الجوقة تعزيتها ، فتعلن الكترا ان ليس الى العزاء من سبيل .

الجوقة — احذري أن يسمع صوتك : ألا ترين الى أي حال بلغت وفي أي هوّة قذف بك ؟ لقد جمعت لنفسك شقاءً الى شقاء و لقد جرت عليك صلابتك آلاماً جديدة . انك لتعاندين من هم أشد منك قوة ، وما هذا من الرشد في شيء .

الكترا — نعم ، اعلم ان حالي شديدة السوء ، وأعلم مقدار شدتي وصلابتي ، ولكني على رغم هذا كله لن أقصر عما أنا فيه من استنزال السخط واللعنة على المجرمين ما تنفست : ومن ذا الذي ايتها الصديقات

العزيزات ، ـ أين هـذا القلب ـ يشعر بما انا فيه ثم يحاول تعزيتي ؟ دعن ، لا تحاولن هذا العزاء. لن يكون لسخطي حد، وسيكون انيني ابدياً خالداً كالامي

الجوقة — ولـكن قلبي وحده هو الذي يعزيك ، كما يفعل قلب الأم الحنون ، إحذري ان تستتبع شكاتك هذه شكاة جديدة .

الـكترا — وأي حد استطيع ان أضع لما انا فيه من يأس وقنوط ؟ كيف أستطيع من غير أن أضيع شرفي أن انسى من حرمنيه الموت ؟ أي الناس اتخذوا لانفسهم هذه السيرة ؟ لو ان بين الناس من يسلك هذا المسلك فانا أود ان لا انزل من قلوبهم منزل الرضى والـكرامة . كما اني اود ان يدفعني و يزدريني كل محب للخير ، ان انا كفكفت في قلبي غلواء هـذه العواطف الشريفة ، عواطف الألم يبعثها الحرص على تشريف الموتى . ألا فليهلك أبد الدهر بين الناس الرشد والتقوى ، اذا كان حظ من فارق الحياة ان يبقى مهملا منسياً كانه تراب غير حساس واذا لم يلق المجرمون جزاء ما اقترفوا من اثم.

الجوقة — ولكن منفعتك ومنفعتي يا ابنتي هما اللتان جاءتا بي الى هذا المـكان ؛ فان كنت مخطئة فيما وجهت اليك من نصح ؛ فلتكن لك الـكلمة ونحن لما ترين مذعنات .

الـكترا — يخجلني ايتها الصديقات العزيزات أن استرسل امامكن في هـذا الألم الذي لا حد له ، ولـكن عاطفة اشد منى قوة تقهرني على ذلـكن : فلا تلمنني فيه . وأي ابنة وفية تسلك مسلـكاً آخر بعد هـذه النازلة التي نزلت بأبي والتي لا يزيدها مر النهار وكر الليـل إلا قوة فهي لا ينمحي منظرها امام عيني بل يتمثل من حين الى حين فظيعاً مريعاً . أليست

أمي التي منحتني الحياة قد اصبحت أشدّ الناس لي عـداء ؟ ألم أصر من سوء الحال الى حيث أعيش في قصري مع الذين قتلوا ابي ، وقضوا عليه بالموت ؟ انا لهم خاضعة، منهم وحدهم انتظر ما ينالني من خير وشر . أي حياة تظنن اني استطيع أن أحيي حين أرى ايجستوس يجلس على عرش ابي ، ويلبس ثيابه، ويقوم بالواجبات الدينية للآلهة في المقام الذي قتله فيه ! وحين ارى هذا المجرم الآثم يقاسم امي المجرمة سرير أبي ، ان استطعت ان أسمي أمًّا تلك التي ترتاح الى صـدر شريكها في الاثم ؟ الى أي حد من الجرأة يجب ان تكون هـذه المرأة قد وصلت حتى يتصل الحب بينها وبين هذا المجرم الفاجر ؟ انها لتسخر من انتقام الآلهة وكانها تعجب بما اقترفت ؟ فاذا اقبل اليوم الذي خـدعت فيه ابي وقتلته من كل شهر ، اقامت حفلات الرقص وقدمت الى الآلهـة الحفظة الضحايا والقرابين . وانا الشقية التعسة أبكي وانتحب لهذه المناظر ، وافني قواي وحيدةً . أئن لهذا المقصف الوحشي الذي سموه مقصف أجاممنون : ولو اني استطعت ان أسترسل كما أشاء الى هـذه الراحة الحلوة، راحة سكب الدموع !!! ولكني لا أكاد افعل حتى أسمع هذه المرأة التي لا حظ لها من كبر النفس الا في ألفاظها تنحي عليّ باللوم وتثقلني مسبةً وازدراء . ، تدعوني موضع بغضها ومرمى انتقامها السماوي وتسألني أأنت الوحيدة التي فقدت أباها ؟ ألم يشعر غيرك من الناس ألماً ولا حزناً ؟.... ليهلكنك اليأس ولا أرقأت آلهة الجحيم عبراتك .

كذلكن يتناولني لسانها بالمسبَّـة . ولـكنها لا تكاد تسمع بقرب عودة اورستيس حتى تفقد رشدها ، ولا تملك من صوابها شيئاً ، تبحث عني وتصيح بي : اذاً فهـذا ما أعددت لي ! هذا عملك ، انت التي وضعت

أورستيس بنجوة من سلطاني حين أخفيته ! ثقي بانك ستلقين على ذلك عقاباً عدلا . ويصحب هذه الكلمات صراخ وعجيج ؛ والى جانبها عشيقها يزيد غيظها حدة والتهاباً ، هذا الجبان ، هذا المجرم ، هذا الذي ملا يديه دعارة وفجوراً ، هذا الذي لا يحسن الحرب الا مع النساء . وانا انتظر اورستيس يستنقذني من كل هذه الاهانة وأموت ، منتظرة ! ما زال يؤخر عودته حتى قضى علي ما أؤمل وما أملت . في هذه الحال التي وصلت اليها لا استطيع ان أحتفظ بقصد ولا تقوى : فان الشر اذا بلغ أقصاه اضطرنا الى ان نذعن له ونسترسل فيه.

وتقبل بعد ذلك اختها كروزتيميس وهي تحمل قرباناً الى ابيها من قبل قاتلته كلوتيمنسترا فتحاول من غير طائل اقناع اختها بالعدول عما هي فيه من نحيب وعناد لأولي البأس والسلطان ، وتسألها الكترا عما تحمل فتجيبها بأن أمها قد رأت فيما يرى النائم ان أجاممنون قد عاد الى الحياة واظل سلطانه مملكته القديمة ، فاشفقت من هذا الحلم وارسلت الى قبر القتيل هذا القربان

فتنهاها الكترا عن أن تقدم الى ابيها قربان أمها المجرمة ، وتنصح لها ان تقدم مكانه خصلاً من شعرهما فتأتمر كروزوتيميس بهذا الامر ، وتستبشر الجوقة بهذا الحلم الذي ينبئ بأن أوان الانتقام قد آن .

الفصل الثانى

المنظر الاول

كلوتيمنسترا ، الـكترا والجوقة

تبدأ كلوتيمنسترا بلوم ابنتها الـكترا ، لأنها انتهزت غياب ايجستوس فخرجت من القصر معولة تنثر لومها وسخطها على امها ، ثم تحاول أن تدافع عن نفسها وتزعم أنها لم تقتل زوجها الا انتقاماً لابنتها ايفيجينيا التي ضحى بها أجا ممنون للآلهة قبل سفره الى تروادة ليجعلوا هذا السفر له ميسوراً . فقد كان يستطيع أن يرق لابنته ولأمها ، ولـكنه بلغ من القسوة والاستهانة بعواطف الأمهات أن ذبح ابنته غير مشفق ولا راحم ، وماله لا يفعل ذلك وهو لم يقاس من الالم في منحها الحياة ما قاسته امها .

ألم يكن من الحق أن يضحي مينيلاوس بأحد ابنائه ، اذا لم يكن بد من التضحية ، فان اليونان لم يشهروا هذه الحرب الا انتقاماً له ودفاعاً عنه ، ثم يدور بين كلوتيمنسترا والـكترا هذا الحديث :

الـكترا — سأتـكلم اذاً . لقد قتلت ابي ، ذلك شيء تعترفين به . ولـكن سواء أكان موته عدلا أم ظلماً ، هل يوجد اعتراف اشد من هذا نكراً

ومع ذلك فلست اخفي عليك ما ارى إن العدل لم يدفعك الى قتل أبي وانما اندفعت الى ذلك مفتونة بحب هذا المجرم الذي تعيشين معه . سلي ارتيميس على من ارادت ان تنزل سخطها ، حين وقفت حركة الريح في اوليس وان شئت فأنا منبئتك بذلك ، اذ ليس من الميسور أن تسمعيه من فم الإلـهة

حدثت أن ابي بينما كان يلهو في غابة مقدسة من غابات الإِ آلهة ، طارد وعلا أرقش طويل القرنين ، ثم اصابه فقتله ، واسكره النصر فنطق بما لا يحسن النطق به .

سخطت لذلك ابنة لاتونا ، وحبست اليونان على الساحل ، حتى ضحى لها ابى بابنته وفلذة كبده ، ندماً واستغفاراً .

هذا هو السبب الحقيقي لهذه التضحية : قد كان انقطع بالجيش الرجاء ان يذهب الى تروادة أو أن يعود الى وطنه .

ولقد مانع أبي زمناً طويلا ، ثم اكرهته الحاجة فضحى بابنته استرضاء للإِ آلهة لا تلطفاً لمينيلاووس . ولو أني مالأتك على انه قد ضحى بابنته لمنفعة اخيه فهل كان لك من اجل ذلك أن تنحريه بيدك ؟ مَن ذا الذي منحك هذا الحق ؟ احذري حين اقمت بين الناس هذا الحق وسننت لهم هذه السنة أن تكوني قد اعددت لنفسك ما يحملك يوماً ما على الندم والحسرة . فان الدم اذ لم يغسله الا الدم ، فدمك اول دم يجب أن يسفحه العدل . ولكن لا تنسي وهن ما تنتحلين من معذرة . تنزلي فانبئيني ما بالك قد اطرحت كل حياء ، واستخففت بكل خجل ، فقاسمت سريرك هذا الشريك الذي اعانك على قتل ابي ؟ ما بالك تحرصين على هذه الصلة المنكرة ، وتطرحين اولادك الطاهرين الذين منحك اياهم زواج مقدس ؟ كيف استطيع أن ارضى عن مثل هذه الجنايات ؟ اتقولين ايضا انك إنما تثأرين لابنتك ؟ فانك لن تستطيعي من غير خزي أن تنطقي بمثل هذا الجواب . وفي الحق أن من اشرف الاعمال أن تقترن المرأة الى عدوها لتثأر لابنتها . ولكن حسبي لوماً فاني ان لم أكف حملتك علي ان تملئي الارض صراخا ، بأنا نعق أمنا . على أني لم ار فيك أمّاً وانما أرى فيك

طاغية ظالمة ، فأنا اقاسي انواع العذاب ، والقى منك ومن عشيقك ألوان الألم ، بينما أخي أورستيس الذي لم ينج الا بعد مشقة يحتمل ثقل النفي وذله.

هذا الذي ما زلت تتهميني بأني انما ربيته لينزل بك العقاب يوماً ما . ثقي بأني لو ملكت عقابك لما أحجمت عنه . والآن فانطلقي وأعلني الى الناس جميعاً اني قد فطرت على الشر والغضب والحمق . فان ذلك ان يكن حقاً فلن اضع قدر الدم الذي ورثته عنك .

ثم يشتد الأخذ والرد بينهما حتى تهدد كلوتيمنسترا ابنتها بالعذاب حين يعود ايجستوس ، وتنصرف الكترا فتتقدم كلوتيمنسترا الى أبولون بالصلاة راجية منه أن يقيها شر الحلم الذي افزعها وان ينزل سخطه على اعدائها .

ثم يقبل مربى اورستيس فينبئ كلوتيمنسترا بمحضر من الكترا والجوقة بان اورستيس قد مات ، ويقص عليهم موته ، فتتفجع الكترا ولا تدري كلوتيمنسترا في اول الامر اتحزن لفقد ابنها أم تفرح لنجاتها منه . ثم يملكها الفرح فتنصرف مع المربى وتبقى الكترا متفجعة متوجعة ، تعزيها الجوقة وترثى لها .

الفصل الثالث

رأت كروزوتيميس قبر ابيها مكللا بالزهر ، وقد علقت فيه خصل من الشعر ، فتقبل فرحة مسرورة تعلن الى الكترا عودة اورستيس لانها واثقة بانه وحده الذي قرب هذا القربان الى أجاممنون . ولكن الكترا تنبئها بموت اخيها ، فتعول وتنتحب ، ثم تطلب اليها الكترا المعونة على قتل ايجستوس فتأبى

فـزَعاً وفَـرَقاً وتنصرف تاركة الـكترا وقد صممت على ان تنتقم وحـدها لأبيها ، وأخذت الجوقة تغني ما اصابها من ألم وما امتازت به من شجاعة ووفاء .

الفصل الرابع

يقبـل اورستيس ومعه نفرٌ من الناس يحملون علبة زعموا انها تشتمل رماداورستيس ، فيسألون عن بيت ايجستوس ، ويخبرون بانهم أمامه ثم ينبئون الـكترا بأنهم انما اقبلوا يحملون ما بقي من اورستيس في هذه العُـلبة فتتمنى عليهم ان يدفعوها اليها لتبكي هذا الفقيد العزيز فيفعلون .

الـكترا وقد اخذت العلبة — ايتها البقية الأخيرة لمن آثرت بحبي على الناس جميعاً ، أيها العزيز اورستيس ! لشد ما بين هذه الحال التي اراك فيها الآن ، وبين ما قد كنت عقدت بك من الآمال من فرق !

لست الآن الا رماداً باطلاً أحمله بين ذراعي ؛ وان كنت حين أبعدتك من هذا القصر — أي بني العزيز — لمملوءاً قوة ونشاطاً . آه ! مالي لم افقد الحياة قبل ان انقذتك من الموت وبعثت بك الى أرض غريبة !

اذاً لمت في هـذا اليوم النكد ولـكنك كنت تظفر بالمواراة في قبر أبيك . أما اليوم فقد قضيت بعيداً من وطنك ، ومن ذراعي اختك ، هارباً منفياً . اني لشقية ! لم تصب يداي على جسمك الماء المقدس ! ولم أجمع بعد تحريقك ما بقي من رمادك ، لقد قامت بهذا الواجب أيدٍ أجنبية .

يا لك من شقي تعود الى ذراعيّ وانك لخفيف الوزن في علبة ضئيلة

تعسة ! الى أي حالٍ صار ما بذلت من العناية بطفولتك ، تلك العناية التي تعودتها ، والتي كنتُ احتمل في سبيلها هذه المشقة الحلوة ؟ فما كنت في ذلك الوقت أعز على قلب أمك منكَ على قلبي . لذلك لم اعتمد على أحدٍ في تغذيتك ، لقد اخذت نفسي بذلك ، وما كنت تدعو اختك الا اياي . واحسرتاه ! لقد اختفى كل شيء معك في يوم واحد . ولقد قضى موتك كأنه الصاعقة على كل ما احب وآمل .

لقد قضى أبي ، ولقد قضيت ، وهأنا تلك أموت .

ينتصر اعداؤنا ؛ هذه الأم ، هذه الضرة ، تثمل فرحاً ؛ ومع ذلك فكم وعدتني رسائلك السرّية بانك ستعود لتنزل بها العقاب ! ولكن إِلهاً عدواً لك ولي قد حرمنا هذا الانتقام ، هو الذي بعث اليّ مكان هذا الوجه الذي كنت أحبه وأوثره ، والذي كانت صورته مرتسمة في نفسي بهذا الظل الذي لا وزن له وهذا الرماد الذي لا غناء فيه . ويلي عليك ! ايها التعس أورستيس ! اي عودة مشؤومة ادخر لك هذا الإِله ! أأنت ايها الاخ العزيز ، أأنت الذي يعودُ في هذه الحال ليحرمني الحياة ، ولينزعها مني ! استقبلني اذاً في مستقرك الاخير ، أضف ظلاً الى ظل لنستطيع ان نعيش معاً أبد الدهر .

لقد كنتُ احب ان اقاسمك الحياة ما تمتعت عيناك بضوء النهار : اما الآن فلا أتمنى الا الموت لأقاسمك ظلمة القبر : فليس الموتى باشقياء .

الجوقة — فكري أي ألكترا ، فكري في ان ابك لم يكن خالداً ، وان اخاك لم يكنه ايضاً ، خففي من الملك ، واقصدي في انينك ، فان الموت ضريبة لا بد أن نؤديها يوماً ما .

اورستيس لنفسه — ويلاه ! ماذا اقول لها ؟ بم استطيع أن اخاطبها في هذا الاضطراب الذي يملكني ؟ لن استطيع بعد أن املك هذا الجأش المضطرب .

الكترا — أي ألم ينالك ، ومن أين هذا الكلام الذي اسمعه ؟

اورستيس — ماذا ! أهذه الكترا التي ارى ، اهذه الكترا ذات الصوت البعيد !

الكترا — نعم هي الكترا ، في حال شديدة السوء .

اورستيس — يا لك من حظ منكود !

الكترا — ايها الغريب ، مالك ترثي لشقائي ؟

اورستيس — أيتها الاميرة التعسة ! الى اي ذل وامتهان قد صارت حالك ! —

الكترا — ومع ذلك فهذا حظي ، هذا هو الحظ السيئ الذي ادخره القضاء لألكترا

اورستيس — اي حياة مؤلمة تحيين ، لا زوج ولا عون !

الكترا — لم تنظر الي ايها الغريب متنهداً محزوناً ؟

اورستيس — لم اكن اعلم مقدار شقائي .

الكترا — وكيف استطعت ان تعرفه ؟

اورستيس — حين رأيت الآلام التى تنوء بك .

الكترا — ومع ذلك فانت لا ترى منها الا شيئاً قليلا .

اورستيس — ايمكن أن ارى اشد منها سوءاً ؟

الكترا — من غير شك ، حين أمضي أيامي مع القتلة

اورستيس — القتلة ! قتلة من ؟ ... وبأي فظاعة ستنبئينني ؟

الكترا — قتلة ابي ، وقد قضت عليّ الضرورة ان اكون لهم قنا .

اورستيس — وأي الناس استطاع ان يقهرك على ذلك ؟

الكترا — أمّ لا تستحق هذا الاسم .

اورستيس — وأي طريق سلكت الى ذلك ؟ القسر أم العذاب اليومي ؟

الكترا — العذاب ، القسر وكل ألم متخيل

اورستيس — ولا صديق لك يحميك ويعينك ؟

الكترا — لا . لم يكن لي الا صديق واحد ، هو الذي تحمل اليّ رماده .

اورستيس — ايتها الاميرة البائسة ، ان منظرك ليثير اشفاقي

الكترا — واحسرتاه! انت وحدك بين الناس جميعا نالك الاشفاق مما انا فيه .

اورستيس — لذلك انا وحدي الذى اتى ليقاسمك آلامك.

الكترا — من اين ؟ ماذا ! ايصل الدم بيننا وبينك ؟

اورستيس — انبئك بذلك ان أمنت هولاء اللاتي يسمعن حديثنا

الكترا — ثق بأنك آمن ، فالصلة بيني وبينهن متينة .

اورستيس — دعي هذه العلبة ؛ فسأنبئك بكل شيء .

الكترا — أيها الغريب ، باسم الآلهة لا تنزعها مني .

اورستيس — اسمعي لي ، فلن تندمي على ذلك .

الكترا — آه ! لا تحرمني أعز شيء عليّ .

أورستيس — لن اسمح بأن تحفظيها .

الكترا — ما اشقاني أيها العزيز اورستيس ! أأحرم رمادك .

اورستيس — دعي هذه اللهجة المحزنة ، فليس لحزنك من أساس .

الكترا — ماذا ! أليس لحزني من أساس حين ابكي أخا فقد الحياة

اورستيس — ليس لك منذ الآن أن تنطقي بمثل هذه الالفاظ .

الكترا — ألست اذاً كفأ لان ابكي هذا الظل ؟

اورستيس — أنت كفء لكل شيء ولكن ليس . . . .

الكترا — ألست احمل في يديَّ رماد أورستيس !

اورستيس — ليس رماد أورستيس ؛ وليس له منه الا الاسم .

الكترا — في أي مكان توجد بقية هذا التعس ؟

اورستيس — لا بقية له : فليس للاحياء من قبر .

الكترا — آه ، يا للآلهة ! ماذا قلت ؟

اورستيس — الحق .

الكترا — أهو حي .

أورستيس — ان كنته .

الكترا — ماذا ! أيمكن أن تكون أورستيس ؟

اورستيس - الق عينيك على خاتم أبي ، ثم انظرى أتشكين بعد ذلك .

الكترا — يا لك من ضوء عزيز طوال الدهر !

أورستيس — آه ! عزيز جداً ، من غير شك .

الكترا — أيها الصوت الحلو ، هأنت ذا قد أتيت .

أورستيس — هو بعينه .

الكترا — أأنت اورستيس الذى أقبل .

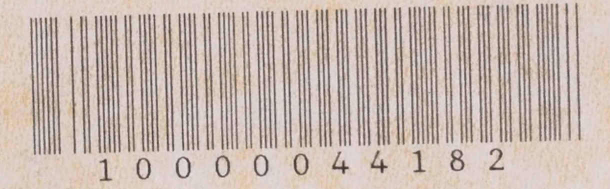
اورستيس — وددت لو تملكين كل ما تشتهين ، كما تملكيننى اليوم .

ثم تعلن الكترا فرحها واستبشارها، وتشاركها الجوقة، ويحذرهن اورستيس عاقبة ذلك ، ويأتي مربّيه فيضيف تحذيراً الى تحذير ، ويحث اورستيس على انتهاز الفرصة ، لان كلوتيمنسترا وحدها ، فينصرفون بعد أن ترفع الكترا صلاتها الى ابولون ان يقدر لها ولاخيها الفوز ، وتتغنى الجوقة بقرب الانتقام .

ويشتمل الفصل الخامس على موت كلوتيمنسترا وايجستوس بيد اورستيس وظفر الكترا والجوقة بأخذ الثأر .

تم الكتاب الأول

فهرس


1 0 0 0 0 0 4 4 1 8 2

